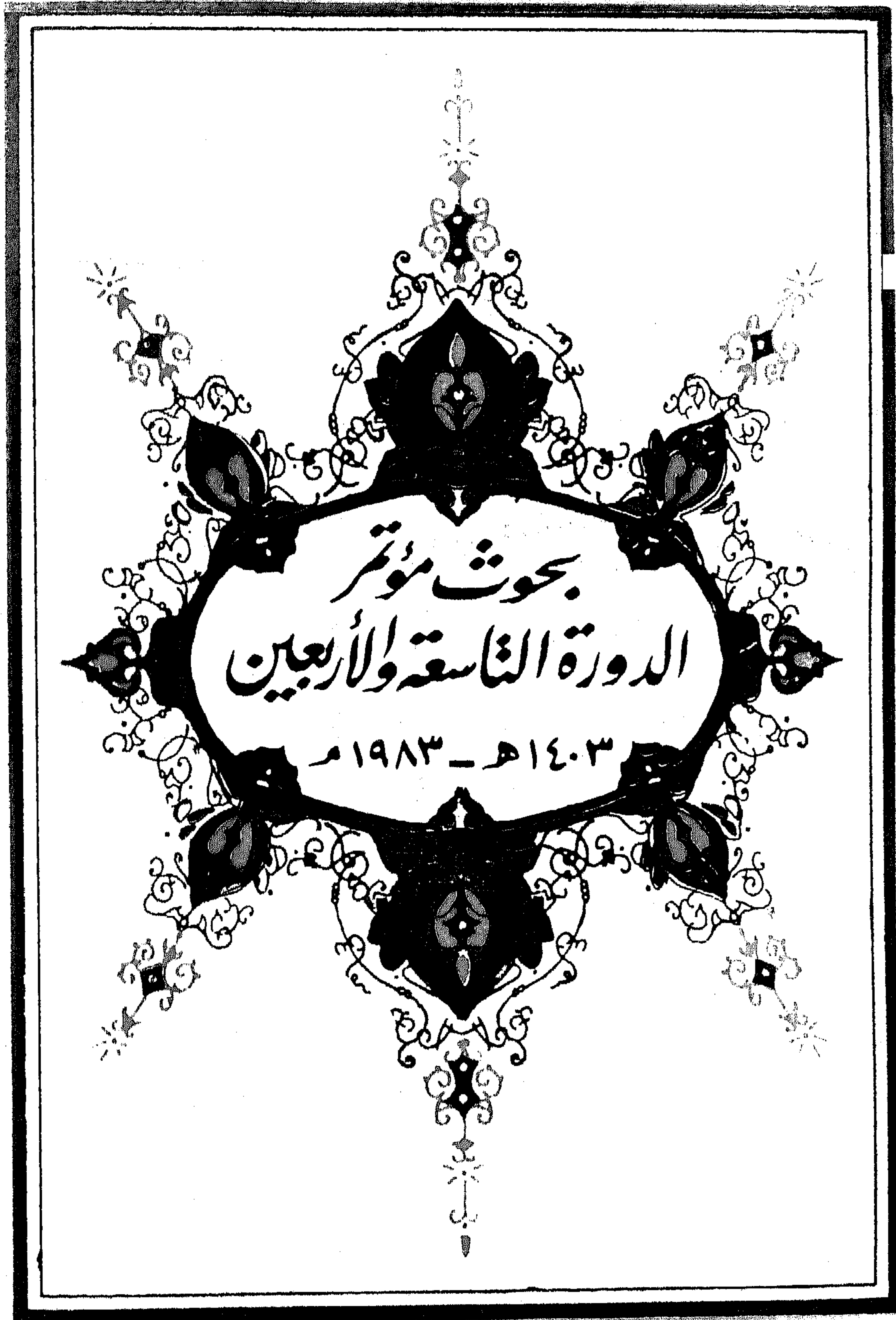


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الحادي والخمسون
شعبان ١٤٠٣ هـ
مايو ١٩٨٣ م



مجتمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
د. السويسرى سابقا (بالزمالك)

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الحادي والخمسون

شعبان ١٤٠٣هـ - مايو ١٩٨٣م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزي

الفهرس

تصديير :

بقلم : ابراهيم التري

ص ٥

● كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى

ص ٧

● كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

ص ٩

● بين مؤتمريين

للدكتور مهدي علام

الأمين العام للمجمع

ص ١٣

● كلمة الاعضاء العرب

للأستاذ أحمد توفيق المدني

ص ١٩

● تحية المؤتمر

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ص ٢٣

البحوث :

● لغة الصحافة في بلاد الشام

للدكتور عدنان الخطيب

ص ٢٩

● الأسماء المعبدة والأسماء المجددة

للدكتور عمر فروخ

ص ٤٥

● لغة الخبر الصحفي

للأستاذ سعيد الأفغاني

ص ٥٥

● لغة الصحافة في القطر الجزائري

للأستاذ أحمد توفيق المدني

ص ٦٣

● لغة الصحافة

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ص ٧٩



- من كناشة النوادر (٤)
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ٨٧
- تصحيح الأوضاع
للأستاذ محمد الفاسي
ص ١٠١
- الروح (قصيدة)
للدكتور حسن علي ابراهيم
ص ١٠٧
- اللغة المصفاة
للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ١٠٩
- في رحاب مجمع الخالدين (قصيدة)
للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ١١٧
- الصحافة وتجديد اللغة
للأستاذ عبد الله كنون
ص ١٢٥
- ابن سينا . . مناقشة بعض ما قال في العين
للدكتور حسن ابراهيم
ص ١٣٣
- لفة الصحافة في مصر منذ ظهور
الصحافة في القرن الماضي
للأستاذ محمد عبد الفنى حسن
ص ١٣٩
- الصدقات والغواص
للأستاذ جمال محمد أحمد
ص ١٥٣
- التعبير العلمى ولفة العلم
للدكتور ابراهيم الدمرداش
ص ١٦٥
- المصطلح العلمى فى التعريب
للدكتور عبد العظيم حفىص صابر
ص ١٧١
- لفة الصحافة فى الأردن
للأستاذ الشيخ ابراهيم القطان
ص ١٧٩
- تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات
بواسطة الأرقام العربية
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ١٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدر

بقلم : ابراهيم التريزي

في النشأة الأولى للفن الصحفي لم يختلف أسلوبه باختلاف أنواعه ومجالاته . ثم أخذ هذا الأسلوب يتطور ويتنوع ، بحسب أنواع الفن الصحفي ؛ من خبر ، ومقال ، وتعليق ، وتحقيق ، وتحليل ، كما أن الأسلوب في كل منها أخذ يختلف بحسب مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، وغير ذلك .

هكذا نشأت أساليب فنون القول ، ثم أخذ كل منها يتطور ويتنوع ، ويكتسب نفسه سمات وخصائص ما زالت - وستظل - تتجدد مع تجدد أنواع هذه الفنون ، وتطورها المتواصل .

وقد نشأ الأسلوب الصحفي في عالمنا العربي قريب الشبه بالأسلوب الأدبي السائد في ذلك الحين ؛ ألفاظه يكثر فيها الغريب ، وعباراته تقليدية تنتمي إلى عصور سابقة ، تمضي متشاقلة ركيكة ، تصلصل بالحمليّ البديعية المثقلة بها ، وقد تسلمت إليها بعض الكلمات الأجنبية ، وبخاصة التركية في البلاد التي ظلت طويلاً في إطار الخلافة العثمانية .

ومع إشراقة النهضة العربية الحديثة أخذ الأسلوب الصحفي - كغيره من الأساليب - يتحرر ويتطور ؛ فانطلق من أسر التقليد والجمود ، وتفتى عنه كل أجنبي دخيل ، وصارت عبارته مرسلة سمحة ، تصل إلى القارئ في يسر وطلاقة وألفة . فتكاثر الصحف ، واتسع انتشارها ، وتزايد إقبال القراء عليها من كل الطوائف والطبقات ؛ ومن يوغل في تاريخ الصحافة المصرية يأخذه العجب ، بل الانبهار ؛ لكثرة ما كان يصدر من صحف ، أخذت تتزاحم - وأحياناً تتصارع - على الصعيد الصحفي ، الذي كان يمتد من القاهرة إلى الإسكندرية ، وشمالي الدلتا ، وإلى أسوان في أقصى الجنوب من مصر .

وقد ظلت الصحف المصرية تتكاثر من أواخر السبعينيات في القرن الماضي إلى أواخر الثلاثينيات في هذا القرن ، ثم أخذ بعضها يتعثر ، ويتساقط ، ويختفي ، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وندرة الورق ورداعته وغلائه ، وبخاصة بعد أن هيمنت على الصحافة الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ .

ولكن ، إذا ظلت الصحف لا تأخذ سبيلها إلى ما كانت عليه من تكاثر فإن الفن الصحفي لم يتجهده ولم يتوقف ؛ فقد ظل يتجدد ويتقدم في الشكل والموضوع ، وأنشئت له دراسات جامعية متخصصة .

وقد صاحب ذلك تقدم مطّرد في فن الكتابة الصحفية ، على مدى رحلتها طوال قرن ونصف .

ففي رحم الصحافة تخلّقت ملامح الأسلوب الصحفي ، وبدأت له سماته ، وبلاغته الخاصة به ، وقد صارت ألفاظه سهلة مأنوسة ، تكاد في وضوحها وألفها تقترب من الألفاظ المتداولة في لغة التخاطب ، وجهته قصيرة رشيقة ، ذات إيقاع سريع متوثب ، قد نفضت عنها الحلى البديعية ، وتخلصت من الصور البيانية التقليدية ، وآثرت تقديم المعنى المباشر القريب ، وتخففت من أدوات الربط وإن حرصت - مع هذا - على أن تكون مترابطة متكاملة في مسارها الفكري والموضوعي .

كان هذا شأن الأسلوب الصحفي في صورته العامة لدى أكثر الكتاب الصحفيين طوال النصف الأول من هذا القرن ، على وجه قريب ، ثم أخذ الأسلوب الصحفي يعتره ضعف وهزال وقصور ، وركاكة وضحالة ، وإن سلم من ذلك لدى قلة من الكتاب ، حفظت لهذا الأسلوب سلامته وعافيته ، وثرأه الفكري والجمالي .

ومن الإجحاف أن نعزل ما اعترى الأسلوب الصحفي عن الوضع الثقافي العام ؛ فقد شاعت الأخطاء اللغوية والنحوية ، كما شاع الهزال الفكري والبياني ، فيما يكتبه أغلب الكتاب المعاصرين ؛ ومن أهم أسبابه - دون ريب - ما أصاب التعليم اللغوي من قصور في مختلف مراحل ومستوياته ، وما أصاب الحياة الثقافية من ضمور إبداعي على الساحة الأدبية .

ولعلنا نعمل بكل الجهد والجدد على تحقيق إصلاح تعليمي شامل ، وإحياء ثقافي أصيل يمتد من جذور الماضي إلى آفاق مستقبل حضارى زاهر .

وفي هذا الجزء من الحملة بحوث مؤتمر الدورة الجمعية التاسعة والأربعين ، ألقاها بعض السادة من أعضاء الجمع ، عالجت موضوع الصحافة ، في مصر وبعض البلاد العربية الشقيقة .

ابراهيم التري
رئيس التحرير

كلمة الدكتور طهحي كمال حلمي نائب رئيس مجلس الوزراء للتعليم وزير الدولة للتعليم والبحث العلمي

ولانه ليسعدنا حقا أن يستقبل المجمع هذا المؤتمر ، وقد تحقق له إنجازان على جانب كبير من الأهمية :

أولهما صدور قانونه الجديد ، حيث جد من الأمور ما يستوجب تعديل قانونه ، وإنه ليستقبل دورته ، ويستأنف نشاطه بقانون يؤكد استقلاله ، ويعزز شخصيته المعنوية ، ويتيح له من الاختصاصات ما يعينه على الاضطلاع بإنجاز أغراضه ، في يسر وانطلاق ، وفي ظل هذا القانون الجديد تود وزارة التعليم أن تعرب عن مسانحتها الكاملة وتقديرها البالغ لرسالة المجمع الكبيرة في حياة لغتنا القومية ، وتنميتها ، وإمدادها بما يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا الحاضر ، بحيث تسير ما تستحدثه الحضارة من معطيات ومفاهيم .

أما الإنجاز الثاني فهو انتقال المجمع إلى مبناه الجديد . ولا شك أننا جميعا مغتبطون بأن يفتتح المجمع مؤتمره في موقعه الجديد ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الحليل الفاضل رئيس المجمع ،
الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ،

إنه لمن أعظم أسباب سعادتي ، أن أشرف معكم بافتتاح مؤتمركم السنوي في دورته التاسعة والأربعين ، ذلك المؤتمر العلمي الكبير الذي درج مجمعكم الموقر على عقده منذ عشرات السنين ، ليكون موعداً للقاء كريم بين صفوة ممتازة من أهل اللغة والأدب والعلم ، تجمع بينهم تلك الصلات الوثيقة في خدمة لغتنا العربية ، لغة القرآن المجيد التي هي - بلا شك - من أوثق العرى التي تحكم ما بيننا من روابط ، وتجمع قلوبنا وعزائمنا على منهج سواء .

ويطيب لي في هذا المقام أن أحييكم أصدق تحية ، وأن أشكر لكم استجايتكم الكريمة لدعوة المجمع إلى هذا المؤتمر ، فقد أبيتتم الدعوة ، مؤثرين الاستجابة الذبيلة على ما بين أيديكم من شواغل وشئون

(*) ألقى في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين يوم الاثنين ٨ من جادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ،

الموافق ٢١ من فبراير سنة ١٩٨٣ م .

الذي يليق برسالته السامية ، وبنى بحاجاته العلمية والإدارية ، وبما تتطلبه ضرورات البحث العلمي على نحو ميسور .
أبها الأساتذة الأجلاء :

إن مؤتمركم هذا فضل يضاف إلى عطائكم المتواصل لازدهار اللغة فقد دأبتم دائما أن تجزلوا العطاء ، وأن تضيفوا فضلا إلى فضل ، ولا نستطيع أن نحصى ما أنجز من أعمال ، فهو فيض مستمر ، ومجهود ضخم ، سوف تضاف إليه قراراتكم وبحوثكم في هذا المؤتمر إن شاء الله .

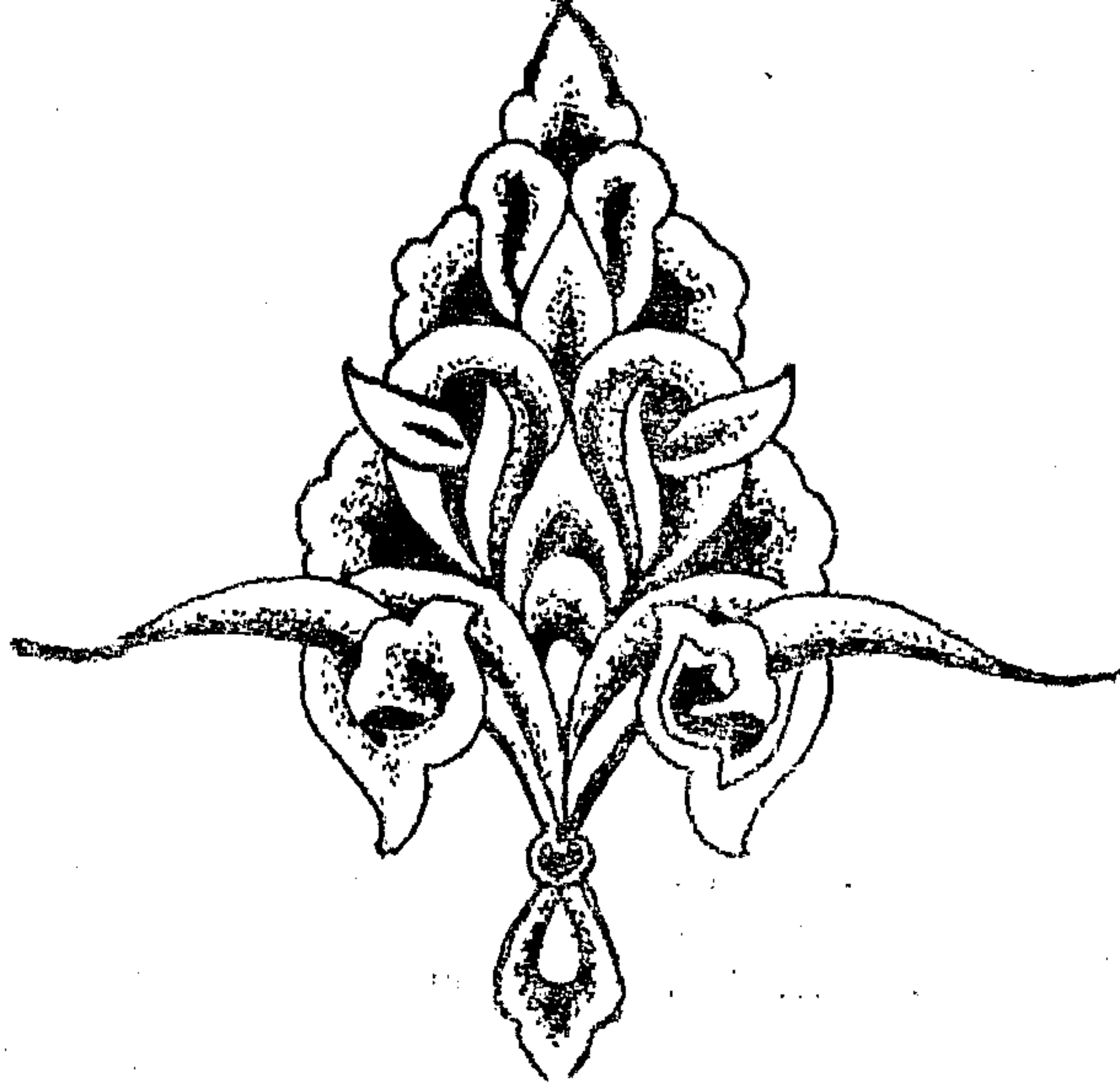
ويطيب لي أن أذكر بالتقدير والامتنان عمالكم الكبير في مجال المعاجم اللغوية ، فقد أنجزتم المعجم الوجيز ، والمعجم الوسيط وأنتم في سعيكم الدائب الحاد لإنجاز المعجم

الكبير ، ولكن قطاعا من أعز وأغلى أبنائكم يتطلع إليكم بالأمل أن تهديوا إليه معجم الطفولة ، ليكون مصباح الهداية لكل من يتصدى للكتابة لهم .

تحية التقدير والامتنان لكل من يشد أزر لغتنا العزيزة ، وينهض بما يجعلها وافية بمطالب الحياة والعلوم والآداب والفنون ، في مسيرة حريصة واعية لمستحدثات الحضارة الإنسانية .

ودعاء إلى الله العلي القدير أن يبارك عمالكم المحيدين ، وسعيكم المخلص ، وأن تطيب إقامتكم في بلدكم ، وبين أهليكم .

ولله ولي التوفيق ، وعليه قصد السبيل .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما



كلمة الدكتور إبراهيم كور رئيس المجمع

وسعوا إلينا برغم ما يضطلعون به من أعباء
في أوطانهم وهم يحسون تماما أنا نسعد بهذا
اللقاء ، ونرتقبه عاما بعد عام ، على أن
الأمر لم يقف عندهذا التلاقى في فترات من
الزمن في أسبوعين كاملين ، بل نحن
على صلة دائمة بهم نكتب إليهم فيوافوننا
بآرائهم وملاحظاتهم ، ويتابعون أعمالنا
على تنوعها .

سيداتي سادتي :

بلغ مجمعنا الخمسين من عمره تقريبا ،
وآن الأوان لأن تكون له دار تحمل اسمه ،
وتحتفظ بأوراقه ، ووثائقه ، بمؤلفاته
ومكتبته ، ويتسع صدرها لحريره وخبرائه
للجانة وجلساته ، ولجلسه ومؤتمره ، وقد
قضينا سنين طوالا في رحلة متنقلة بين
دور مختلفة في الجزيرة تارة ، وفي القاهرة
تارة أخرى .

وقد حاولنا أن نحصل على دار من
تلك الدور القديمة تكون ملائمة للمجمع ،

السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء
ووزير التعليم والبحث العلمي هـ
زملائي الكرام .

سيداتي - سادتي هـ

إن أول ما أبدأ به هو أن أتوجه
باسمكم ، وباسمى بخالص الشكر إلى السيد
الدكتور نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم
على تلك الكلمات الطيبة التي تفضل بها ،
والمجمع يعول التعويل كله على وزارة التعليم
ومساندتها له في أداء رسالته ، وتلك
ليست المساندة الجديدة ، فقد نشأ المجمع
في كنف وزارة المعارف ، التي أصبحت
وزارة التربية والتعليم فيما بعد ، ثم عاد منذ
عامين إلى حيث نشأ ، وهو يتابع هذه
الصلة الوثيقة التي تواجه الأمور على النحو
الملائم بها .

وأضم صوتي إلى صوت السيد الوزير
في الترحيب بزملائنا وضيوفنا الكرام
من أعضاء عاملين ومراسلين لبوا دعوتنا

(*) أقيمت في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

ولكننا لم نوفق لذلك ، ولم يكن بد من أن نسلك سبيل الإنشاء والتعمير ، وكان علينا أن نتخير موقعا يلائم هذه الهيئة العلمية التي لها تاريخها وماضيها .

وهنا أرى واجبا على أن أنوه بصنيع زميل كريم ، كان يوما وزيرا للثقافة ، وكان هذا الموقع تابعا له فوضعه تحت تصرفنا . هذا الزميل هو الأستاذ بدر الدين أبو غازي ، وقد سبقه زميل آخر هو الدكتور عبد العزيز السيد ، فعرض علينا مساحة أكبر كان يدخرها لوزارة التعليم ، ولكنه أثر المجمع بها منذ عدة سنين ، ولسوء الحظ لم نوفق لذلك في حينه ، وما إن تمكنا من وضع يدنا على هذا الموقع حتى لحأنا إلى مكتب هندسي استشاري يضم خيرة من كبار أساتذة العمارة في هندسة القاهرة ، تولوا الأمر وقاموا بالتخطيط ، وكان عليهم أن يتولوا الإشراف على سير العمل ، على أن وزارة الثقافة من جانبها ، ومنها هيئة هندسية ، عاونتنا مشكورة على ذلك ؛ لأنه ليس في أجهزتنا ما يمكننا من متابعة أى عمل إنشائي على هذا النحو . وقامت بالبناء شركة من شركات البناء الكبرى ، وهي شركة المقاولين العرب ، وصادفنا ما صادفنا من صعوبات ، ولعل أهمها هو اقتطاع ستمائة متر مربع من مساحتنا التي كانت ألفاً وستمئة متر مربع ، وكنا نود أن تكون هذه القاعة نفسها مظلة على النيل ، ولكن ضيق المساحة قضى بهذا الوضع الذي ترون ،

والمجمعيون سعداء بأن وصلوا إلى هذه النتيجة بالرغم من هذه الصعوبات ، وأحب أن نشير إلى أن المجمع خصص قسما من مبناه لاتحاد الجامع اللغوية .

أما قانون المجمع ، فأنا حريص على أن أسجل أن وزارة التعليم عاونتنا على إخراجه ، ولهذا القانون قصة قديمة ، فقد عشنا زمنا طويلا مع قانون المجمع الموحد الذي جمع بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، ويوم أن ذابت أسباب ذلك طالبنا بإصدار تشريع يتمشى مع الوضع الجديد، ولكن - لاعتبارات لا دخل للمجمعين فيها - رئي أن يؤجل ذلك إلى حين ، وطال هذا التأجيل ، والمجمعيون تحكهم تقاليدهم دون الحاجة الماسة إلى القانون والتشريع ، ولكن لاشك أنه كان هناك نقص لا بد من تداركه ، وقد وفقنا لهذا التدارك ، وصدر قانوننا الجديد مؤكداً استقلال المجمع المالي والإداري ، ومستمسكاً بمعاونة شيوخ العروبة وعلمائها وعضويتهم في هذا المجمع العضوية العاملة أو المراسلة وهذا تقليد أخذ به مجتمعنا منذ البداية ، وعاد بنا التشريع الجديد إلى تقليد آخر أهمل زمنا ، ألا وهو أنه لا بأس مطلقا من أن ينضم إلى عضوية المجمع من هو أهل الخدمة اللغة العربية وإن لم يكن من أهلها ، وكان هذا تقليدا لنا في البداية نعود إليه ونرحب به .

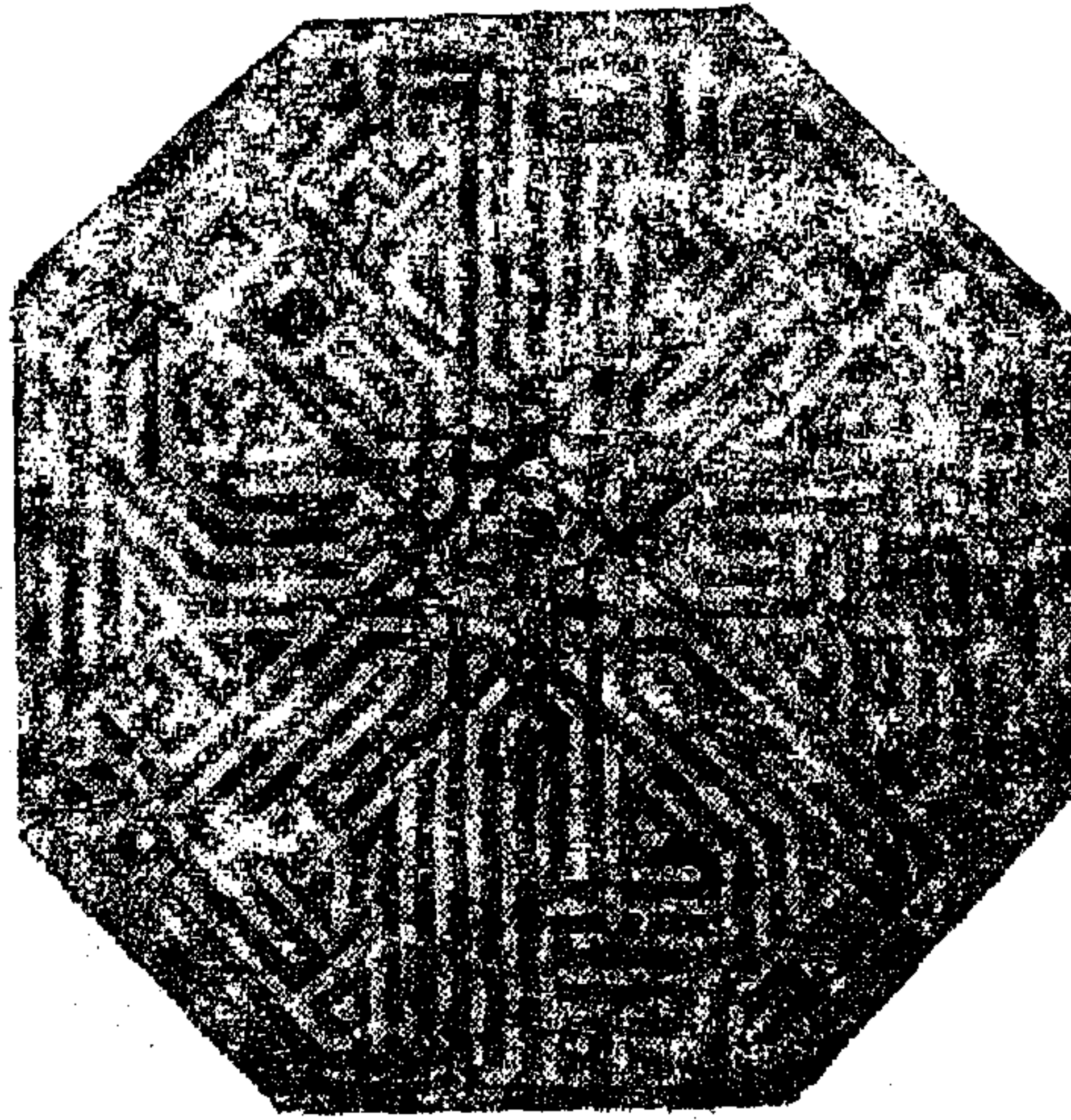
وأمر آخر لا شك أن وزارة التعليم كانت لها يد فيه ، ألا وهو أن معاوني هذا المجمع من موظفيه الفنيين فتح الباب أمامهم لكي يطبق عليهم الكادر الجامعي ، وسيمكن ذلك المجمع من أن يتخير لمعاونته من هم أقدر على القيام برسائلته ، هذا هو قانون المجمع الجديد ، ومجمعكم منذ أن بدأ رسم لنفسه طريقا وأقر تقاليد ونظما ثابتة سار عليها ، يبدأ العمل فيه من اللجان ، وهذه اللجان تقوم على محرري المجمع وخبرائه كما تقوم على أعضائه ، وما أكثر هذه اللجان وهي متعددة التخصصات ، بين علمية وإنسانية ، رياضية وطبيعية ، وأستطيع أن أقول لكم ، إن عددها أصبح يزيد على العشرين ، وكلما جددت دراسة جديدة سارع المجمع إلى أن يسلك سبيلها لتوفر لغة العلم والحضارة التي هي وسيلة النهوض

والتقدم وترفع هذه اللجان أعمالها إلى المجلس ومنه إلى المؤتمر . وقد درجنا على أن يقوم السيد الأمين العام بعرض أعمال مجمعنا في خلال الدورة الماضية بدءاً من اللقاء السابق إلى لقاء اليوم .

وقبل أن أعطيه الكلمة أود أن أشير إلى أننا كنا ننتوي أن يكون عيدنا الخمسيني في هذه الدورة ، ولكن الإعداد لهذا العيد لم يكتمل ، وقد شاءت مصلحة البريد مشكورة أن تشاركنا في الحفاوة بهذا العيد فأخرجت مجموعة طيبة من طوابعها بهذه المناسبة ، ونحن نشكرها على هذا كل الشكر ، ونحن على موعدنا إن شاء الله في العام القادم لنحتفي بالعيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وشكرا لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



بيان مؤتمرين للكونجرس العربى العام للجمع

دار جامعة الدول العربية من قبل ،
وجامعة الشعوب الإسلامية والعربية من
بعد :

وسار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى
والتشريع :

و دار الجمعية الجغرافية :

أيها السادة الأجلاء :

بعد أداء الترحيب والشكر والوفاء ،
وقبل الحديث عن أعمالنا الجمعية فى هذا
المؤتمر أود أن نستجلى الصورة العامة
لمؤتمرنا السابق ، تحقيقا لتواصل النشاط
الجمعية ، الذى يتجدد ويزداد تماء وازدهارا
عاما بعد عام .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر ثلاث جلسات علنية ،

وعشر جلسات مغلقة :

كانت أولى الجلسات العلنية لافتتاح
المؤتمر ، والأخريان لمحاضرتين عامتين ،
أولاهما للزميل الأستاذ محمد عبد الغنى

بسم الله الرحمن الرحيم
السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم
والبحث العلمى :

السيد رئيس الجمع :

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر :

سيداتى ... ساداتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد:

فىنى أشعر بسرور عظيم وأنا
أستقبلكم ، وأرحب بكم لأول مرة فى دار
مجمعنا التى صارت له مستقرا ومقاما ،
بعد طول ترحال بجلساته العلنية إلى
دور أخرى كريمة تفضلت بضيافتها على
الرحب والسعة ، فى افتتاح مؤتمراتنا
السنوية ، ومحاضراتنا العامة :

وإن واجب الترحيب بكم فى دارنا
الجمعية يذكرنى بواجب الشكر والحمد
والتقدير للهيئات المسئولة عن تلك الدور
الكريمة المضيافة :

(*) أقيمت فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

حسن ، وموضوعها : « عندما ينفعل الشعراء في الحادث الجلل : بحث في آخر فصل من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » وثانيها للدكتور مهدي علام وموضوعها « المتنبى بين نفسيته وشاعريته » .

أما الحلقات العشر المغلقة فقد نظر المؤتمر فيها ما أعدته لجان المجمع ، وأقره مجلسه من مصطلحات في الحيولوجيا والهيدرولوجيا ، والفيزيقسا ، والكيمياء والصيدلة ، والطب ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، والآثار المصرية القديمة ، والسينما . كما نظر مواد جديدة من المعجم الكبير (من أول مادة ج ل ج إلى آخر مادة ج م ع ل) .

وأقر المؤتمر من أعمال لجنة الأصول « ضبط عين المضارع من ماضي الثلاثي المفتوح العين » ، ومن أعمال لجنة الألفاظ والأساليب ما يلي :

- أمسية .
- أنتج .
- عشوائى وعشوائية .
- عظمة .
- العمالة .
- هت . باهت .
- دعم (المضعف) .
- الدعم (بين لغة المعاجم ولغة العصر) .
- تغطية الموضوع .
- جرد العهدة .

كما أقر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات بعض الظواهر اللغوية في لهجات طي ، وهذيل ، وفقه الضمير « نحن » ، ومجموعة من الكلمات العربية الفصيحة التي تبدو عامية .

وألقي بعض السادة الزملاء بحوثا في الموضوع الرئيسي للمؤتمر ، وهو « تراثنا اللغوى » وبحوثا أخرى عالجت بعض الشؤون اللغوية ، والتاريخية ، والأدبية ، والعلمية .

وحلق الشعر في أجواء المؤتمر بقصيدتين إحداهما في تحية المؤتمر للزميل الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والأخرى بعنوان « حياتى » للزميل الدكتور حسن على إبراهيم .

وأصدر المؤتمر في جلسته الختامية توصيات وقرارات أهمها :

- تعريب التعليم الجامعى هدف يسعى إليه العالم العربى جميعه ، وسيله الحق تزويد مكاتبنا الجامعية بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وبفهارس المكتبات الأخرى فى العالم العربى حتى يتيسر للباحثين إنجاز مهامهم العلمية ، ويوصى المؤتمر الجامعات العربية بأن تعهد إلى بعض أساتذتها فى ترجمة أمهات الكتب العلمية ، وبالتأليف فى مختلف مجالات العلم .

- إحياء تراثنا العربى - بتحقيقه ونشره - من أهم الأسس التى تهض عليها

حضارتنا العلمية والأدبية . ولذلك يوصى المؤتمر بأن تقوم المجامع والهيئات الثقافية بإنشاء مراكز أو لجان لإحياء تراثنا العربي مع العناية بإعداد شباب من المحققين ، وتدريبهم على تحقيق بعض المخطوطات ، بإشراف أساتذة من العاملين في هذا الميدان حتى تتواصل أجيال المحققين ، جيلا بعد جيل ، وتتسع حركة إحياء تراثنا العربي . ويأمل المؤتمر أن يبادر المجمع بالاستجابة العاجلة لهذه التوصية .

— يوصى المؤتمر بأن تعنى وسائل الإعلام —
— صحافة وإذاعة : مسموعة ومرئية —
بضرورة الالتزام بقواعد اللغة العربية ، وبنطق الكلمات نطقا سليما ، وإعداد العاملين بها إعدادا لغويا وصوتيا ، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في مجالى : النحو والصوتيات .

— يوصى المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية ، ويأمل المؤتمر أن يفسح لها مجال أوسع ، مع الاهتمام بما يخرج المجمع والهيئات المتخصصة في اللغة العربية وفنونها المختلفة .

أعمال المجلس واللجان فيما بين المؤتمرات :

بلغت جلسات مجلس المجمع فيما بين المؤتمرات السابق وهذا المؤتمر تسعا وثلاثين جلسة منها ثلاث علنية ، أبان المجمع فيها

زملاء أعزاء ، استأثرت بهم رحمة الله تعالى ، ففضوا إلى كريم رحابه ، وهم : علامة النحو واللغة الأستاذ على النجدي ناصف ، وشيخ الصحافة الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، والجغرافى الكبير الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد .

وجدد المجلس في إحدى جلساته انتخاب الدكتور إبراهيم مدكور رئيسا للمجمع لأربع سنوات قادمة ، كما انتخب في جلسة أخرى لعضوية المجمع شيخا من شيوخ اللغة والأدب ، هو العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى سنسعد باستقباله في جلسة علنية ، عقب هذا المؤتمر ، إن شاء الله .

أما سائر الجلسات المغلقة فقد نظر المجلس فيها ما أعدته لجان المجمع من مصطلحات في الجيولوجيا ، والفيزياء ، والنقط ، والكيمياء والصيدلة والهيدرولوجيا ، وعلم الحيوان والطب ، والرياضة ، والهندسة ، والجغرافيا والتاريخ ، والاقتصاد ، والفلسفة ، والفنون وألفاظ الحضارة ، وسيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس منها ، مع طائفة جديدة من مواد المعجم الكبير (من مادة ج وت إلى آخر الحيم والواو وما يثلثهما) ، كما سيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس من أعمال لحسان : الأصول ، والألفاظ والأساليب ، واللهجات .

مسابقة المجمع الأدبية :

فاز بالجائزة الأولى للمسابقة فى الدور السابفة الأستاذ على على الفلال ، وكان

موضوعها : « الشيخ مصطفى عبد الرزاق
عضو المجمع مفكرا وأديبا ».

أما موضوع المسابقة في هذه الدورة
فهو : « الدكتور عبد الوهاب عزام عضو
المجمع أديبا وباحثا » ، وستفصل لجنة الأدب
في الأعمال المقدمة إلى هذه المسابقة ، عقب
انتهاء موعدها في آخر مارس القادم ، ثم
تعرض قرارها على مجلس المجمع .

مسابقة احياء التراث :

فاز بجائزة هذه المسابقة الدكتور عبد الحميد
قطامش ، عن تحقيقه كتاب « الأمثال »
لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وقد رأت
اللجنة أن تزيد جائزة المسابقة للعام القائم
إلى ألف جنيه للجائزة الأولى ، وخمسمئة
للجائزة الثانية . وقد أقرها المجلس ، واعتمد
لها المكافأة المطلوبة

المعجم الوسيط :

فرغت لجنة « المعجم الوسيط » من إعداد
لطبعته الثالثة ، وهي في سبيل تقديمه للطبعة
وقد بلغت الأعلام في جزئه الموسوعي
نحو خمسمئة وثلاثة آلاف علم . وقد تم البت
في اختيار الهيئة التي تم عاينها عطاء طباعته .

معجم الفاظ القرآن الكريم :

نفدت الطبعة الثالثة لهذا المعجم ؛ لتزايد
الإقبال عليه ، فقرر مجلس المجمع تكوين
لجنة لإعادة النظر في مواده تمهيدا لتقديمه

إلى طبعته الرابعة ، وقد انتهت اللجنة من
مراجعة مواده إلى نهاية حرف الذال .

العيد الخمسينى للمجمع :

رأى المجمع أن يكون الاحتفال بهذا
العيد في العام القادم ، فهو يوافق العام
الخمسين لإنشائه ؛ إذ عقد مجلس المجمع
جلسته الأولى في يناير عام ١٩٣٤ ، وسيكون
الاحتفال بهذا العيد عربيا ودوليا ، يدعى
إليه ممثلون للمجامع العربية الشقيقة ، وبعض
المجامع الإسلامية والأجنبية والاتحاد الدولي
للأكاديميات :

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع في هذه الدورة المطبوعات
التالية :

- الجزء الثاني من المعجم الكبير .
- المجلد الثالث والعشرين من مجموعة
المصطلحات العلمية والفنية .
- الجزء الخامس والأربعين من مجلة المجمع .
- محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين .
- محاضر جلسات الدورة الثالثة والعشرين .
- معجم الجيولوجيا .

صلات المجمع الثقافية :

تزايد صلات المجمع بالمجامع والهيئات العلمية
العربية والإسلامية والدولية ، في مختلف
مجالات الثقافة ، من ذلك - على سبيل المثال -
أن الاتحاد الدولي للأكاديميات رأى أن
يعهد إلى المجمع - بعد أن أصبح عضوا فيه -

أحمد عز الدين عبد الله ، الذي فاز بجائزة
الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ، وعلامة
الدراسات الأدبية والنقدية الزميل الدكتور
شوقي ضيف الذي فاز بجائزة الملك فيصل
العالمية في الدراسات الأدبية .

وأخيرا ، لا يسعني إلا أن أتجه إليكم
بأوفى الشكر ؛ لتشيرفكم هذا الحفل
المجمع ، وأخص بالشكر زملائنا الأشقاء
العرب - الذين تفضواوا بتأبئة دعوتنا ، راجيا
لمن اعتذر منهم أن يكون معنا في المؤتمر
القادم ، لنشترك جميعا في الاحتفال بالعيد
الحمسيني للمجمع ، إن شاء الله تعالى .

سيدي الوزير :

لا يسعني إلا أن أكرر الشكر ومهسا
كررته فهو عذب ، واجب ومقبول .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مهدي علام

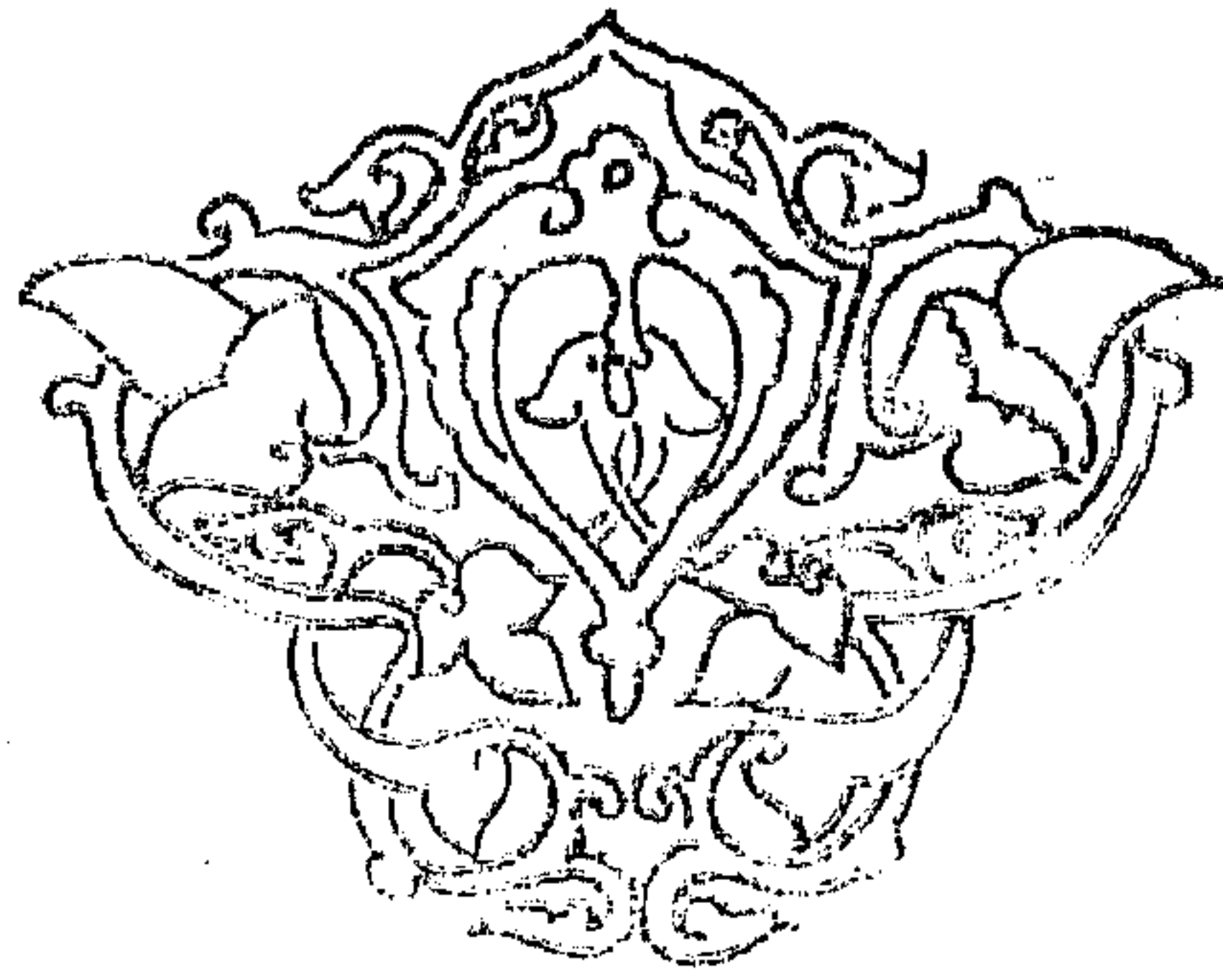
الأمين العام للمجمع

بالإشراف على إحياء النصوص العربية
لمؤلفات الفيلسوف العربي الكبير «ابن رشد»
وتكونت لذلك لجنة برئاسة الدكتور إبراهيم
مدكور رئيس المجمع ، تضم أعضاء من
العرب والمستشرقين .

وتلقى المجمع دعوة من هيئة «اليونسكو»
 للمشاركة في الاحتفال بالذكرى المئوية
لميلاد عضو من أعضاء المجمع الراحلين
وهو المستشرق الفرنسي الأستاذ «لوي
ماسنيون» وسيمثل المجمع الدكتور إبراهيم
مدكور في هذا الاحتفال الذي سيقام في
«باريس» في أخريات هذا العام .

سيداتي . . سادتي :

لا يفوتني أن أنوه بفارسين من فرسان
المجمع ، حازا قصب السبق في ميدان
الجوائز وهما : علامة القانون الزميل الدكتور



كلمة الأعضاء العرب

د. سجاد أحمد توفيق المدني

باسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام
على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن
اتبع هداه :

أيها السادة الأعلام ، لسان العروبة ،
وشيوخ اللغة ، وأئمة المستقبل : باسم الأعضاء
الأشقاء العرب الذين لبوا دعوة هذا المؤتمر
الكريم ، أتقدم بالشكر والامتنان لكل من
هياً لهذا المؤتمر المبارك وكل من شارك فيه
وأخص بالذكر منهم السيد الدكتور وزير
التعليم والبحث العلمي ، والسيد الدكتور
إبراهيم مدكور رئيس الجمع ، والسيد
الأمين العام الدكتور مهدي علام ، فهؤلاء
الفرسان الثلاثة قد تباروا أمامنا في هذه
الخلبة السائدة ، وأفادونا إفادة عظيمة
وأرونا رأى العين أن هذا الجمع مجمع
عمل جاد ، وجهاد حقيقي في سبيل هذه
اللغة التي شرفها الله باختيارها لسانا لقرآنه
الشريف الخالد ، الهادي إلى الصراط
المستقيم .

سيداتي ، سادتي :
قد اجتمعنا اليوم في هذا المكان وافدين
من شتى الأقطار العربية ؛ تلبية لدعوة الواجب
ومشاركة منا في القيام بواجبنا نحو هذه
اللغة التي وحدتنا ، وجمعت شملنا ،
وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس ، فاعتزازنا
بهذه اللغة ، ومشاركتنا في إحيائها وإرجاع
أمجادها ، يدل دلالة قاطعة على أن أمة العرب
- والحمد لله - ليست هي الأمة الحاملة
النائمة الراكدة التي يصورونها ؛ بل هي الأمة
الخالدة ، الأمة الحية ، الأمة العاملة ، الأمة
التي سترجع أمجادها بحول الله ، ستعيد
حضارتها ، وستكون جيلاً جديداً من العرب
يعيد أمجاد الماضي ، ويهيئ للمستقبل الأسس
السائدة التي ستبنى كيان هذه الأمة .

كنت أود أن أقول لكم : يا أبناءى -
وبحكم السن يجب على أن أحاطبكم هكذا -
لا تكونوا من قوم « كان » ، بل كونوا من
قوم « صار » ، لأن « كان » مقترنة بالبكاء
والنحيب على الماضي ، كان لنا ابن خلدون

(*) أقيمت في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

مستقبلنا كذلك ، ونهي له ما يلزمه لهذا :
 وعلى هذا اجتمعنا ، وهكذا سنعمل .
 إن اجتماعنا هذا يرينا رأى العين وحدة
 الأمة العربية التي ليست متقطعة الأوصال ،
 وليست مهلهلة ، بل هي أمة عظيمة قوية
 ثابتة ، فرضت وجودها على العالم
 المنافس والمعادي ، وستثبت عن جدارة
 واستحقاق أنها سائرة دوماً إلى الأمام بحول
 الله ، ولا يغرنكم - سيداتي وسادتي - ما نراه
 اليوم من النكسة العظيمة ، وهذا التخاذل
 الكبير الذي رأيناه أخيراً في صفوف العرب
 فها هي إلا نوبة بسيطة ، وما هي إلا اختلافات
 يسيرة ، وقد قال الإمام محمد عبده ، رحمه
 الله : « لعن الله السياسة ما دخلت شيئاً
 إلا أفسدته » ، فإن كانت السياسة تفسد ، فتحن
 سنصلح ما أفسدته ، ونعتصم بحبل الله تعالى
 فقد اجتمعت العروبة على القرآن ، والقرآن
 لسانه لغتنا العربية في هذا الميدان الفسيح
 نلتقى ، وبه نعمل ، وعليه نجاهد بحول
 الله وقوته ، وأرجو مخلصاً أن يكون اجتماعنا
 هذا الاجتماع العربي المحيد قدوة حسنة لرجال
 السياسة منا ، وإن كان لا مجال للسياسة في هذا
 الاجتماع المبارك ، ولكن الواجب يقضى
 علينا أن نقول : يجب على رجال السياسة
 العرب أن يتداركوا ما فات ، فقد بلغنا من
 الهوان مبلغاً لم يبلغه بلد من بلدان العروبة
 فيما مضى ، بلغنا من الهوان درجة جعلتنا
 أرذل ما يكون في هذا العالم ، جعلتنا نرى أبناءنا
 يذبحون ، ودماء نساءنا تسفك ، ونحن
 نضحك ونتلهي .

كان لنا المهرى ، كان لنا ابن رشد ، كان
 لنا فلان وفلان ، كانت لنا أمجاد ، يكفي
 هذا ، يجب أن نكون من قوم « صار لنا »
 و« أصبح لنا » ، و« أمسى لنا » ، و« أصبحى لنا
 المستقبل » ، نحن أبناء المستقبل ، إن شاء
 الله ، نحن نكون نهضة علمية ثقافية أدبية
 تعيد أمجاد اللغة ، وتعيد لها شرفها ، وترينا
 رأى العين أن هذه اللغة العظيمة التي كونت
 المدنية في أوربا ، كما يشهد بهذا الزهاء
 من رجال أوربا ، هذه اللغة تستطيع
 - لا كما كانت فحسب ، بل أعظم مما كانت -
 أن تسير العلم ، وتسير النهضة الحديثة ،
 وتسير المستقبل ، وتسير قدما نحو أهدافها
 العالية بفضل جهودكم ، أيها السادة المجميون
 وبفضل جهادكم أيها الإخوان المشاركون .
 فحياتنا حياة عمل ، حياة جد ، حياة نشاط
 لا نقبل فيها التهاون ، ولا نقبل منها النوم
 فقد طال وقت السبات . نحن الآن في عصر
 النهضة ، في عصر النمو ، يجب علينا
 أن نسير ، لا مع العالم ، بل في مقدمة العالم
 ولقد قال شاعر عربي قديم :

« لنا الصادر دون العالمين أو القبر » .

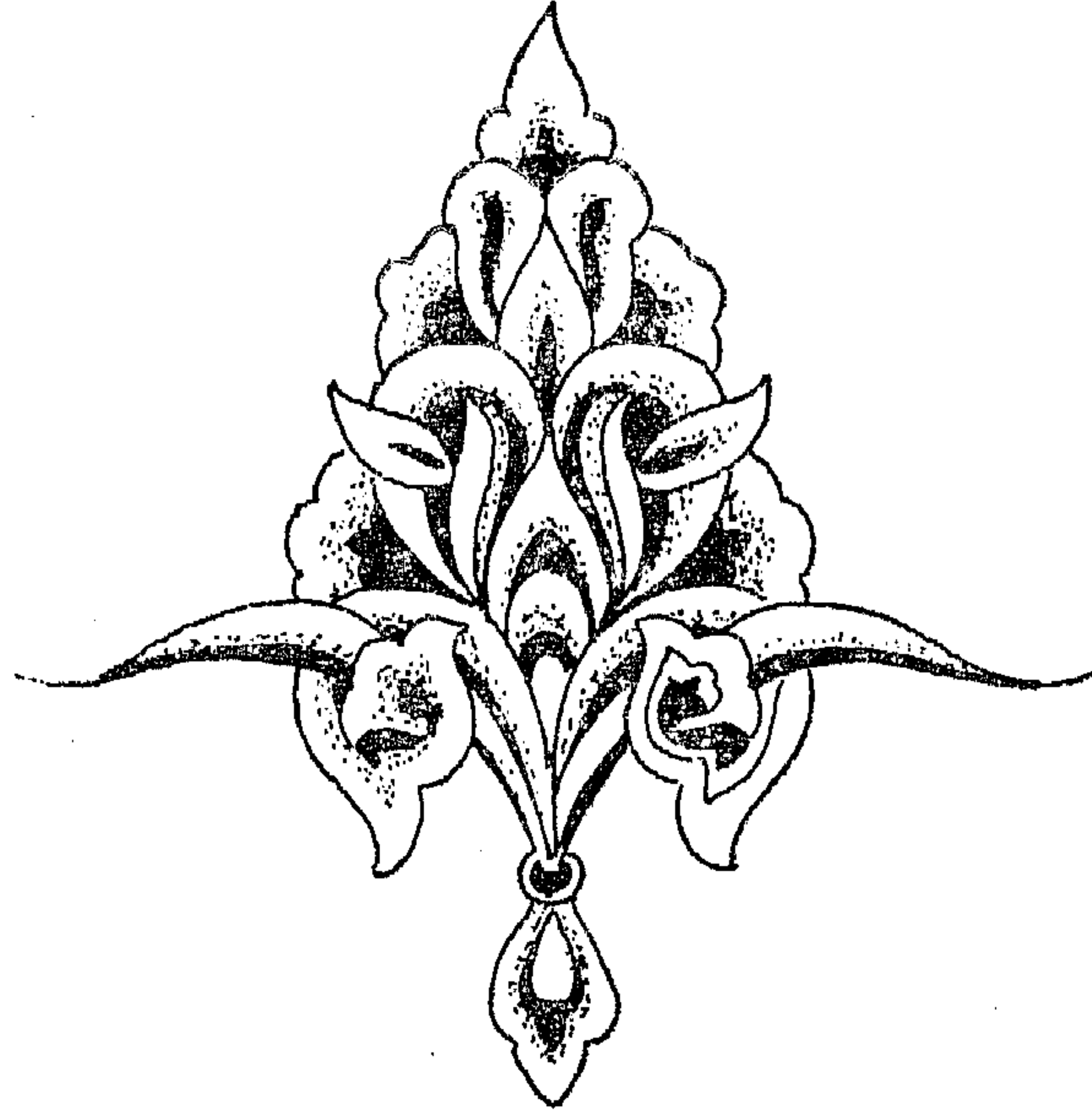
ولن يكون لنا القبر ، إن شاء الله ،
 بل يكون لنا الصادر ، فرجال أمثالكم لا يليق
 بهم أن يتأخروا عن الميدان ، لا يليق بهم
 إلا نهض بهم أممهم ولغتهم وثقافتهم وعلمهم
 وآدابهم .

نحن سلسلة متصلة ، إن ذكرنا أجدادنا
 فلندكر حاضرنا ، وإن ذكرنا حاضرنا فلندكر

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إيمان وإسلام
كفانا رقادا ، كفانا تشتتا ، علينا بإعادة
الماضي ، علينا بإجبار المتخاذلين على العودة
لكلمة الله وسنة رسول الله ، حتى نحقق ما قاله
الله عز وجل وعلا فينا في قرآنه العظيم ؛ إذ
خاطبنا بقوله :

«كنتم أخيراً أمة أخرجت للناس ، تمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» .
وما دمنا نؤمن بالله ، ونأمر بالمعروف
وننهى عن المنكر ، فلنتذكر أمجادنا ، ونهيب
أجيالنا الصاعدة للعمل المستقيم ، على الصراط
المستقيم ، نسأل الله تعالى الهداية والرشاد :
والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر



تحية المؤتمر

رأساً زعمراً عبد الفنى حسن (*)

أن يكون رئيساً للجنة تحرير الجزائر إبان
القبلة الأولى لحركة تحرير ذلك القطر الشقيق
فأنا أستمد منه الحماسة ، وإشارته الكريمة
إلى أن نتخلى عن الفعل « كان » إلى الفعل
« صار » ذكرته بقول شاعرنا الكريم :
إن الفنى من يقول هأنذا
ليس الفنى من يقول كان أبى
على كل حال أستميحكم العذر فى هذه
الثوانى لأبدأ فى إلقاء تحيتى للمؤتمر :

سيدى نائب رئيس الوزراء :
سيدى رئيس المجمع :
زملائى الأعزاء : : سادى :
كنت أخشى أن تكون كبرة من
السن قد علتى لتعوقى عن أن ألقى قصيدتى
كما يجب أن يكون الإلقاء ، ولكن صديقى
المجاهد العربى الثائر أمدنى بحماسة وحميته
وشجاعته التى لاتنسى ؛ فقد سبل تاريخه الوطنى
العظيم كفاحه لتحرير الجزائر ، واستحق

اقبلوا من نحو نجد ربحها

هذه « دجلة » فى حضن « القناة »
بعد هجر عارم الموجة ، عاتى
فيه من نور الهدى بعض السمات
بميامين على الفصحى ، هداية
وهو فوق اختلاف النزعات
ومن المغرب بعض النسبات
ومن القيصوم بعض النفحات :
عربى الوجوه ، حلو القسمات :

زينوا « النيل » بأعلام « الفرات »
ودنا الصاحب من صاحب
والتقى الأحباب فى مؤتمر
موكب قد حف فى روعته
هم أساة الجرح فيما مسنا
فيهمو من مشرق الأرض شذا
وبهم من شيخ (نجد) أرج
وعليهم سمت مجد تالد

* * *

(*) ألقى فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

—وسع البهو ، الأنيق الحجرات
قام في الحراب شيخ للصلاة
وتحييه بأشبه القبالات
واسكبه فضة في شرفاتي
واجتلي طلعتكم (بيت النحاة)
ونزلتم منه أسمى الدرجات
فالحيا أوله من قطرات

أيها النزال في منزلنا الـ
منزل قام علي « النيل » كما
ترتمى شمس الضحى في حصنه
فيناديها : أملاى الدنيا سنا
شرف العالم بكم في داره
قد حللتم فيه أسنى موضع
ثم كنتم أول الغيث به

* * *

هزنا من عسر ، أو عبرات
فقد السار من رفق السقاة
نفقد الآمال في الحظ المواتي
في العشيات كفيل بالعادة
لم يعد يوما خليقا بالحياة

ياله عامما تولى بالذى
وسقانا الدهر من كاسيه ما
وعلى الحالين لم نجزع ، ولم
ثقة أن الذى وفقنا
من يضيح أملا في دهره

* * *

حفلت فينا بشى الذكريات
وغنمنا ما بها من حسنات
ببشاشات الرضى والبسمات
ما طر ، نختق بالأزمات
لأوداء لهم غير جفاة
أججوا ما بينهم حرب الغلاة
لملاقاة طغاة ، وبغاة
وفقير يتلهى بالفتيات
وقوى عابث بالحرمات
وشقى لابس ثوب التقاة
بيد الغدر وطغان الطغاة
هجمة كانت أحسن الهجمات
(م) رأة إلا ضحايا الطعنات
فوهة المدفع ، أو حد الطيات

انقضى العام بنا في دورة
فتلقينا المساءت بها . :
وقبلناهما على علاتهما
وشهدنا صورا في عالم
من أشقاء تجافى بعضهم
وبنى دين عظيم واحد
وصفوف لم توحد راية
وغنى غارق في تخمة
وأخ يعدو على حق أخ
ومضل مرتد زى الهدى
وضحايا بعثت أشلائهم
بوغتوا في ليل بيروت على
لم تدع شيئا ، ولا طفلا ، ولا ام
ومزايالم تنسل إلا على

ورأينا الحق إن لم تحمسه
 وحملنا الرزء في صحب لنا
 (فعلى) (١) ، و (زكى) وليا
 تركوا (المجمع) منهم خاليها
 أوحش (المجمع) منهم . . ومضوا
 نحن في الدنيا حطام زائل
 قوة يقضى عليه بالميمات
 اندعوا أكبـادنا بالجمرات
 ومضى (الصياد) في غير أنـاة
 موحش الطلعة ، جهم القسمات
 في رحاب الله رحب الرحمات
 ورفات سائر فوق رفات

* * *

أه لا عتب على الدهر ، ولا
 ذمنا الأيام لا ينفعننا
 وخطوب الدهر لا يدفعها
 أهدال فيه يُرجى لاجـاة
 ليس نجى منه غير الحسرات
 شجن القلب ، ولا بث الشكاة

* * *

نحن في الله اعتقاد راسخ
 أو لم يكف انهارا أننا
 أو لم يكف افتخارا أننا
 أو لم يكف اعتبنارا أننا
 أو لم يكف انتصارا أننا
 وفعلنا في نهـار واحد
 وحملنا حملة الصقر على
 واخرقنا خط برليف بما
 فغسلنا العار عن تاريخنا
 فيم نبكى ، والمنى باسمـة
 فدعوننا في تلاقينا هنا
 إخوة نحن على رغم الـدى
 اختلاف الرأى لا يفسد ما
 ويقين ثابت أى ثبات
 قد تخطينا ضروب العقبات ؟
 قد سمونا فوق بعض الترهات ؟
 لم ننج ما فات ، أو نفرح بآتى ؟
 استعدنا الأرض من أيدى الغزاة ؟
 كل مالم نستطع في سنوات ؟
 ما أعدوا من صقور وبزاة ؟
 حملت ذراته من مخزيات
 وملأناه بأسنى الصفحات
 والأمانى حفل بالضحكات ؟
 ننس ما ذقناه من مر الشنات
 قام فيما بيننا من نزغات
 بين إخوان الصفا من حرمات

(١) هم المرحومون الزملاء الأعضاء الراحلون في العام الماضي : الأستاذ على النجدى ناصف ، والأستاذ محمد زكى

عبد القادر ، والدكتور محمد محمود الصياد .

ما أقام الله فينا من صلوات؟
 هي أقوى ما لنا من قربات
 وارصدوها في امتداد الفلوات
 في (منى) ، أو في الذرا من (عرفات)
 والقفوها في أراجيز الحداة
 وهي ربا بأرق النسمات
 وعلى الضفة من شط (الفرات)
 وثبة الأحرار في مصر القناة

كيف تنسينا خلافات الرؤى
 صلة القربى التي تربطنا
 فانشدوها تحت أفياء الربى
 واسمعوا صوت الملبين بها
 واحفظوها في أهازيج « اللوى »
 واقبلوا من نحو « نجاد » ريحها
 وانشقوا أنفاسها من (بردى)
 واذكروا في وثبة الليث بها

* في حروف حرة ، أو كلمات
 وهي من وحي عقول نيرات
 مشرق اللمحة ، سامى الخطوات
 لا ، ولا أعيت على وصف الصفات
 والغنى فيما حوت من ثروات
 من أداء طبع ، أو من أداة
 في مسار النور ، أو في الظلمات
 وانبرت للعمق في جذر النبات
 ما حوت أنفسنا من معجزات
 يوم كان الغرب يحيا في سبات
 وتبث الضوء في كل الجهات
 أصبحت فوق مجال الشبهات
 بين الآيات ، طهر النيرات
 ويفيض الذكر منه بالعظاات
 وتولاها بأنصار حماة
 فهي من مولدها « أم اللغات »

* لغة الضاد التي تجمعنا
 هي من نبض قلوب حية
 وهي من إلهام فكر مبدع
 لم تضق يوما بمعنى رائع
 نجد الدقة فيما أبدعت
 وهبت للعالم ما تملكه
 لم تغب عنها المعاني حضلا
 صعدت للنجم تستوضحه
 وأتت للطب تسهلى به
 ومضت تسدى إلى الدنيا يدا
 تنشر النور بأخفاء الدنيا
 وهي في كل مجال للنهى
 نزل القرآن مسطورا بها
 يزخر التنزيل فيه بالهدى
 حفظ الله به عزتها
 ووقاهها اللغو في منطقتها

* حافل مزدحم بالطيبات
 من غراس واعد بالثمرات
 في طريق زانخر بالتبعات
 وانطلاق لسديد الخطوات

* التقينا اليوم في مؤتمر
 فهو مرجو لما نأمله
 وهو مأمول لتوحيد الخطى
 وهو توثيق خطى ماضية

محمد عبد الغنى حسني
 عضو المجمع



لغة الصحافة في بلاد الشام للدكتور عدنان الخطيب

١ - تمهيد :

الأقطار هي كمصر نفسها : الرائدة والمثل
المحتذى وغيرها عيال عليها .

وإذا كان الكلام عن لغة الصحافة
في مصر ، يغني عن الكلام على صحافة غيرها
عامة ، فهو أشد غناء بالنسبة لصحافة بلاد
الشام خاصة ، فهما توأمان عاشا فترات
طويلة يتبادلان المحررين ؛ مشتركين في الطموح
والآمال على أنهما يتصاولان إذا ما أفسد
بينهما الزمان .

وفي هذه الأيام تكاد تكون لغة الصحافتين
واحدة ؛ لأن موضوعاتهما الرئيسة أو الرئيسية
(نسبة إلى رئيس كل قطر) هي واحدة تعالج
باللغة نفسها في نضاعة أساليبها أو أعجميتها
أو ركاكتها ، وإن اختلفت كل واحدة
عن الأخرى في آرائها واتجاهاتها ، فكلاهما
تقريباً تدور حول « كارثة فلسطين »
وما يتصل بها من موضوعات ، إضافة
إلى أن غالبية العاملين في الصحافة اليوم
هم من مثقفي العصر المتخرجين في الجامعات

قبل أن أبدأ حديثي عن « لغة الصحافة »
وأنا لست من رجالها ، يجدر بي أن أنوه
بالخاضرة التي أتخفنا بها قبل عامين أحد
بقية السلف من شيوخ الصحافة المصرية
الزميل المحترم محمد زكي عبد القادر وقد
افتقدناه في نهاية مؤتمرنا السابق تغمده الله
بواسع رحمته .

لقد اضطر فقيدنا الكبير إلى الإفاضة في
الكلام عن لغة الصحافة المصرية في عهدها
الذهبي ، أيام روادها الأعلام ؛ ليصل
إلى الكلام عن « العهود التي أخذت فيها لغة
الصحافة بالتدني ، وهي تعني بالخبر الحديد
وبالقصاص المثيرة أكثر من عنايتها باللفظ
الفصيح والأسلوب الرفيع » (١).

يومها قلت للزميل العزيز : « لو اضطر أي
عربي بعدك إلى الكلام عن لغة الصحافة
في بلاده ، لما جاء بأكثر مما حدثتنا به ؛ لأن
صحافة مصر بالنسبة إلى صحافة سائر

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية لمؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ٩ من جادى الأولى

١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٢ من فبراير ١٩٨٣ م) .

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٨١ عدنان الخطيب مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

التربية و برامج هذه الجامعات متماثلة ومستوى التحريج فيها يكاد يكون متقارباً . على أنى سأتجنب فى حديثى الكلام عن ماضى الصحافة وتاريخها ؛ لأسرع فى الانتهاء إلى الغاية المتوخاة من البحث ، وسأكتفى بذكر سببين من أسباب دفاعنا عن الفصحى وحرصنا على التزام الصحافة بها وبالأساليب العربية السليمة ، أحدهما مهم الكتاب أنفسهم بشكل خاص ، والآخر يهم العرب كل العرب .

السبب الأول : يكمن فى جواب جاء على لسان أستاذ جامعى معروف يوم سئل : هل قرأت رواية الأديب السودانى المرموق الطيب صالح الحديدية ، فقال : « اشتريتها من سنوات وحاولت قراءتها فوقفت كثرة العبارات السودانية الدارجة فى الحوار عقبة بينى وبين إتمام قراءتها » (١)

السبب الثانى : جاء فى حوار مع أديب فلسطينى مكافح كان يكتب بالعامية قال : « . . . عندما بدأت أكتب ، كان يهمنى أن أكتب ، ولم أكن أعنى مثل الكثيرين باللغة وقد كنت أبرر عدم العناية باللغة بـ (الثورية) . . . فما دمت أثور على اللغة ولا أهتم بقواعدها ، فلماذا أتعامل معها ؟ ولماذا أيضاً أهتم بترتيب الحمل والفقرات ؟ » وبعد أن ذكر كيف تكشفت له حقائق المؤامرات على العربية - وهدفها تجزئة

الوطن العربى إلى شعوب يتعصب كل واحد منها إلى لهجته - قال : « لقد تعلمت من ناقد عربى أن الكتابة بلغة صحيحة هى التى تخدم القضية ، ولقد عمدت منذ ذلك الوقت وحتى الآن إلى تطوير أدواتى . . . إننى أتعلم ، وإننى مصر على التعليم ؛ لأننى فعلاً أريد أن (أنقل) قضيتى إلى الناس » .

٢ - الصحافة بين عهدين :

يكاد الكتاب والمؤرخون والغيارى على الفصحى يجمعون على أن الصحافة العربية - بصورة عامة - اجتازت عصرأ زاهيا من عصورها نما وازدهر فى أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) إلى عصر جديد مازال يلفها حتى اليوم .

كما أنهم يتفقون على أن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤) - وإن حدثت من نشاط الصحافة وعاقبت تطورها - لم تقطع مسيرتها ؛ إذ استأنفت نشاطها وتطورها السريع بمجرد أن آذنت الحرب على الانتهاء .

وعندما رغبت فى تحديد التاريخ الفاصل بين العهدين لم أجد المعالم واضحة فى أول الأمر ، فنقبت فى جذاذات أحتفظ بها فعثرت على خبر نشرته صحيفة شامية غير سورية ونصه كما يأتى :

وزارة الاعلام السورية

تعيد زميلا إلى عمله

(١) انظر على الراعى فى مجلة العربى عدد يونيو ١٩٧٨ الكويت .

دمشق : أصدر معاون وزير الإعلام في الجمهورية العربية السورية قرارا بإعادة الزميل الأستاذ نوح إلى وظيفته في الوزارة بعد أن أصدرت المحكمة الإدارية العليا في مجلس الدولة حكما يقضى بإلغاء القرار الذي صدر عام ١٩٦٨ بتسريحه ، وذلك لعدم وجود مبرر لإصداره من الناحيتين القانونية والمسلكية ودفع حقوقه كاملة عن فترة التسريح :

فهنيء الزميل ونبعث بتحيةة إعجاب وتقدير إلى القضاء^(١) .

وبالخبر المذكور أمسكت ملاك الفصل الذي أريد بين العهدين ، فقد كنت أعرف شخصيا للصحافي الذي ورد اسمه في الخبر :

كان رحمه الله رجلا طيبا حسن السمعة غير موسع عليه في الرزق إلا أنني أجهل كيف أصبح صاحب صحيفة والمسؤول عن تحريرها هل الصحافة استهوته شابا فامتهنها أم أنه لم يجد غيرها مهنة تؤمن له معاشه ، فأصبح محرراً ثم تمكن من إصدار صحيفة باسم المحافظة التي ينتسب إليها وهي تبعد عن دمشق عشرات الكيلومترات :

وبعد سنوات عديدة استيقظ ذات يوم ليجد مكتب صحيفته مغلقا ويجد نفسه موظفا صغيرا في إحدى زوايا وزارة الإعلام بدمشق ، لا يعرف عملا محمدا يتوجب

عليه إنجازها ولا رئيسا واحدا يسبح بحمده ، وضاعت نفسه بما آلت إليه حاله فأخذ يناجها متدمرا ، وسمعت الأذان نفثات صدره وفي الصباح أدركه « التطهير » ليجد نفسه كهلا مسرحا من عمله بجوب الطرقات على غير هدى .

وعندما قرأت الخبر المذكور ذكرت « القانون » الذي استخدم لاقتلاع ذلك الصحافي العصامي من عمل حر ارتضاه بنفسه ليصبح بعده شيئا لا رأى له ولا كرامة .

وعدت إلى القانون أسأله عن تاريخ صدوره والأسباب الموجبة التي صنعت له؟

فيذا بي أمام مجموعة من القوانين صدرت متتابعة في سنوات عقد أو يزيد بدءا من نهاية النصف الأول من هذا القرن أصدرتها عصابة من الناشرين أطاحوا بالنظام القديم محتجين بأنه نظام بال يعجز عن حماية البلاد وقد زرع أعداؤها في قلبها جسما غريبا لا يدفع أذاه إلا حازم عنيد^(٢) .

٣ - لغة الصحافة وأثر النظام السياسي فيها :

إن الصحافة بطبيعتها نشوئها وبحكم وظيفتها الحضارية لا تزدهر ولا تؤدي خدماتها على الوجه الأكمل إلا إذا كانت حرة

(١) انظر صحيفة الأنباء بيروت نوفمبر ١٩٧١

(٢) وقع أول انقلاب عسكري في سورية في مارس سنة ١٩٤٩ وتلاه آخر بعد أشهر ثم تعالت الانقلابات .

ثتبارى فى كشف الحقائق ، وتنافس فى تقديم ما يعود على بلادها وقراءها بالفائدة ولهذا كانت شديدة التأثير بشكل النظام السياسى الذى تصدر فى ظله .

وحديثى اليوم عن لغة الصحافة يشمل صحافة جميع الأقطار الشامية وإن كانت ذات أنظمة سياسية مختلفة وتحكمها قوانين متباينة إضافة إلى أن حد السلطات الحاكمة لحريةها على تفاوت كبير بينها ؛ إذ يقتصر فى بعضها على مجرد التوجيه والتحذير بينما بلغ فى فى غيرها حد درجة استلحاق المؤسسات الصحافية كلها بأجهزة الدولة . ويستثنى لبنان العربى من كل هذا ؛ إذ كانت صحافته حرة بكل أبعاد الحرية حتى وقع مضرجا بدماء أبنائه إلا أن لغة الصحافة فيها تكاد تكون واحدة بحكم الحوار والروابط المتينة بين سكانها وتقارب التفكير القانونى فيما بينها . أما صحافة فلسطين الديقحة ، فأنا لا أعرف شيئاً عنها سوى ما قد أسمعه من مقتطفات كتبت فيها بلغة تعدل لغة الصحافة فى سائر الأقطار وإن كانت تتجلى وكأن غلالة من اليأس والقنوط قرين عليها .

٤ - سلطان الفصحى والشعر الأصيل :

طغت على الصحافة المستلحقة لغة تشبه الدواوين فيها الحذر من التبعة والخوف من المسؤوليات أمام الرؤساء، واعتاد الناس عليها وعلى ما ينشر فيها من أدب وشعر حديث غير أن سلطان الفصحى المشرقة

والشعر الموزون الأصيل لم يضعف عندهم ، فتراهم يفتشون عنها سرا وجهارا دون وساطة الصحافة .

ويوم منى العرب بالهزيمة الكبرى فى الحرب مع إسرائيل طلع شاعر العربية العملاق بدوى الجبل علينا برأئته « من وحى الهزيمة » فتردد صداها فى الوطن من خليجه إلى محيطه قبل أن تجرؤ صحيفه واحدة على نشرها .

وكان مما جاء فى تلك القصيدة الطويلة أبيات ثلاثة مشرقة الفاظها بايعة فيما ترى إليه . قال الشاعر :

نحن موتى : وشر ما ابتدع الطغى -

— بيان موتى على الدروب تسير

نحن موتى يسر جار لجار

مستريا : متى يكون النشور

ارجعوا للشعوب يا حاكميها

لن يفيد التهويل والتخريف

وتضم المكتبة العربية اليوم عشرات من الكتب تؤرخ لتلك الفاجعة وتفصل ملامساتها وتبحث فى أسبابها على شكل مذكرات واعترافات أو روايات وقصص تكشف بعض المعميات أو تفضح شيئاً من أسرار الكارثة ، وشاهد الكثيرون فى مختلف أقطار الوطن العربى عدداً من هذه الروايات تمثيلاً على الشاشة أو المسرح بلغة أثقلتها التوريات والإيماءات ، كما أن كتاب الصحف العربية الحرة التى تصدر فى مهاجرها مازالوا

إلى اليوم يدبجون المقالات التي يقبل الناس على قراءتها ويرتاحون بالحديث عنها ، دون أن يفقدوا النشوة العارمة إذا ما استمعوا إلى الأبيات الثلاثة المذكورة :

٥ - هجرة الصحافة :

لابد لي من أن أتطرق وأنا أتحدث عن « لغة الصحافة » إلى ظاهرة غريبة تمت في سنوات العقود الأخيرة الماضية ؛ فقد نزحت عن الوطن العربي نخبة من شباب رجال الصحافة ميممة وجهها شطر البلاد الأوربية ، ولم نلبث بعد رحيلها حيناً من الدهر ، حتى وافتنا صحف عربية محررة بأقلام بعض أفراد تلك النخبة ، تطبع وتصدر عن إحدى عواصم الدول التي استقر فيها المحررون وقد أطلق الناس على مجموعها اسم « الصحافة المهاجرة »

ويجدر بنا أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت بصحف عربية إلى هجر أوطانها لتعود إلى قرأتها في الوطن العربية محملة إياهم نفقات قد تمتنع فئات كثيرة منهم من شرائها .

أنا لا أستطيع الإجابة عن هذا التساؤل بأفضل مما قرأه الناس في بعض تلك الصحف ، وإنى مجتزئ مما كتب بالنبذة الحديثة التالية :

أورد صحافي شاب في مقالة له ، قصة معاوية بن أبي سفيان مع الرجل الذي ظل

صامتاً في مجلسه بعد أن تكلم جميع من فيه ، فطلب منه معاوية أن يتكلم فقال :

— والله يا أمير المؤمنين إني أخشى الله إن كذبت ، وأخشاكم إن صدقت .

وأردف الصحافي بقول « . . . سبق لنا أن أطلقنا كذبة كبرى على القارئ ، قلنا فيها : إننا حضرنا إلى هنا لنقول ما نريد ، والأرجح أيها السادة أننا جئنا إلى باريس لنعيش كما نريد . ومن هذا المنطلق لسنا مستعدين أن نموت في سبيل أن نقدم للقارئ رأياً صحفياً نعتقد أنه الصحيح ؛ فمعظم الأنظمة العربية تملك الاستعداد الكافي « لتصفية » أي صحافي يقول نصف الحقيقة ، فما بالك بالحقيقة كلها . . . » (١)

٦ - اللغة في الصحافة المهاجرة :

تتنافس الصحف المهاجرة في الادعاء باستقلاليتها عن أي نزعة غير قومية وفي نفي ارتباطها بأي نظام عربي محدد ، وبأنها تعرض على الناس الحقائق التي تراها أو تتصل بها إذا كانت تدعم المصلحة العربية ، وتساهم في توحيد الصف العربي في مواجهة الأعداء والطامعين الغرباء في بلاد العرب وثوراتهم الطبيعية .

على أن محرري تلك الصحف يبقون حذرين فيما يكتبون ، شديدي الحيطة في عرض آرائهم وما يزعمون أنه هو الحقيقة ؛ وما ذلك إلا

(١) انظر مقال ياسر عبد ربه في صفحة حرة من مجلة المستقبل عدد ٣٠٧ صدرت في باريس يوم ٨ يناير ١٩٨٣

خوفاً من منع تداول صحفهم أو تمزيق صفحات منها كما يجرى ذلك في أقطار كثيرة .

أما كتاب الصحافة المهاجرة من داخل الوطن العربي فإنهم يلجأون إلى التعمية والتورية وإلى الاستعارة والحجاز يملأون بها كتاباتهم التي تنطق فيها الحيوانات بالحكم والأمثال وتصف معاناتها الرهيبة من ظلم الإنسان لها .

لقد التقطت نبذا صغيرة لما نشرته صحيفة واحدة من المهاجرات أعرضها عليكم ؛ تسجيلاً لهذه المرحلة من تأثر اللغة العربية بالواقع العربي المؤلم فيما يلي :

١ - قال كاتب مرموق في مقال له مايلي :

« . . . وبين ضجيج السيارات وزحام المارة التقيته على غير توقع ، قفا منزلياً وجيباً ، تضاعل حجمه واتسخ وبره وتباطأت خطواته ، ولما كان معروفاً لدى بالشهامة والكبرياء وعزة النفس ، استغربت وجوده مختبئاً في أحد صناديق القمامة ، ولما اقتربت منه مستوضحاً قال ، وهو يدفن وجهه بين قائمته الأماميتين :

- ابتعد عني أرجوك إنني مراقب .

- ممن ؟

- من الفران . . . وأعفني من التفاصيل خوفاً من ضربة مكنسة ، أو عظمة كاتمة

للهواء من أول الحديث ، ودعنا في العموميات ؛ لأن مشكلتي عامة لا ترتبط بزمان معين أو مطبخ معين ، وكل ما في الأمر أنني كقط أينما سرت وأنتى قفزت في هذا الوطن العربي الكريم ، أرى الدموع تالألأ في كل مكان وأشم رائحة الدم في كل زاوية . . . » (١)

٢ - شاعر عربي مرموق ، يتهافت الشباب في أنحاء الوطن العربي على قراءته يكتب في السياسة ، على طريقته الخاصة نثراً يصور فيه حال الإنسان العربي في وطنه ، وكتب مؤخراً عريضة على لسان الأغنام ، هذا مطلعها : « نحن - الأغنام العربية - الموقعة بحوافرها أدناه ، بعد التوكل على أطفاف الله سبحانه وتعالى ، وكتابة وصيتنا ، والتأمين على رؤوسنا ضد القطع لدى شركة أميركان لايف إنشورنس . . . قررنا أن نكتب في شؤوننا (الغنمية) إلى سيدنا السلطان وزوجته قمر الزمان . . . »

نرجو قبل كل شيء أن تسامحونا على رداءة خطنا . . . وضعفنا في قواعد اللغة العربية . . . :

فنحن - كما سبق أن قلنا في أول هذا الاستدعاء - نكتب بحوافرنا . . . لأنكم صادرتم كل دفاتر الكتابة ، وكل أقلام الحبر السائل والناشف الموجود في السوق واعتبرتموها من المواد الكمالية . . . كالعطور . . . والمشدات . . . ورافعات النهود . . . ثم نرجو أن تغفروا

(١) انظر محمد الماغوط . صحيفة المستقبل عدد ٣٠٧ باريس في ٨ يناير ١٩٨٣

لنا ضعفنا في الصرف والنحو والإملاء لثلاثة أسباب :

أولاً : لأن غلاء الأقساط المدرسية لا يسمح لنا بالذهاب إلى المدرسة لاستكمال تعليمنا .

ثانياً : لأننا نكدح ليلاً ونهاراً لتأمين عائلتنا اليومي .

معين - أن نضع عنوان الموضوع على رأس الصفحة ، ثم نرسم شارباً مرتفعاً إلى أعلى .
وفي الصفحة المؤيدة لموضوع ما نرسم لحية رفيعة . أما إذا كنا لا معترضين ولا راضين فنرسم شارباً مستويًا ، ونترك اللحية للصفحة التي بلا رأي . . . (٢)

٧ - الصحافة والدعوة إلى العامية :

يعتقد كثير من الباحثين بأن الدعوة إلى العامية ، التي كان لها في مصر وأقطار عربية أخرى تاريخ دونه مؤرخون يهتمون بالفصحى قد ضعفت في أواخر العهد الزاهر للصحافة ثم إنها بدأت تسترد قواها مع بدء العهد الذي تلاه ، تعيينها في ذلك الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام ، حتى باتت الفصحى والأخطار تهددها اليوم من كل حذب وصوب .

إن هذا الاعتقاد يحمل جانباً كبيراً من الحقيقة ؛ لأن الواقع يثبت أن تلك الدعوة الحبيثة التي كانت وليدة حرية الصحافة ، قويت يوم كانت مزدهرة غير أنها لم تضعف بعد ذلك في أي قطر من الأقطار العربية ، ولكنها استكانت وارتدت إلى أوتارها أمام قوة خصومها ودعم الرأي العام لهم ، فلما دب الضعف في صفوف أنصار الفصحى بنفوس الغيرة عليها عند الجماهير ، عادت الدعوة إلى الظهور والنشاط تحمياً ثياب جديدة باسم (حرية الرأي والتعبير)

ثالثاً : (وهو السبب الأهم) لأن الفصاحة ليست مطلوبة في الوقت الحاضر ؛ لأن كل فصيح هو عميل حتى يثبت براءته . . . (١)

٣- ويبدو أن حذر محرري الصحيفة وأسلوب كتابها الساخرين لم يحولا دون بقائها في منجاة من الخوف على نفسها مما جعل المسؤول عن التحرير يبادر في العدد الأخير إلى نشر خبر في صفحتها الأولى يقول فيه :

« أصدرت السلطات التركية مرسوماً يقضي بمنع إطلاق اللحن والشوارب بصورة مبالغ فيها . . . في الجامعات » .

وبعد أن ذكر الأسباب التي دفعت السلطات التركية إلى الأمر المشار إليه ، علق على الخبر قائلاً :

« . . . كى لا يفاجأ القراء - إذا استمر الضغط على الصحافة العربية - سنلجأ نحن إلى أسلوب اللحن والشوارب ، فنكتفي مثلاً - إذا أردنا أن نعبر عن اعتراضنا على موضوع

(١) انظر نزار قباني . صحيفة المستقبل عدد رقم ٣٠١ الصادر في باريس يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٨٣

(٢) انظر مجلة المستقبل العدد ٣٠٩ الصادر في باريس بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٨٣

أو (إحياء التراث والفنون الشعبية) أو
(تشجيع الناشئة والطلائعية التقدمية) .

وخير دليل على هذا أن الدعوة إلى
العامية كانت وما زالت قوية في لبنان
بلد الصحافة الحرة ، غير أن قوتها لم تزد
إلا بمقدار الضعف الذي حل بالمتصددين
لها ، المنافحين عن الفصحى ، الأمر الذي
دفع جيلا جديداً من أنصارها إلى دعوة
جديدة باسم « اللغة العربية الحديثة » .

٨ - اللغة المحكية :

قامت في السنوات الأخيرة في لبنان
بدعة جديدة تدعو إلى العامية المحكية ،
والاختلاف بين الدعوتين جاء على لسان
صاحب الدعوة الجديدة ؛ إذ قال :

« الفرق شاسع وأساسى ؛ فهم كتبوا
ويكتبون بلهجة محلية ، وأما أنا فأكتب بلغة
عربية حديثة ؛ أى بلغة أعترف بما طرأ
عليها على ألسنة المتكلمين بها من تغيير
وتحسين ؛ فيكفى مثلاً أن نلغى حركات
الإعراب لنطرح عن كاهلنا وكاهل أبنائنا
وأجيالنا الطالعة حملاً ثقيلاً لم يعد بإمكاننا
ولا يجوز على الإطلاق أن نتمسك به ، فإذا
كنا نتكلم ونتفاهم بدون إعراب فلماذا
الإعراب إذن ؟

وهكذا قل عن أسماء الموصول والإشارة
وعن المثني وثون الإناث وسواها من
الضمائر التي سقطت من اللغة التي نتكلم بها .

والدليل الساطع على حكمة الحياة في
في طرح مالا لزوم له هو أن الذي طرحته
من اللغة العربية لا يقتصر على بلد عربي
دون آخر من الخليج إلى المحيط . فلا إعراب
مثلاً حتى في منشأ اللغة العربية ومهداها « (١)

« وعندما سئل صاحب هذه البدعة عن
ما يعتقد في صداها لدى مجامع اللغة قال :

أولاً : هذه اللغة ليست لغتي فهي لغة
الشعب الذي يتكلم بها .

وثانياً : إن هذا الشعب هو فوق المجامع
وفوق المراجع وفوق القوانين والأنظمة ؛
ولا يقدر أحد أن يفرض عليه شيئاً أو يمنعه من
أن يأخذ بما يشاء ، وخصوصاً بالنسبة إلى
اللغة ؛ لأن اللغة إذا خرجت على اللسان فلا
يمكن أن تعود إليه . فلو بقينا مليون سنة
نعلم أبناءنا اللغة العربية القديمة فلن يتكلموا
بها أبداً « (٢) .

وكان قد سبق لصاحب البدعة الجديدة
نفسه أن كتب : « كيف ممكن يصير
العقل حديث من دون لغة حديثة ؟ اللغة
أكبر مشكلة عميواجهها العرب . ومن
دون حل مشكلة اللغسة باعتماد المحكية
ما بيتحرر العقل العربي ، ولا بيتقدم الإنسان
العربي حتى يتغلب على مشكلة إسرائيل
..... » (٣) .

(١) انظر يوسف الخال في صحيفة « الأسبوع العربي » بيروت في ١ يونيو ١٩٨١

(٢) المصدر نفسه . (٣) انظر صحيفة النهار العربي والدولي بيروت في ٢٠ أكتوبر ١٩٨٠

٩ - تقارض الاهتمام بين المجمع والصحافة

دأب مؤتمر مجمع اللغة العربية على اختتام أعماله السنوية بمقررات عامة وكان ينخص الصحافة العربية ببعضها وهو يوصيها دائماً «بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، مقدرًا لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية» داعيًا إياها إلى «الاهتمام بما يقرره المجمع وما يطبعه» .

لا شك عندي بأن الصحافة العربية - بصورة عامة - تكن للمجمعيين في مجموعهم كل تقدير واحترام ، ولكنها تبعًا لطبيعتها تعنى دائماً - مع الأسف - بالجانب الإخباري لاجتماعاتهم ومؤتمراتهم ، أكثر من عنايتها بالجانب الموضوعي لأبحاثهم ومقرراتهم .

كما كانت بعض لجان المجمع تتابع الصحافة فيما تستخدمه من ألفاظ لمدلولات مستحدثة ، وتلاحق الأساليب غير الفصيحة أو غير العربية التي ترددها الصحافة في الموضوعات التي تنقلها عن اللغات الأجنبية بسرعة فائقة ، وتحاول جاهدة في مؤتمر المجمع السنوي ، ليقر ما ترى له وجهًا من ألفاظ لمدلولاتها المتداولة بين الناس ، أو ليحجز بعض الأساليب التي تمكنت من تخريبها على وجه يحشرها في الأساليب العربية المقبولة .

وبالرغم من أن الدعوة إلى العامية تعيش في لبنان ، الغالى على الأمة العربية ، إلا أن أنصارها ينفثون سموها بصحافته القوية المتقدمة المقروعة في سائر الأقطار العربية ، حتى أصبح للعامية أنصار في صحافة أشد الأقطار تعصبًا للفصحى ، يستغلون شعارات (التحرير والتحديث) فيدسون مثل قولهم : «... إن لغة الناس كانت غير لغة السادة ، لغة ديوان الخليفة ، كانت متأنقة مترفة رصينة لماعة ، ولكن اللغة كانت تتطور داخليا ، تتخمر حتى وصلت دائما إلى مراحل عصت أوامر السلفيين ؛ أى التقليديين ، وقفزت إلى مستوى جديد كل الحدة ، ومن هذا المنظور يمكن أن نفهم كيف سقطت حركات الإعراب من هذه اللغة أو تلك ، وكيف تحولت العامية إلى لغة قومية ... (١)» .

أو أنهم باسم الحفاظ على التراث الشعبي يسجلون مثل هذا المطلع لقصة محلية : «وقعت بالأمس في حارتنا حادثة تموت الواحد من الضحك ذلك أن حمدان فسفسنة الذي يعمل زبالا في قميل^(٢) الحمام خرج من منزله متوجها لأول مرة في حياته إلى مدرسة الحارة ممتطيا ظهر البغل الذي يحمله طيلة النهار أكوام القمامة ، ينضرب جنبي البغل بحبل الرسن هاتفا به حيا بغل حيا... (٣)» .

(١) انظر صحيفة تشرين دمشق في ٦ فبراير ١٩٨٣

(٢) القميل بتشديد الميم عند العامة في حلب هو القمين عند العامة في مصر والقميم عند عامة أهل الشام والأخير

أقربها للفصحى .

(٣) انظر « مقصد العاصي » من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ١٩٨٢

فما هو صدى التوصيات التي يصدرها المؤتمر سنويا في الصحافة العربية؟ وما هو موقفها من مقررات المجمع ولجانها ومن مطبوعاته عندما تصدر؟

لقد لاحظت أن الصحافة زادت من اهتمامها بأمر اللغة في السنوات الأخيرة، ولا تخلو اليوم الصفحات التي خصصتها للثقافة والآداب من بحث أو أكثر في موضوع لغوي، وإنك لتجد في الصحف السياسية التي تصدر في دمشق زاوية دائمة تكاد تكون يومية تحت اسم «نافذة على اللغة»^(١) أو «لغتنا الجميلة»^(٢) أو «لغة العرب»^(٣)

وقد لا تخلو الصحف أحيانا من تعليقات على مقررات المجمع؛ تعليقات قد تكون إشادة بهذه المقررات أو ثناء عليها، وقد تكون مصحوبة بنقد لها أو غمَز فيها. وفي بعض الحالات تجد التعليق مبنيا على توهم أو فكرة مبتدعة لا صحة لها، وغالبا ما يكون الرد على أمثال هذه التعليقات غير مفيد.

وأود أن أسجل هنا ما وقعت عليه في صحافة الأقطار الشامية خلال السنوات الخمس الماضية في النبتين الآتيتين:

النبتة الأولى: كان تعليق الصحافة على توصيات المؤتمر ضعيفا تبالواقع السياسي

السائد بين مختلف الأقطار العربية، وفيما يلي مقتطعات من كل تعليق:

١- نشرت صحيفة تصدر في لبنان مقالا تهكيا عقب مؤتمر سنة ١٩٧٨ جاء فيه: (٤) «تستنفد أعمال مجمع اللغة العربية بمقر رواد تعريب المفردات الأعجمية في الحيزة نصف أيام شهر آذار (مارس) من كل سنة. أربع وأربعون سنة كرس هذا التقليد؛ ولذلك شهدت خلال الشهر الماضي القاعة الكبرى للجامعة العربية جلسة الافتتاح الأولى العلنية بالخطب المناسبة التي توالى على إلقائها عدد من الخالدين،

قيل إن ألف تسمية أعجمية تناولها التعديل اللغوي.... هذه كانت حصيلة إنجازات الخالدين على صعيد تطوير محاولات غزو الألفاظ الأجنبية للغة. فوضعوا هذه التسميات «الجاهلية» في ملفاتهم ريثما تصبح قيد التداول.. تماما كما لو كان تبديل اسم الرغيف الافرنجي «بالشاطر والمشطور وبينهما طازج» يمثل اكتشافا عبقريا بالنسبة إلى العرب وكل التراث ومجد العرب».

٢- جاءني صحيفة تصدر في سورية من مقال جاد عقب مؤتمر سنة ١٩٧٩ ما يلي (٥):

(١) انظر البحث اليومية. (٢) انظر تشرين اليومية. (٣) انظر الثورة اليومية.

(٤) نشر المقال في «الأسبوع العربي» بيروت ١٠ / ٤ / ١٩٧٨ بتوقيع ريمون عقل.

(٥) نشر في «البعث» دمشق في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ بقلم أحمد شكري.

« اعتبر المؤتمر السنوي الأخير لمجامع اللغة العربية وسائل الإعلام مسئولة عن الكثير من ظواهر الخطأ والضعف في لغتنا التومرية، وقال العديد من أعضاء المؤتمر إن معظم هذه الأجهزة يفتقر إلى المديعين ذوى الكفاءات العالية وإلى الإعداد الجيد للبرامج » .

وبصورة خاصة توجه المؤتمر إلى الصحافة موصيا إياها بالمزيد من العناية بسلامة لغتها وقدر لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة ، وفنون الأدب خاصة : : : .

والأمر يتعلق باللغة العربية فهى الرابطة الرئيسية بين الشعب العربى فى جميع أقطاره من المحيط إلى الخليج : : .

نقول هذا ، وفى أذهاننا آخر محاولة فى لبنان لجعل العامية المحامية لغة للأدب والشعر والصحافة ، فهى على هزالها دليل آخر على شراسة الحملة المشبوهة والمتواصلة لإضعاف اللغة العربية الفصحى ، لغة الأمة العربية جمعاء، وإيجاد انقسام لغوى يصب فى مجرى التجزئة .

٣ - جاء فى مجلة تصدر فى سورية من مقال يلخص وقائع مؤتمر سنة ١٩٨٠ ما يلى (١)

« : : : . وعرضت لجنة اللهجات على المؤتمر أعمالها » ، وتشمل :

(أ) الظواهر الصوتية فى لهجة طي ، وفى لهجة هذيل :

(ب) إدراج مائة كلمة عامية فى معجمات الفصحى «

٤ - وجاء فى صحيفة تصدر فى سورية أيضا من مقال يشرح فيه أعمال لجنة اللهجات فى سنة ١٩٨٠ ما يلى (٢) :

« . : وجاء فى القرار الثانى من قرارات لجنة اللهجات الكلام التالى : : إن لجنة اللهجات كانت دقيقة حين نظرت إلى الوحدة بين العامية والفصحى من جانب الألفاظ وحدها. فى هذا الجانب - وحده - تبدو عاميتنا شديدة الاقتراب من الفصحى » .

إن العامية مرفوضة دون شك ، وإن الجهود تبرى لتوهين ما يسمى ازدواجية اللغة العربية ، ولا يشك المرء فى أن نشر الكلمات الفصيحة الموجودة فى العامية ، يساعد كثيرا من علماء اللغة على تحديد المعنى الحقيقى للعامية المبتدلة المرفوضة التى يصح تجنبها ونبذها :

٥ - وجاء فى مقال يثنى فيه صاحبه على جهود المجمعين فى خدمة العربية دعاية لطيفة ؛

(١) انظر م م (لغة عربية) دمشق فى ١ / ٤ / ١٩٨١ بتوقيع ش . ف

(٢) انظر صحيفة العروبة حمص فى مايو ١٩٨١ بقلم سر روى فيصل

إذ نقل قصة أبي حسان التي ردها على مسامعنا
الزميل المحترم عبد الرزاق محيي الدين يوم
عرض على المؤتمر سنة ١٩٨١ قرار لجنة
الألفاظ في التسوية بين (المتوفى والمتوفى)
على الشكل الآتي (١) :

«سأل رجل يقرأ ما يصدر عن المجمع اللغوي
شيخا وقورا رآه يمشى خلف جنازة : من
« المتوفى » فقال الشيخ : اخجل يا أخى
واسأل عن « المتوفى » فالمتوفى هو الله جل جلاله
فقال السائل : والله ياسيدي أنت أجدر منى
بالخجل ؛ لأنك لم تقرأ ما قررته لجنة المجمع
من أن للفظين دلالة واحدة .

النبذة الثانية : لم ألاحظ فيما اطلعت عليه
من صحف أى تعليق أو نقد لقرارات
المؤتمر فى أعمال لجنة الألفاظ والأساليب
بإجازة أو رفض الألفاظ والأساليب الصحافية
التي درستها ، وحسبى أن أسجل فى حديثى
هذا قصة لفظة واحدة كثيرة الورد فى
الصحافة ، أجاز المؤتمر استعمالها بصيغة
حددها ، فما هى القصة ؟

كان المجمع موافقا على رأى الصحافة
فى أن لفظة (عقد) الأصيلة المنعوتة برقم ،
قاصرة عن الوفاء بالمعنى المعاصر المستفاد
من جمع اسم (عشر السنوات) المقصودة

بالإشارة ، فسنوات (العقد الثالث) ليست
هى سنوات (العشرينيات) المتطورة تماما
و (الثمانينيات) التي نعيش اليوم فى سنواتها
لا يفى بمعناها قولنا (العقد التاسع) ، لهذا أجاز
المجمع - من عشر سنوات - استعمال هذه اللفظة
المستحدثة شارطا لإثبات ياء النسب فيها . (٢)

ورجال الصحافة الذين اطلعوا على قرار
المجمع قلائل جدا ؛ إذ مازالت الصحف تكتب
(الخمسينات) دون إثبات ياء النسب ، غير
أنى لا أنكر أنى بدأت أقرأ لكاتب مرموق
ولغيره مقالات حديثة أورد فيها اللفظة
برسمها الصحيح . (٣)

١٠ - تقييم لغة الصحافة المعاصرة :

إن المقارنة بين لغة الصحافة فى عهدها
الماضى والمعاصر ، لا تعطى صحافة اليوم
درجة رفيعة فى فن التقاط الخبر وجمال
الإخراج وإتقان الطباعة فحسب ، بل تعطىها
درجة عالية فى المستوى العام للغة المحررين .
وهى فى هذا المستوى تعلو فى القاعدة عن
مستوى لغة الصحافة - فى عهدها الذى غير -
علاوا واضحا ، وهذا أمر واقع غير مستغرب
بعد ارتفاع مستوى لغة العامة نحو الفصحى
خلال نصف القرن الأخير من جهة ، وبعد
اتساع التعليم العالى من جهة أخرى :

(١) انظر قرار لجنة الألفاظ والأساليب المعروض على المؤتمر سنة ١٩٨١ وتدرأفص المؤتمر قراردا بأكثرية
واضحة .

(٢) فى الدورة الجمعية التاسعة والأربعين لسنة ١٩٨٣

(٣) أحمد بهاء الدين فى مقالاته المنشورة فى صحيفة المستقبل فبراير ١٩٨٣

لقد فقدت الفصحى من يحرص عليها في جميع المجالس ، حتى في تلك التي كانت منابرها تهتز من بلاغة خطبائها فتترنح جماهير الشعب من الصدى :

لقد افتقدت العربية أساليبها الأصلية وبياناتها الرائجة في الصحف والمجلات؛ وفي مؤلفات كبار العلماء، وحتى في كتب الأدباء والشعراء المحدثين :

لقد طال العهد على الجماهير وهي تقرأ ما تقدمه المطابع إليها ، وتسمع ما يردده أصحاب السلطان عليها ، حتى فقدت حاسة استنكار اللحن والحمية في الدفاع عن لغة الذكر الحكيم .

نعم ، كل عربي منا مسؤول .

إن الرسام الذي كتب (لافتة) لطبيب؛ فصور الحرف اللثوي في اسمه بالشكل الذي عليه نطق العامة مسؤول (٢) وقدما كان الخطاطون من حفظة القرآن الكريم أو ممن تعلموا قواعد الإملاء على الأقل .

أما الطبيب الجامعي الذي رفع على عيادته تلك (اللافتة) فمسؤوليته أشد خطرا على العربية من مسؤولية بائع الفاكهة وقد ارتنى (لافتة) رسم عليها (بياع فواكه) زنة (بواكه) .

غير أن هذا الارتفاع في القاعدة تم مع توارى القمم العالية ، أمثال تلك التي كانت أسماؤها تتوج صحف أمس البعيد ، وأما القمم في الصحافة الحاضرة فهي قليلة العدد أولا ، وثانيا : إن ارتفاعها لا يتكون من مجموع كفاياتها الشخصية فقط .

إن أعلام الصحافيين في العهود الماضية أغنوا المكتبة العربية بمصادر مازالت حتى اليوم معتمدة في موضوعاتها ، جمعوها بأنفسهم أو جمعت لهم بعد رحيلهم بعد أن كانت مقالات أو أحاديث صحافية منشورة كاللآلئ في صحفهم يتهافت الناس على التقاطها والتفاخر بجمعها والاحتفاظ بها ذخرا لهم ولأبنائهم من بعدهم (١) .

١١ - المسؤولون عن حماية الفصحى :

قد يسأل بعضنا بعضا: ومن هو المسؤول عن ما يحيط بالفصحى من أخطار نراها ماثلة أمام أعيننا ، والغير منا عليها يتعشرون في الطرق التي يرون فيها سبيل إنقاذ الضاد من محنتها ؟

أستميحكم عذرا إذا ماجهرت قائلا : كل واحد منا مسؤول في هذا ، وكل من قال أنا عربي هو مسؤول أيضا، كل في حدود ماله من تبعات؛ لأن العربية فقدت من يعنى بها في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة وحتى في الجوامع .

(١) انظر مجموعة كتب الراحلين من أعلام الصحافة في بلاد الشام من أمثال محمد كرد علي وعبد القادر المغربي وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وخير الدين الزركلي وبشارة الخوري وأمين سعيد .

(٢) اللافتة موجوده على البناء ذي الرقم ٢٨ في شارع سليمان بن عبد الملك .

والعامل الحكومي على تسجيل (الأحوال الشخصية) للناس - وقد جاءته فلاحه تقول : ولدت بنتا وأطلقت عليها اسم أمي (سلمى) فسجل (سلما) دون إثبات التنزين طبعاً - مسئول مسؤولية كبرى عن قائمة طويلة من الأسماء المسجلة في سجلات الحكومة بصورة لفظها بعيداً عن صورتها السليمة .

ومسؤولية الرجل الكبير - الذي أمر يوماً بتسجيل محاضر الجلسات النيابية نقلاً عن آلات التسجيل - بالغة الإثم ، وأنا لست أدري إن كان من باب الإنصاف أو من باب العدل ، القول : إن هذه المسؤولية دونها بمراحل مسؤولية الصحف ومحرريها الذين يعتمدون آلات التسجيل فينقلون عنها خطب وأقوال الزعماء والرؤساء بالغة العامة .

قرأت قبل أيام معدودات بحثاً لأستاذين جامعيين نشره تحت عنوان (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) في مجلة فكرية راقية نافحة فيه عن العربية وكفايتها لاستيعاب المصطلحات الجديدة ، ثم ختمها بالفقرات التالية :

« ولعل أكثر هموم اللغة العربية إيلاماً هي مشكلة توحيد المصطلحات العلمية ؛ وقد باءت جميع المحاولات المبدولة في هذا الصدد بالفشل ، ولم تؤت بعد ثمارها ؛ نظراً

لتقاعس الدول العربية عن التعاون الفعال والكافي في هذا المجال ، وخصوصاً حيال إقرار المصطلحات العلمية وجعلها إلزامية لجميع الهيئات والجامعات ، ولو أن مجتمعاتنا اللغوية تتلقى الدعم الكافي لوصلنا على الأقل إلى وضع مشابه للدول الأخرى ، ومع أن هذه المجتمعات تقوم بمجهودات كبيرة إلا أن جهودها هذه تضيع في زحمة تفرقنا وتباعد دولنا ، وهي بذلك نسخة طبق الأصل من واقعنا الممزق » (١) .

والقصة مع هذين الأستاذين اللذين التبس الأمر عليهما بين كلمتي « مَجْمَع » الخفيفة و « مَجْمَع » المشددة تعيد إلى الأذهان قصة رئيس أحد الجامعات العربية وكان يتحدث مع رئيس حكومة بلده ، عندما أقبل وزيراً على رئيسه ، فقدمه إلى الجمعية الكبير معرفاً به بقوله : « رئيس المجمع اللغوي » وهو يشدد الميم الثانية ، مما أغضب الرئيس ودفعه إلى التنبيه على هذا الخطأ ، فضحك كبير الوزراء وهو يقول : « هون عليك ياسيدي فليس في الأمر خطأ يغضب ، ألا تكتبون أنتم الكلمتين على صورة واحدة ؟ سادتي :

كنت قبل عام مضى في مدينة جدة ، ويومها كان زمام سياسة الدنيا بيد عسكري

(١) انظر له : مظهر وسفير صلاح الدين شعبان في مقالهما (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) ص ١١٠

من المجلة العربية عدد فبراير ١٩٨٣

«عتل بعد ذلك زعيم^(١)» فإذا بي أقع في الصحف المحلية على الخبر التالي :

« هيج يسيء للغة الإنجليزية

أ . ف . ب (ميتشجان)

أدرجت كلية سولت سانتمري بولاية ميتشجان الأمريكية اسم السيد ألكندر هيج وزير الخارجية الأمريكية في لوحة العار بسبب نطقه السيء للغة الإنجليزية .

وطالبت الكلية أن يتحدث هيج اللغة اللاتينية الكلاسيكية لفترة اختبارية مدتها ستة أشهر ليكنمه عن سوء استخدامه المزمع للغة الإنجليزية ، وهو الأمر الذي لا يمكن إصلاحه أو تعديله .

ومنحت الكلية الجائزة الأولى للسيد مالكوم بالدريج وزير التجارة الأمريكي لتحدثه السليم باللغة الإنجليزية وإجادتها تماما^(٢) .

وأقيمت بالصحيفة جانبا، وقد لفتني فكر منها : هل من جامعة أو مؤسسة عربية تجرؤ على تقليد تلك الجامعة الأمريكية دفاعا عن الفصحى ؟ فأتعبنى التفكير وأنا أتخيل طول قائمتنا السوداء وعدد المتزاحمين لاحتلال المراكز الأولى فيها من رؤساء وأمرء ووزراء .

وإذا سبق لي أن قلت بأن هناك أوزارا تجب تبعاتها في بعض الآثام تبعات الصحافة،

فأنا لا أدافع عن الصحافة لأخبارها من مسؤولياتها، فهي المسؤولة عن آثار ما تقذف به الناس صباح مساء من كلمات وتعابير عامية ومن جمل أو أساليب غير فصيحة، ولو في أخبارها المحلية ؛ إرضاء لآلاتها الحديثة ، وهي دوما فاغرة الأفواه، وإملاء لصفحاتها المتنافس على زيادتها بين الحين والحين أو تزلفا لدى سلطان .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تنشرها ، مادامت تستطيع رفض النشر ضمن الحدود المرسومة لها من قبل النظام الذي تعيش في ظله .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تدعم تحلل الساقطة العربية عند قرائها أو تفسد الذوق العام في التفريق بين دلالات الألفاظ والحمل، أو تميح حدود الزمن المرافقة لبعض الكلمات العربية .

فإذا كان من مقتضى الفن الصحفي استعمال الفعل المضارع في عناوين الأخبار ؛ لشد الانتباه إليها ، فما الدافع لمغالاة بعض الصحف في الفن حتى تصدر وهي ترفع مثل هذا العنوان (القمر الروسي يسقط « أمس » في المحيط الهندي) .

وإذا كان الإبداع في تبويب الصحيفة مرغوبا فيه ، فأين الإبداع في باب يحمل هذا العنوان (حدث غدا) وقد تلقفته إحدى

(١) العتل : القوى الجاني الغليظ ، والزعيم الدعى الملصق بقوم ليس منهم - الآية : ١٣ القلم .

(٢) جريدة « عكاظ » جدة في ٣ كانون الثا (يناير) ١٩٨٢

لإذاعات العربية لتُنشر تحته تنبؤاتها عن
حوادث المستقبل .

« ومجلة العربي » مثلا - وهي أوسع
المجلات العربية انتشارا ، وأقلها مصادرة
أو في تمزيق بعض صفحاتها قبل التوزيع ، ومن
أكثرها استقامة في نهجها الفكري
المستقل - ألا تتحمل تبعه ما تحدثه صورة
اسمها في أذهان ناشئة الأقطار البعيدة من
اضطراب ؛ لاستهتارها بقواعد الإملاء
في التفريق بين الألف المقصورة والياء ؟

ولمن يرى رفع التبعة عن مجلة «العربي»
محتجا لها بأن الرسام الذي خطط للمجلة
اسمها، كان من بلد عربي جرت المطابع
فيه من عهد بعيد ، على عدم التفريق بين
الألف المقصورة والياء في آخر الكلمة، أقول:
ولكن مؤتمر مجمع اللغة العربية وجد ضرورة
لهذا التفريق فأقره من بضع سنوات^(١)، فلماذا
لا يقرأون ما قرر ؟

١٢ - كلمة ختامية :

طال الحديث عن «لغة الصحافة»، وأرجو
أن لا يكون قد أملككم ؛ فقد كان مجموعة

أفكار وصور تواردت علىّ عندما بدأت
أكتب ، لملتها لأعرضها عليكم ، وأفضل
ما يدل على الخطر الداخلي الذي يهدد
الفصحى - لامن أهل اليمن المتطرف أو اليسار
الجاحد فحسب بل من بعض أهل الوسط
- ما جاء في نبذة وردت في مقال نشرته
صحيفة جزائرية من أيام قليلة متضمنا:
« . . . وفي أحد المؤتمرات كشف النقاب
عن أمر في غاية الغرابة يتلخص بأن تلك
القوة ليست أفرادا من المجاهدين بالدعوة إلى
العامية أو المحكية فحسب ، بل فيهم أساتذة كبار
يشعر المرء بوجودهم حتى بين أعضاء الهيئات
والمجالس واللجان التي تقوم على خدمة اللغة
ورعاية العلوم وتوجيه الثقافة ، وهم كثيرا
ما يتظاهرون بالحماس الشديد في الدفاع
عن الفصحى وبالحفاء لا يتورعون عن
مساندة أعدائها والمشى في ركاب من لا يبالي
بها^(٢) » .

عدنان الخطيب

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق



(١) الدورة السادسة والأربعون سنة ١٩٨٠

(٢) انظر صحيفة النصر قسنطينة في ٢٥ يناير ١٩٨٣

أَسْمَاءُ الْعِبَادَةِ وَأَسْمَاءُ الْمَجْدِ

للككتور عمر فروخ

عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين من القرن الإفرنجى الحارثى - وفى أثناء متابعة دراستى فى ألمانيا - حضرت فى جامعة ليزنغ دروس الأستاذ الدكتور أرنست برغمن أحد مستشارى هتلر للأمر الدينية وكان موضوع محاضراته : « تاريخ الدين والأديان » . ولما وصل أرنست بزغمن إلى الإسلام قال كلاما مقبولا ، ولكنه أبدى ملاحظة أسف فيها على أن المسلمين يسمون أولادهم أسماء تتصدرها كلمة « عبء » ، بمعنى الرقيق المملوك .

لم أجد من المفيد أن أناقش الأستاذ برغمن فى أثناء الدرس ، فلقد كنت المسلم الوحيد فى ذلك الصف ، ولم يكن مقدرراً لمناقشتى أن تشر بين طلاب لا يعرفون من الإسلام إلا ما قاله الأستاذ فى محاضراته تلك .

ولكن بعد انتهاء المحاضرة وقفت بضع دقائق مع الأستاذ وحاولت أن أبسط له أن كلمة « عبء » إذا جمعت على « عباد » يصبح لها معنى غير المعنى الذى لها إذا هي جمعت على « عبيد » . وأسعفتنى اللغة الألمانية بكلمة « باند » (Band) ، فإنها إذا جمعت على (Bände) كان معناها « الجزء من كتاب » ، وأما إذا جمعت على (Bänder) فإن

معناها يدل حينئذ على الحزام أو الرباط أو الشريط .

ووضحت الفكرة للأستاذ برغمن ودعاني إلى بيته بضع مرات وسألنى عن أمور وحقوق فى الإسلام بدلت كثيرا مما جاء فى هذا الموضوع فى تلك المحاضرة . ولكن الكلام على ذلك بعيد عن البحث الذى أجىء به فى هذه الجلسة من هذه الدورة (عام ١٩٨٣) :

أحب البشر منذ أقدم الأزمنة أن يسموا أولادهم أسماء تدل على نعمة الله عليهم أو على صلة تربطهم بالله . فمما يمكن الاستشهاد به هنا الاسم العتقدى (ويقولون : الأكادى) «سرجون» من أسماء الأعرابيين القدماء (ويقول نفر من المؤرخين خطأ : الساميون) هذه الصيغة وصلت إلينا من اليونانيين من طريق الرومان أو اللاتين من طريق الفرنسين أو من طريق الإنكليز . وأحسب أن اليونانية القديمة واللاتينية القديمة لم يكن فيهما صوت «الشين» ثم عرفنا نحن فى بلاد الشام حصن «شيزر» مما يدل على أن هذا الصوت نشأ متأخرا فى اللاتينية ، ولعل لهذا رأى سندا من كثرة وروده فى الإيطالية فى كلمات كان حقها أن تلفظ فى اللاتينية بالقاف .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

ونرجع إلى الاسم «سرجون» فإنه يقابل
 الاسم القديم شروقين. و«شرو» هو الملك
 و«قين» (بالكسر) هي القين (بالفتح) بمعنى
 العبد ، فيكون المقابل لاسم «شروقين»
 القديم «عبد الملك» بالهربية. ويحسن بالمورخ
 العربي النابه إجراء الأعلام على ما تلفظ
 به في لغتها الأصلية أو على ما قبلته اللغة
 العربية من اللفظ بها. يجب أن نقول شروقين
 أو عبد الملك ، لا سرجون ، وأن نقول
 «سأع» (بفتح فسكون) لا بترأ ولا البترأ
 لأن كلمة «سأع» معناها الحجر أو الصخر ،
 فلما نقل اليونانيون هذا الاسم إلى لغتهم
 كانوا عاقلين فسموها باللفظ يدل على
 معناها في لغتهم. فإذا قلنا نحن اليوم «بترأ»
 لم نَعْبُدْ أن نقول معنى اسم بلد بلغة غيرنا.
 وأما إذا قلنا «البترأ» (مؤنث الأبر) أي
 «المقطوعة الذنب» أو ما يشبه الذنب ،
 كنا في الحقيقة جاهلين لطبيعة البلاد التي
 نعيش فيها. وليس بعد هذا الجهل جهل.

ونأتي إلى اسم آخر أقرب في المكان
 إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وهو
 الاسم الذي يقال له «رمسيس» والذي
 وصل إلينا من اللسان اليوناني أو اللاتيني
 عبر اللسان الفرنسي أو اللسان الإنكليزي
 وربما أراد نفر أن يكون أكثر أمانة ،
 فهؤلاء يقولون : رمسيس ، وبذلك
 يكونون قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ،
 عسى الله أن يتوب عليهم . هذا الاسم

يجب أن يكون ، فيما أحسب - وأنا
 لأعرف من اللغات القديمة إلا تنفا -
 رع مسو (قال من أخذت عنه : خلقه
 رع) . ورع هو الإله الشمس أو الشمس
 الإله . وأحسب أيضا أن هذا الاسم قد
 استمر في مصر بعد أن تعربت فقالوا
 فيه : «عطا الله» ، تقيدا باللفظ : عطا
 (بمعنى أعطى ، مع التسهيل) والله
 بالرفع فاعل . وربما اقتصر الناس على
 معنى الاسم فقالوا : عطاء الله (في مثل
 ابن عطاء الله الإسكندري) .

ويبدو أن الروم البيزنطيين (اليونان
 بعد اعتناق النصرانية) قد فهموا معنى
 هاتين التسميتين : العقديّة البابلية والمصرية
 الفرعونية ، فهما قريبا فسموا «ثيودوروس»
 (عبد الله) و «ثيودورا» (عبدة الله ،
 عابدة الله ، أمة الله) .

ومن الأسماء القديمة في الأعرابيين
 «نبوخذ نصر» ، وهو متأخر النشأة (في
 الكلدانيين) ومزيج من اللغة الأعرابية
 واللغة الفارسية : فكلمة «نبو» (في المعنى
 اللغوي) : المفسر أو المنبئ . وكانت
 كلمة «نبو» عند الكلدان تطلق على الكوكب
 عطارد ، وعطارد في الحرفات القديمة

رسول الآلهة : ويبدو أن «خذ» هي «خدًا» الفارسية بمعنى إله . فيكون معنى «تبوخذ نصر» فيما أحسب «رسول الإله نسر» ونسر من آلهة القدماء، عبده جماعة من عرب الجاهلية وورد ذكره في القرآن الكريم :

ويبدو أيضا أن العرب اختصروا «تبوخذ نصر» فجعلوها «بختنصر» . وتسمى نفر من النصراري في بلاد العرب ، قبل الإسلام وبعده «بخت يشوع» ، كما تسموا «عبد المسيح» . ولعل كلمة بخت (وهي فارسية بمعنى الجد بفتح الجيم أى الحظ) أصبحت تعنى «العبد» :

وعرف العرب في جاهليتهم هذه الأسماء المعبدة فسموا ؛ عبد اللات ، عبد مناة ، عبد العزى ، عبد شمس ، عبد القيس ، عبد يغوث ، عبد ياليل ، وسوى ذلك من أسماء الأصنام ، كما سموا عبد الدار وعبد الكعبة وعبد الخير (والخير أحد الإلهين في الدين الثنوى : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلام) . وسموا أيضا عبد الله .

وكذلك سمي عرب الجاهلية تيم الله وتيم اللات وتيم قريش . ومعنى تيم «العبد» جاء في ابن الأثير (بيروت ٥ : ٢٤٩) : «وفيها مات محمد المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمى تيم قريش» فهل يجوز لنا أن نقول إن «قريشا» كان اسما لصنم مع أن «تاج العروس» لم يذكر ذلك ، ولا أحسب أن ابن الكلبي قد ذكر ذلك في كتاب الأصنام :

وكان إذا دخل أحد في الإسلام ، في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى بأحد هذه الأسماء الوثنية ، بدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فجعله عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد الرحيم أو ما يشبه ذلك .

وفي الإسلام اتسعت التسمية بالأسماء المعبدة بإضافة كلمة «عبد» إلى أسماء الله الحسنى . وأسماء الله الحسنى مائة : أحدها اسم جامع لكل معانيها هو «الله» ثم تسعة وتسعون صفة على وزن اسم الفاعل أو صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة . ولا وجه للقول بأن أسماء الله الحسنى مائة : تسعة وتسعون منها معروفة ، وواحد منها غائب عنا من عرفه نال كذا وكذا .

وإذا نحن استعرضنا هذه الأسماء الحسنى وجدنا أكثرها يدخل في أسماء الناس ولكن لا نسمع في الأسماء المعبدة اسما هو : عبد المصور أو عبد القابض أو عبد المذل أو عبد المميت ، غير أن الناس يزيدون في هذه الأسماء من عندهم فيسمون مثلا عبد المقصود وعبد المحسن وعبد الجواد وعبد السيد . ومع أن عبد السيد اسم مألوف عند النصراري ؛ لأن «السيد» عندهم هو المسيح عليه السلام ، فإن في المسلمين أبا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ (ابن الأثير - بيروت ٩ : ٥٩١ و ١٠ : ١٤١) ، وهو فقيه من أهل بغداد تولى التدريس في المدرسة النظامية .

والشيعة يختلفون مع أهل السنة والجماعة في أنهم يضيفون إلى كلمة «عبد» غير أسماء الله الحسنى فيسمون عبد الرسول وعبد النبي وعبدالصاحب (على بن أبي طالب) وعبد الحسن وعبد الحسين وعبد المحسن (والمحسن يقال فيه إنه ولد للإمام على من فاطمة ، ولكنه ولد ميتا) . وكذلك يسمون عبد الخواد . والخواد هو في التاريخ الشيعي تاسع الأئمة أبو جعفر محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . وكانت وفاة عبد الخواد ، سنة ٢٢٠ للهجرة (٨٣٥ م) .

غير أن الشيعة إذا سموا عبد الرسول أو عبد الحسين فإن لفظ «عبد» لا يكون هنا عابداً بل خادماً ، يدلنا على ذلك استعراض عدد من الأسماء عند الفرس : غلام علي ، غلام حيدر (وحيدر هو علي ابن أبي طالب) ، غلام حسين ، غلام محمد ، غلام رضا ، الخ .

ولكن هنالك اسمين من هذه الأسماء يردان عند الشيعة وعند أهل السنة والجماعة، هما عبد المحسن وعبد الخواد . وأحسب أن المدرك السنّي في هذين الاسمين مختلف عن مدرك الشيعة فيهما . إن هذين الاسمين (الخواد والمحسن) ليسا من أسماء الله الحسنى (راجع المقصد الأسنى للغزالي ، بيروت دار المشرق ١٩٧١ م ، ص ٦٣) ، ولكنهما عند أهل السنة والجماعة مزيدان

على أسماء الله الحسنى ، مثل المقصود والعاظم وغيرهما .

وفي المدة الأخيرة قلت الأسماء المعبدة بين المسلمين بعوامل مختلفة . ثم بالغ نفر في اجتناب هذه الأسماء ولم يستطيعوا التخلص منها جملة ، بعد أن سماهم بها آباؤهم ، فحذفوا منها المضاف ، فإذا عندنا اليوم أسماء منها : حميد ، مجيد ، عزيز ، فتاح ، وهتاب ، حكم ، جليل ، كريم ، رؤوف ، بديع ، رشيد ، وغيرها أيضاً ، إلا أن عدداً من هذه الأسماء يقبل التأويل بأن هذه الصيغ ليست عند التسمية من أسماء الله الحسنى ، ولكنها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان اتصافاً قاصراً بينما هي في الأسماء الحسنى تدل على الكمال . وإذا كان الاسمان : رشيد وحكم ، قديمين في التسمية مفردين ، فإن عزيزاً ومجيداً وفتاحاً ووهاباً وعدداً آخر أشباهها أكثر تأخراً في الزمن وأقل وروداً في التاريخ . ومجمعنا اليوم يقوم في شارع جديد أو في شارع يحمل اسماً جديداً : شارع عزيزاً بأبظة .

وكان في الأندلس نفر عرفوا باسم بني حوط الله . وحوط مصدر «حاط» بمعنى حفظ وصان ورعا وحمى (تاج العروس ١٩ : ٢٢٠) والحوط قرية (١٩ : ٢٢٢) . وحوط أيضاً اسم كثر وروده عند العرب (١٩ : ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٢٦) .

وهذا الاسم يصغر فيقال : حويط (١٩ : ٢٢٤)

وكيف دار الأمر فلا وجه لإضافة اسم الجلالة إليه ، فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ والحفيظ : « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » (١٢ : ٦٤ ، سورة يوسف) و « إن ربي على كل شيء حفيظ » (١١ : ٥٧ ، سورة هود) . وكذلك لا يجوز أن يكون اسم الجلالة مضافا إلى اسم قرية ، فإن لله مافي السموات ومافي الأرض ؛ ولا مضافا إلى اسم أحد من خلقه ، فالخلق كلهم عيال لله ، والله خالق كل شيء .

ولكن هذا الاسم « حوط الله » مشوه مرتين . إن أصل « حوط » هنا : حوت بمعنى السمكة ، وهو اسم رائج في المغرب لكل مانقول له نحن في المشرق : سمك . والحطف والتفخيم معروفان في اللفظ المغربي ، ولعلها كانا معروفين أيضا في الأندلس . وأما التشويه الثاني في « حوط الله » فقد جاء من التحسين للفظ من التحقير (وكل فتاة بأبيها معجبة) . فالاسم يجب أن يكون في الأصل الأندلسي « حوتللو » من « حوت » بمعنى سمكة ثم « ألو » علامة للتصغير في اللغة الأسبانية . فيكون معنى الاسم « سميكة » (السمكة الصغيرة) . وعز على تلك الأسرة الأندلسية التي عرف فيها نفر من العلماء أن يكون اسمها بين الناس « حوتللو » ، فنقلوه « إلى حوط الله » .

ويبدو لي أن العرب وأن غير العرب من الشعوب الأعرابية قد سموا « عبدا » اسما مفردا محلي باللام ، أو غير محلي باللام ؛ من النظر إليه

على أنه علم لا يحتاج في العادة إلى لام التعريف . وعندنا من الأمثلة « طرفة بن العبد » ثم « العبد ابن أبرهة » من ملوك اليمن قبل الإسلام (ابن الأثير ١ : ١٦٨) . وهناك أيضا بنو « عبد بن ثعلبة » و « عبد بن عبد مناف بن الحارث » و « عبد بن غوث الحميري » و « عبد بن قصي » وغيرهم .

وكلمة « عبد » هذه تأتي في الأسماء ، وفي اللغة العربية الفصيحة ، على صيغ مختلفة نحو عبد وعبدة (ولا أحسب أن التاء المقبوضة هنا للتأنيث) ، ثم عابد وعباد وعبود وعبدون وعبادة . أما « عبده » بالهاء ، فليست من الأصل ولا هي ضمير في مثل قولنا : هو عبد الله وابن عبده ، ولو كانت كذلك لسمى العرب أبناءهم « عبده » ولم يحتاجوا إلى أن يسموهم — إذا هم شاءوا — عبد الرب أو عبد ربه . وإن الذين نقلوا منا أسماءهم من الواو في « عبديو » إلى الهاء قد ظنوا أنهم بذلك يردون هذا الاسم من لفظه العامي إلى لفظه الفصيح . إن الواو هنا في « عبديو » علامة للرفع (إذا نحن أخذناها من العربية القديمة) أو هي علامة للتعريف (إذا نحن استعبرناها من اللغة الآرامية شقيقة اللغة العربية) .

إن عدداً من اللغات (كالأرامية والفارسية واللاتينية) ليس فيها علامة بارزة للتعريف . وتقوم الألف في ختام الأسماء الآرامية مقام لام التعريف عندنا ؛ إذ أن هذه « الألف » تسقط في اللغة الآرامية في التركيب الإضافي

لمعنوى (أن نمة : اسم إلى اسم) ، كما تسقط لام التعريف من المضاف عندنا في الإضافة المعنوية أيضاً . ونحن نعرف ذلك من قرينة ملسوحة في الاسم الآرامي « عبدا » ، وهو من القديسين عندهم . هذا الاسم يكتب بالألف الطويلة وبلفظ أيضاً بالألف عند المشاركة (الآراميين الشرقيين : سكان الشام الداخلية والعراق) . أما الآراميون الغربيون (والذين يقال لهم : السريان من أهل شواطئ الشام) فإنهم يلفظون هذا الاسم بالواو المفخمة : إن هذا الاسم (وهذا موضع القرينة) إذا هو نقل إلى اللغة اليونانية كتب « عبدون » (بالتفخيم) ، مما يدل - في كل حال - على أن هذه الألف في « عبدا » زائدة ، ولعلها تقوم هنا مقام لام التعريف (عند العرب) أو لعلها تقابل في اللغة اليونانية حالة من حالات الإعراب التي وصلت إلينا في اسم الفيلسوف اليوناني فلاطن أو أفلاطن أو أفلاطون (بضم مختزل أو ممال وبالتفخيم في الحالتين) .

ويبدو أيضاً أن اللغات الأعرابية قد فقدت الإعراب في زمن متقدم ، ذلك الإعراب الذي كان بالحروف ثم انتقل إلى العربية بالحركات ، إلا في كلمات نادرة . وقريب من ذلك ما حدث في اللغات الأوربية . إن الإعراب سقط في اللغات الأوربية الجنوبية والغربية وكذلك في معظم اللغات الشمالية (كالألمانية والدنمركية والأسوجية والنرويجية والإيسلندية) .

وورثت اللغة بضع كلمات - سبعة عدداً - لا تزال تعرب بالأحرف ، منها ، كما جاء في الألفية :

أب أخ حتم فو ذو هن
والنقص في هذا الأخير أحسن

ثم كلمة « امرؤ » :
ثم وصل إلينا أيضاً عدد من أسماء الأشخاص فيها بقية من ذلك الإعراب بالحروف منها : معن وعمرو وعبدو وفضلو . أما « معن » فلحقت لفظاً بالأسماء المعربة بالحركات : وأما « فضلو » فلا يزال العامة والفصحاء عندنا يلفظونها بالواو لا بالضم فحسب ، وأما « عبدو » فقد احتال نفر منا فكتبوها بالهاء ، وبقيت « عمرو » فقالوا : إن الواو هنا للتفريق في الكتابة بينها وبين « عمر » . فلماذا لم يفرقوا بمثل هذه الواو بين زهر وزهر ، وقمر وقمر إلخ ؟ والواقع أن الواو في عمرو بقية من علامات الإعراب مثل كلمة « امرئ » التي أصرت على الاحتفاظ بحالها القديمة ولا تزال تعرب بالحروف وبالحركات معاً في كل حالة من حالات الإعراب . : بالواو ثم بالضممة على الراء (في حالة الرفع) ، وبالألف ثم بالفتحة على الراء (في حالة النصب) وبالياء ثم بالكسرة على الراء (في حالة الجر) .

بق. أمر آخر :

أن التاء المقبوضة (أو المربوطة) في « عبدة » ليست للتأنيث ، فلقد تسمى بها رجال منهم عبدة بن رباح الغساني ، وكان

واليا على الجزيرة (شمالي الشام والعراق)
في أواخر الدولة الأموية (ابن الأثير ٥ : ٣٠٩) ،
ومنهم الشاعر الإسلامي عبدة بن الطبيب .
وأما عنتره فأشهر من أن يحتاج إلى إشارة إليه
بملاحظة أو بتعليق . وكذلك تسمى بهذا الاسم
إناث أشهرهن عبدة صاحبة بشار بن برد .

وليس بنا الآن حاجة إلى دراسة صيغ
مثل : عبّاد وعبّود وعبدون وعبادة ؛ لأنها
تخرج بنا عما نحن بسبيله الآن .

رأينا في الأسماء المعبّدة التي مرت أن
المضاف (كلمة «عبد») كان واحدا ثابتا
وأن المضاف إليه كان أحد الأسماء الحسنى
المائة . ثم بدا للناس أن يجعلوا المضاف إليه
واحدا ثم يجعلوا المضاف مختلفا ، يدل على
ما يتخيلونه مما يتمنونه في اسم وليدهم أو
فيما يحبونه في رجالهم (حينما يجعلون من تلك
الأسماء ألقابا) ، نحو : فضل الله ، رزق
الله ، حب الله ، إلخ ، ويبدو أن هذه التسمية
(أو تلك الألقاب) كانت موجودة عند
القدماء ، كما رأينا في اسم «رع مستو» وفي
اسم «وهب اللات» (وهو ابن الملكة زنوبيا
ملكة تدمر) ولقد كثر هذا الاسم مرة أو
اللقب مرة أخرى في لفظ « هبة الله » ،
ومعنى الأسماء الثلاثة واحد . ثم تنوع هذا
الاسم بتنوع المضاف ، فكان عندنا : فضل
الله ، رزق الله ، حب الله ، شكر الله ، سعد
الله ، نصر الله ، خير الله ، عون الله ،
حسب الله ، إلخ . ويمكن أن نفهم عددا
الأسماء في تراكيبها الحاضرة على

أنها تركيب إسنادي أو تركيب إضافي فنقول :
رَزَقَ اللهُ (على أنها فعل وفاعل) أو رِزْقُ
الله (على أنها مضاف ومضاف إليه) .

ثم بدا للناس أن يلزموا في المضاف إليه
كلمة الدين وينوعوا المضاف ، وأحب هنا
أن أبدأ بلقب « أسد الدين شيركوه » ، وقد
اتفق أن يكون اللقب (أسد الدين) والاسم
(شيركوه) متقاربين . إن «شير» من الفارسية
معناها « الأسد » ، وكوه في الفارسية أيضا
معناها الجبل . فإذا عربنا الاسم قلنا هو
أسد الدين أسد الجبل .

وتفنن الناس في المضاف الذي أضافوا
إليه لفظ « الدين » ، فقالوا : شمس الدين
وبدر الدين وقمر الدين ونجم الدين ، كما
قالوا فخر الدين وعز الدين ونصر الدين
وسعد الدين وكمال الدين وخير الدين وزهر
الدين ونصير الدين وشرف الدين وغير ذلك .
ثم قالوا أيضا « صدر الدين » .

ويبدو أن الدين أحبوا هذه الأسماء
والألقاب كانوا من غير العرب ، وكانوا
يكتفون بأن يلتمحوا المعنى العام ولم يلقوا بالآلى
ظلال المعاني . فإذا قبلنا أن يكون معنى عز الدين
وناصر الدين ونصير الدين هو معز الدين وناصر
الدين (وهذان تركيبان موجودان أيضا في
الأسماء والألقاب) ، فما معنى شرف الدين
وكمال الدين ؟! أمعنى ذلك أن الشخص
المسمى كان شرفا للدين وكان كمالا للدين
(بعد أن كان الدين ناقصا) أم أن هذا

الشخص المسمى «كمال الدين» يمثل الكمال في الدين؟ ثم إذا نحن قبلنا أن يكون للدين صدار في الاسم «صدر الدين» أنقصد أن الشخص المسمى يحتل الصدارة في الدين أم نعى أن للدين صدرا فنلمح أنه يجب أن يكون للدين أعضاء أخرى؟ ثم كيف يكون الإنسان «تاج الدين» أو تاجا للدين؟ ثم زاد الناس في تفننهم فقالوا: سيف الدولة وفخر الدولة، كما قالوا: نظام الملك وفخر الملك، وغير ذلك .

إن هذا التساؤل ينقلنا إلى موضوعين مهمين : إلى تقليد بعض الناس بعضا في الأسماء الرائجة وأسماء المشهورين ، ثم إلى أن الكثيرين من الناس يقصدون لفظ الاسم لا معناه .

عمر في التاريخ حقب يتوفر الناس فيها على أسماء معينة حتى ليظن الباحث أنه ليس في اللغة سوى هذه الأسماء . في الأجزاء الثلاثة التي ألفتها في تاريخ الأدب في المغرب والأندلس كان الاسمان اللذان يغلبان على كل اسم آخر اسم محمد واسم عبد الله ولم يكثر هذان الاسمان في الأسر المختلفة فحسب ، بل كانا يكثران في الأسرة الواحدة أيضا . لقد كان الرجل وابنه وحفيده ، وابن حفيده وحفيد حفيده ، في كثير من الأحيان يحملون اسم محمد ، ونسقت مرة نسب أديب فقلت : هو محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد (مكررة خمس مرات) ..

ومما زاد صعوبة البحث على أن كل محمد، في العادة ، كان يسمى ابنه عبد الله ، فأصبح عندنا : أبو محمد محمد بن محمد وأبو محمد عبد الله بن محمد وأبو عبد الله محمد بن عبد الله ، وغير ذلك من الأسماء وكنهاها إذا نحن مضينا في المخالفة بين الاسم والكنية، وهذا يرجع إلى أن نفرا كثيرين كانوا - ولا يزال نفر قليل منهم - يحبون أن يسمعوا أسماءهم هم ينادى بها أبناؤهم .

ولم يقتصر حب التقليد في التسمية على الأسماء الواردة في الأسرة الواحدة ، بل تعدى التقليد إلى الأسماء التي يتسمى بها المشهورون - سواء أكانت تلك الأسماء لأصدقاء أو لأعداء - ففي عام ١٩٥٦ ، بعد أن انتهت الهجمة الأميركية الإسرائيلية على مصر بأثر الإنذار الذي وجهه رئيس المجلس السوفياتي الأعلى نيقولاى بلغانين سمي أحد المعلمين في مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت (وكان اسمه هو أحمد) ابناً له ولد في تلك الأيام «بولغانين» . ثم إن صاحبنا استفاق من وهمه وبدل اسم ابنه هذا . وفي مطلع الاجتياح الإسرائيلي للبنان رزقت امرأة في الجنوب اللبناني مولودا ذكرا فسماه «بيغن» .

وفي العام ١٢٩٣ للهجرة (١٨٧٦ م) جاء إلى عرش بني عثمان سلطان شهير قدير يدعى عبد الحميد ، فكثرت التسمية باسمه في أقطار العرب جميعا . وبعد الانقلاب

الذي قامت به الوزارة التي كثر أعضاؤها وأنصارها من «الدنما» (بالضم) : اليهود المتسمين بأسماء إسلامية ، وسقط به السلطان القوي عبدالحميد ، وجيء على أثر ذلك بالسلطان الضعيف الضعيف (مكررة مرتين) محمد رشاد ، سنة ١٣٢٦ للهجرة (١٩٠٨م) كثر في البلاد العربية اسم رشاد . ثم نسيت التسمية بهذا الاسم ، لأن عوام الناس لا يرون في خلع الأسماء على أولادهم إلا كما يرون في خلع الألبسة على أبدانهم .

في العام ١٩٢٠ ولد في مصر أمير سماه أبواه «فاروقا» ، فاندفع الناس عندنا في هذه التسمية اندفاعاً كبيراً . ثم هدأت الفورة فقل أن نسمع الآن بطفل جديد يسمى فاروقا — على ما في هذا الاسم من المعنى ، وعلى ما لهذا الاسم من المجد التاريخي منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن الأسماء أيضاً زىّ يشع ثم يخبو لمعانها — عند جماعات من الناس بالسرعة التي انتشر بها ذلك اللسان .

وفي كثير من الأحيان لا يدرك الناس من الأسماء إلا ما يأخذ بأسماعهم منها . ففي عام ١٩٥٢ ، بعد الانقلاب على الأسرة العلوية في مصر ، كان النجم اللامع في مجلس الثورة جمال عبد الناصر ، فكثرت عندنا في لبنان الإعجاب بهذا الرجل واندفع الناس مدة طويلة في تسمية أبنائهم باسمه . ولكن القليلين منهم كانوا يسمون أبنائهم «جمالاً» . أما الكثيرة فكانوا يدعون أبنائهم

«عبد الناصر» (مع أن عبدالناصر اسم والدجمال عبد الناصر) . ويبدو أن الجهل في الناس لا يقتصر عادة على جانب من حياتهم ، بل يغطي جوانب كثيرة منها .

عندنا في لبنان شارع مطروق مزدحم أطلقت عليه الحكومة اسم « شارع عمر ابن عبد العزيز » غير أن الناس يقولون شارع عبد العزيز .

وهذه الغفلة في إطلاق الأسماء على المسمين بها لا تظل دائماً بريئة كما رأينا في عبد الناصر مكان جمال ، وفي اسم عبد العزيز مكان عمر بن عبد العزيز . هنالك آباء لا علم لهم بلسان العرب وتاج العروس يسهون بناتهم «رُحَاب» (بالضم) . وهنالك اسم أوضح معنى من هذا لا أريد ذكره هنا لأنني لا أحب أن أتعرض لتيار السياسة ، مع أني أجيد السباحة في البحر الخضم وأحمل شهادة في السباحة من بيروت ومن برلين .

ومن الدلائل على غفلة نفر من الناس في تسمية أولادهم قلة معرفتهم بمعاني الأسماء وألفاظها . عندنا في بيروت رجل نائب في مجلس الأمة ووزير سابق وصاحب مركز راتب في الجامعة . لهذا الرجل ابن سماه «إيهابا» (بالياء بعد الهمزة) ، مع أن العرب سموا «إيهابا» . وكنت جمعت من أوراق البكالوريا البنائية الرسمية (نهاية المرحلة الثانوية) عدداً من الأسماء كتبها أصحابها بأيديهم ، منها (والكلام من ذاكرتي الآن) : أسمى

ولكن الناس يؤخذون عادة بالألفاظ ،
وقلما ألقوا بالا إلى المعاني .

ومن الأسماء الرائجة اليوم بين جماعات
منا هذه الغرائب : فادي ، فادية ، نادين
نورا (بالتفخيم) ، ريم (بالألف الطويلة ،
على أنها عندهم مونث ريم) ، مايا ، وأمثالها :
هذه كلمة في الأسماء المعبّدة وما يتعلق
بها من قرب ، أرجو أن أكون قد كشفت
بها عن جانب يستحق أن يخصه الباحثون
بمقال أكثر تفصيلا .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

(بالألف المقصورة) ، سوهيلا (بلام ثم
ألف طويلة في آخرها) ، ثوريا (بالواو
بعد الثاء) ، لينا (بالألف المطواة) وعندنا
رجل سمى ابنة له «ليندا» ، فسألته مرة :
كيف يتهجى اسم ابنته بالفرنجية ، ففعل
وأخطأ . إن كلمة ليندا من اللغة الأسبانية ،
وهي تكتب بلامين في أولها ، ولم يكن هو
يعرف ذلك ، وأحسب أنه لم يكن يعرف
أن معنى ليندا في الأسبانية «جميلة» .



لغة الخبر لصحفي

للأستاذ سعيد الأفغاني

أولى الغيرة على اللغة للتبنيه على أخطاء شائعة منذ مطلع هذا القرن في مقالات متسلسلة في الصحف والمجلات ، نضمت في وقتها ثم جددت غيرها بتأثير الترجمة الحرفية والضعف بالعربية ، حتى لقد يشس بعض الغيبر وقالوا: « لا علاج على الأرض لهذا الوباء » بعد أن قدموا خططا مختلفة للإصلاح لم يستجب لها . أقول هذا وأنا أعلم صحفا عدة في العالم العربي تولوا بلغاء ، وقاموا على سلامة لغتها ، فصارت مضرب المثل في نشر الفصحى بين العامة والارتفاع بمستواهم . إن الصحافة وكل جهاز إعلامي سلاح ذو حدين منه النفع ومنه الضرر . وأرى أن الإصلاح ممكن وأن العلاج في (ضمير) الصحفي والمذيع ، فهو الذي يسوق صاحبه إلى أن يأخذ نفسه بإتقان لغته وتوخي السلامة لها وأن يقوى فيها بيانه وأداءه ، ولا حاف على الأرض أقوى من (الضمير) .

بهذا التفاؤل أبدأ حديثي عن لغة الصحافة خصوصا منها لغة الخبر (١) فقط .

وزارات التربية والتعليم
في العالم العربي مئات

تنفق

الملايين سنويا ، لتزود الناشئين بعربية سليمة ، يها يكتبون ويقرؤون ويتحدثون بطلاقة . ومتى صاروا في سن المراهقة انضم إلى آثار المدرسين فيهم أثر الصحافة ؛ فإما نهضت بلاغتها بمستواهم وإما انحطت به فيما تنشر من ركاقات وأخطاء . . . ثم جاء أخيراً الجهاز الإعلامي الحديد : الإذاعة ، فصرنا نلمس في غير ما قطر عربي ضعف بعض المذيعين في ثقافتهم عامة وفي لغتهم العربية خاصة ، شأنهم في ذلك شأن بعض الصحفيين ، حتى صارت الصحافة والإذاعة في بعض الأحيان أداة هدم ، تهدم بالليل كل ما تعب في بنائه المدرسون في النهار ، وطفقت الدول تنفق على الإذاعات والصحافة عشرات الملايين لهدم ما أنفقت في بنائه مئات الملايين .

من هنا كان خطر هذه الأجهزة عظيما في الخير وفي الشر ، ولقد تصدى عدد من

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع في دورته الثامنة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .
(١) استمرت خمسا من نشرات الأخبار من مصلحة الإذاعة بدمشق لتكون الأمثلة منقولة بالحرف .

الخبر أول ما يقصده قارئ الصحيفة أو المستمع إلى الإذاعة . فوجب أن تكون العناية به صوغا وأداء بالغة، من حيث سلامة لغته وجودة أدائه ، وإذا كان لكل فن بلاغته فبلاغة الخبر هي في سرعة وعي القارئ أو السامع له دون عناء ، باللفظ السهل الموجز الخالي من التزويق أو التفخيم خلوه من الابتذال ، وألا يثقل الخبر بالعواطف السلبية ولا الإيجابية . وبعبارة ثانية أن يكون كالخط المستقيم : أقصر مسافة بين نقطتين : مراد الكاتب ووعي السامع أو القارئ . ولهذا أمور تعين عليه وأمر تعيقه .

فما يعين عليه في رأي أمران : قصر الحمل ، ومراعاة فعلية الحملة العربية :

١ - قصر الحمل :

الحمل القصيرة أدعى إلى متابعة الذهن لها بيسر وراحة ، أما الحمل الطويلة فإما أن يضيع المقصود منها على القارئ أو المستمع وإما أن تسبب له - إذا اهتم بالموضوع - شيئا من الإرهاق . وإذا كان الضرر من طول الحملة يسيرا على القارئ في صحيفة لإمكان إعادته القراءة والإمعان فيها فإن المستمع لا سبيل له إلى استعادة الخبر . هاكم مثلا على خبر أذيع ونشر الشهر الماضي :

«دعا وزير الخارجية الإيراني في تصريح أدلى به خلال توقيفه في مدريد وهو في

طريقه إلى نيكاراغوا - المشاركين في اجتماعات مكتب التنسيق التابع لمنظمة دول عدم الانحياز - إلى تأييد النضال الشعبي الذي تخوضه نيكاراغوا ضد الاعتداءات السياسية والعسكرية والاقتصادية الذي (كذا) تقوم به الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا» (١)

هذا الخبر جملة واحدة بدأت بـ (دعا)، ثم ترابط بعضها ببعض بظروف وحروف جر حتى انتهت . وربما يخفف من هلهلها إعادة الفعل (دعا) قبل قوله (إلى تأييد) الذي فصله عن الفعل (دعا) ٢٢ كلمة، ومع هذا تظل الحملة غير مستساغة الطول .

٢ - فعلية الجملة الخبرية :

تعنى الحملة العربية بالحدث قبل المحدث ، لذلك كثيرا ما يتصدرها الفعل . وحين تقوم أغراض بلاغية تدعو إلى العناية بالحدث أولا يقدمونه ، وهذا طبعا غير وارد في الأخبار ؛ لأن الهدف منها اطلاع القراء أو المستمعين على الأحداث الجارية . وقد كثر الخروج على هذه البديهية في الأخبار وأكثر ما تشيع في موجزات الأنباء فقد جاء في النشرة السابقة : « الرفيق فلان . . . (وبعد ثماني كلمات) يقول في جريدة النهار . . . » ولو بدأ بالفعل (قال الرفيق . . . في جريدة النهار) كان أقرب إلى طبع العربية ، ولعل إلف الترجمة الحرفية السريعة مسؤول إلى حد- عن تجاوز السليقة السليمة في مثل هذا.

(١) النشرة الثالثة في ظهيرة ١٠ / ١ / ١٩٨٣

٢ - اضطراب الأزمان في الخبر الإعلامي الواحد :

الغفلة عن دقة المدلول الزمني للأفعال في اللغة العربية تربك قارئ الصحيفة ، وفي حين نقل الخبر إلى الجمهور ، على الكاتب التزام صحة التعبير في أسلوب ، إذ لا مجال فيه للاستعارة والمجاز والأغراض البلاغية ، فلهذا مقامات أخرى .

إنك لتضحك إذا قيل لك : (امس سيزورك فلان) وقد نألف هذا من بعض الأروام الذين ينطقون كلمات بالعربية ، فنستعيدهم الكلام لفهم ما يريدون ، لكننا لا نستطيع أن نقرأ في صحيفة أو نسمع إذاعة في بلد عربية مثل هذا الخبر :

« السيد الرئيس يتلقى اليوم مكالمة هاتفية من الرئيس اللبناني » (١) وكانت المكالمة قد تمت قبل كتابة النشرة بساعات فما معنى (يتلقى) هذه ، أو هذا الخبر « قوات الاحتلال الصهيوني تمنع قافلة للجيش اللبناني من العبور » (٢) : ويكون المنع حصل قبل يوم على الأقل . أو تسمع مثلا في إذاعة مسائية : (في الساعة العاشرة من صباح اليوم يستقبل وزير الداخلية وفود المحافظات) . فتتبسّم عجباً من الفوضى في استعمال الأفعال .

٣ - الفصل بين المتضامين :

المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة (٣) ، فلا يفصل بينهما بالمعطوف

ذلك بعض ما يعين على بلاغة الخبر ، أوحى به قراءتي لخمس نشرات حديثة ، من ما تراكم في ذكراتي من أمثال لها في غير قطر عربي . وأما ما يعيق هذه البلاغة - بلاغة الخبر - فأمر منها

١ - التلوث بآثار الترجمة الحرفية السريعة :

منذ القديم تسرب بين محرري الصحف ضعفاء بالعربية أقوياء في لغة أجنبية ، وتحرير الصحف - كأعداد الإذاعات - تلاحقه السرعة باستمرار ، فتتدفق الجرائد إلى السوق كل يوم كلمات وتراكيب ركيكة ، ويتلقفها القراء المحدودون والثقافة ، فتشيع حتى ليقع فيها البلغاء من حيث لا يشعرون ، ثم يتصدى لها المطلعون الغير على لغتهم بالتخطئة والإصلاح ، ولو استشار المحررون معجما موثوقا به أو أحد العلماء أو رجعوا إلى مصحح متمكن في صحيفتهم لحف الضرر .

لكن هذا أيضا لا يقوم به إلا متعلم . ولكل زمان أخطاؤه وانحرافات ، وأنا أعرض إلى ما وجدته من ذلك في نشرات الأخبار المذكورة ، ناظما ما تشابه منها تحت عنوان واحد .

(١) النشرة الرابعة المسائية في ١٤ / ١ / ١٩٨٣ (٢) النشرة الثالثة في ظهيرة ٧ / ١ / ١٩٨٣ (٣) للدالتهما على شيء واحد ، وقد أوقعت ضرورة الوزن بعض الشعراء قديما فعطف على المضاف قبل مجيء المضاف إليه ، والضرورات لا يقاس عليها .
وقع ذلك للأعشى في قوله : لإعلا أو بداهة سابح نهد الجزيرة .
ولأبي زييد الطائي في قوله : يامن رأى عارضا أسر به بين ذراعين وجهة الأسد

وتلميذ مدرسة الميدان) وقع الثقل ، فإن زدت إضافة رابعة فأنت في بحبوحة الثقل وغايته ، كما جاء في خبر «إن وزراء دفاع دول معاهدة وارسو سيعقدون اجتماعهم»^(٢٣) وزاد كرم محرر الخبر فأتحفتنا بخامسة حين قال : « لجنة وزراء دفاع دول معاهدة وارسو تتابع اجتماعاتها في براغ » .

ولو فصل هذه القناني الخمس المركز بعضها فوق بعض عمودياً فقال (لجنة وزراء الدفاع لدول معاهدة وارسو) لزال المحذور ، فإذا كانت الترجمة الحرفية هي التي جنت على المحرر لأن الخبر مترجم فما عذره في قوله (....) يصدر مرسوماً بتحديد موعد إجراء انتخابات مجالس المحافظات ...)^(٢٤) فهل هذا مترجم أيضاً؟ للترجمة الحرفية بلاء على ملكة المترجم بحيث لا تمضي على معاناته لها مدة حتى تفسد ملكته ويقضى على أصالتها . وله أن يستغني عن كلمة (إجراء) لعدم ضرورتها فيقول (.. مرسوماً بتحديد موعد لانتخابات مجالس المحافظات) إذاً لأراج واستراح وعافى الناس من الركاكة . ومثل ذلك ما جاء في خبر (أمين سر منظمة طلاب حرب التحرير)^(٢٥) .

وحرف العطف ؛ فن الخطأ الذي تروجه الصحف والإذاعات أمثال قولنا: (على مديري ومعلمي المدارس الحضور ..) أو (رفع مديرو وموظفو وعمال شركة كذا مطالبهم إلى وزارتهم ...) والصواب أن يقال : (على مديري المدارس ومعلميها) أو (رفع مديرو شركة كذا وموظفوها وعمالها مطالبهم) من ذلك ما جاء في خبر (تشكل خطورة على ما أسماه أمن ووجود إسرائيل)^(٢٦) ، وفي خبر آخر (ومناقشة وتقويم الأحداث)^(٢٧) وظاهر أن الصواب (ما أسماه أمن إسرائيل ووجودها) و(مناقشة الأحداث وتقويمها). إن الصحف والإذاعة مسؤولتان عن شيوع هذه الركاكة حتى فسدت تعابير الناشئة والكبار من كثرة التكرار ، فهما ينبه المدرسون إلى الخطأ صباحاً ، تعقبهم في المساء المديعة أو الصحيفة بالخطأ نفسه فيرسخ الخطأ وينسى الصواب . وما أشك في أن أول من أذاع هذا الخطأ صحفى أو مديع اشتغل بالترجمة الحرفية عن الفرنسية مثلاً :

٤ - تتابع الإضافات :

تستسيع العربية تتابع إضافتين مثل : (خالد تلميذ مدرسة الميدان) وإن كان قولك (تلميذ في مدرسة الميدان) أسوغ وأخف ، فإن زدت إضافة ثالثة (كتاب

(٢) النشرة الرابعة مساء ١١/١/١٩٨٣

(١٠) النشرة الثالثة في ظهيرة ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشرة الثالثة في ظهيرة ٧ / ١ / ١٩٨٣

(٥) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

(٤) موجز النشرة الأولى في صباح ١٠ / ١ / ١٩٨٣

ه - عدوى الخطأ :

مضى على بعض الأقطار العربية عشرات السنين تتداول مصطلحات عربية صحيحة لمقابلاتها الأجنبية ، ثم سرت إليها عدوى من غيرها الذي ما يزال مبقيا على ركازات المترجمين :

من ذلك قولهم أمين عام التنظيم ، مدير عام السكك الحديدية ، وهذا أشنع تركيبا من تتابع الإضافات ؛ إذ ليس في التركيب إلا إضافتان وهذا ليس بمستنكر ، إنما المستنكر إضافة كلمة (عام) النكرة إلى (التنظيم) وإلى (السكك) إذ ما معنى (عام التنظيم) و(عام السكك)؟ إن الإضافة تكون لمعنى وهذه لا معنى لها ، فليس شيء اسمه (عام التنظيم) ولا (عام السكك) فحين تقول (أمين وزارة الداخلية) مثلا تدرك أن لكل من الإضافتين معنى مفهوما ف(وزارة الداخلية) واضحة المعنى، وكذلك (أمين وزارة الداخلية) ، أما حين تقحم بينهما كلمة (عام) فيسقط التعبير لأن (عام وزارة الداخلية) لا مفهوم له ولا يدل على شيء . وهذا لحن وركعة تسربا إلى بعض الأقطار حديثا ، مع أن الصواب ما كانت درجت عليه من قولها (الأمين العام لوزارة الداخلية) وهو التركيب العربي السائغ الواضح الدلالة الذي كنا نستعمله منذ أزمان في عدد من الأقطار . وما أظن أني سمعت مثل هذه الهجنة النابية إلا من قريب في إذاعة الأردن وسورية . والأمل

أن نلتزم السلامة التي كنا عليها فنقول (الأمين العام لوزارة الداخلية) و(المدير العام للسكك الحديدية) :

ومما وقع فيه العدوى أيضا كلمة (كادر وكوادر) ، فنذ أكثر من أربعين عاما نستعمل كلمة (ملاك وملاكات) لأجهزة الدولة والمؤسسات ، فملاك وزارة أو شركة مجموع الدرجات فيها لموظفيها ولعدددهم فنقول مثلا (ملاك وزارة العدل ممثلا قاضي صالح وممثلا قاضي بداية واستئناف وتميزه وخمسون مفتشا وخمسةائة كاتب من درجة كذا و . . .) ووقعت النكسة من سنوات قريبة فصرنا نسمع من بعض الصحفيين والإذاعات بـ (كادر وكوادر) الفرنسية بينما لا يزال الاسم الرسمي كلمة (ملاك) ، جاهلين ما قطعته بلادهم من خطوات ، كذلك عاد إلى الظهور - بدل الاتفاقات - الكلمة الأجنبية (بروتوكولات) على سماجة اللفظة وثقلها . وكنت لا تقرأ في الصحف إلا (مديرين) جمعا للمدير ، فأخذ بعضهم في الصحف والإذاعات يقول (مدراء) وهو جمع خطأ جدا ، إذ لا نقول في جمع مشير مشراء ولا في جمع معيد معداء ، وسألنا صاحب الجريدة مرة عن كتبها في جريدته فامتعض وقال : هو مسجل ويتطوع أحيانا في إعانة بعض المحررين . . . وكانت إذاعة دمشق وصحفها منذ إنشائها ، حتى الآن تقول (سينشأ الضباب صباحا) ، ثم تسرب إليها في فترة قصيرة كلمة (الشبورة) بدل (الضباب) وهي من دارجة بعض قرى لبنان

ثم رجعت كلمة (الضباب) بفضل يقظة
مسؤول فيما أقدر . أكتب الله علينا أن يقود
مخطئنا المصيب ؟ .

وجاء في نشرة واحدة مرة (أذاع راديو
بيروت) وفي نشرات بعدها (قالت إذاعة
بيروت) أهناك اتجاهان في إذاعة واحدة؟
أحدهما يقول : إذاعة بيروت ، والآخر
يقول : راديو بيروت ؟ .

مازلت أقول إن (الضمير) أشد ما نحتاج
إليه في أعمالنا .

٦ - كلمات تدل على غير المقصود منها :

جاء في نشرة صباحية في ٩ / ١ / ١٩٨٣
(ليقوموا بواجباتهم) والكاتب يريد (بالراجب
عليهم) ، واجبي ما يجب لي عليك ،
والواجب على ما ينبغى على القيام به تجاه
غيري والفرق بينهما جلي .

وجاء في نشرة أخرى « ما سبق للعرب
أن أقروه في سابق اجتماعاتهم »^(١) اللفظ يدل
على ما سبق اجتماعاتهم ، وهم لا يريدون
هذا ، بل يريدون ما قروره في اجتماعاتهم
السابقة ، وفرق ظاهر بين التركيبين .

وجاء فيها أيضا « وقد فشلت سلطات
الحكم العسكري الصهيوني في مساومته » .
وهم يريدون (وقد أخفقت) ، لأن معنى

الفشل : الضعف ، ومعنى الإخفاق الخيبة وعدم
النجاح ، والفرق بينهما واضح :

وجاء في خبر آخر قولهم (إن التضخم
المالي سيرتفع بمعدل ١,٤ بالمئة عن نفس
المعدل في التضخم خلال العام الفائت^(٢)) .

كلمة نفس لها معنيان : الأول واحدة
من النفوس ، والثاني : التوكيد ؛ فأما
المعنى الأول فتقدم فيه كلمة (نفس)
تقول : (نفس الرجل طيبة) وفي المعنى
الثاني : التوكيد ، يجب أن تتأخر (نفس)
حتما ، تقول (رأيت الرجل نفسه) ، وفرق
كبير بين (نفس الرجل) و (الرجل نفسه)
وتقديم المؤكّد على المؤكّد لحن تسرب من
الترجمة الحرفية وعدم الانتباه إلى اختلاف
اللغات في استعمالاتها . والصواب أن يقال
(سيرتفع بمعدل ١,٤ في المئة على المعدل
نفسه خلال العام الفائت) .

أما قولهم : وهذا إن دل على شيء فهو يدل
على اهتمامنا : فهو تركيب درج منذ سنوات
وهو مترجم حرفيا عن تركيب أجنبي يوردون
أمثاله خطأ في مقام تقوية الدلالة على شيء
ما وهو هنا الاهتمام . والذي ينعم النظر في
التركيب يجده على العكس ، فهو يعني أن
هذا لا يدل على شيء ؛ فإن كان فيه دلالة
على شيء ما ؛ فرضيا - فهو يدل على الاهتمام .
وهذا مع ركته مضعف للمعنى المراد ،

(٢) النشرة الأولى في ٧ / ١ / ١٩٨٣

(١) الثالثة في ١٠ / ١ / ١٩٨٣

والصواب إسقاط الحمل الشرطية كلها بحيث يبقى (وهذا يدل على اهتمامنا) ، فإن أردنا الحصر قلنا (وهذا إنما يدل على اهتمامنا) .

٧ - متفرقات مما يشيع الآن في الصحف والإذاعة :

أتكلم هنا على خمس كلمات لا يجوز إغفال التنبيه عليها لتسربها إلى الخاصة أيضا فهي من الخطأ الحديث :

يتمركزون ويتمحورون : « يتمركزون^(١) فيها » في العربية (يركزون) ولا داعي إلى إقحام الميم ثم الاشتقاق منها فليست من أصل الكلمة .

وفي خبر^(٢) : (دعا إلى نبذ التمحور حول الأنبياء القطرية) هذه أبشع من الأولى ومعناها غير صحيح ، هم يريدون معنى (يدورون حول الأنبياء القطرية) وأتوقع أن يتجنب الإعلاميون هذه الركة ؛ حفاظا على لغة الصغار والكبار حتى العلماء منهم ، فإن التكرار الكثير للفظ المهجين على السمع يزلقه على ألسنتهم من حيث لا يشعرون ولا يريدون .

أكد على :

وجاء في خبر واحد (. . .) التي أكدت عليها المؤتمرات . . . يؤكد يوميا على التزامه^(٣) يتكرر هذا اللحن في كل صحيفة

وئشرة تقريبا فيصعب إحصاؤه ، والحملتان السابقتان من خبر واحد وقد مل المصلحون من الإشارة إلى هذا اللحن ، فالفعل (أكد) ينصب مفعوله بنفسه ، وإقحام (على) بعده هجئة قبيحة ، وتكرارها هو الذي أشاعها ، والصواب أن نقول (أكدتها المؤتمرات) و (يؤكد يوميا التزامه) أي بإسقاط (على) بعده (يؤكد) .

أي :

في خبر « لم يتقرر بعد عقد أي قمة »^(٤) « منعت دخول أي طالب »^(٥) « تعارض أي علاقة مع الكيان الصهيوني »^(٦) هذه الاستعمالات لم تقتصر على الصحف والإذاعة ، بل عمت بها البلوى حتى تسربت إلى الكتب المدرسية والثقافية بل إلى اللغة الدارجة ، التي يتفصح بها ، وصارت كالوباء الذي عم وطم ، وأصلها الترجمة الحرفية الخاطئة لـ (Any) الإنكليزية ، وهذا المعنى لا ينطبق على (أي) العربية التي حصر استعمالها في الاستفهام والشرط والموصولية والكمالية . والكلمة الصحيحة التي يجب أن تحل مكانها هي كلمة (كل) قبل المضاف إليها أو كلمة (ما) الدالة على التنكير بعدها فنقول (لم يتقرر بعد عقد قمة ما) ، « منعت دخول كل طالب » ، « تعارض كل علاقة مع الكيان الصهيوني » .

(٢) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

(٤) النشرة الثالثة في ٧ / ١ / ١٩٨٣

(١) النشرة الأولى في ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشرة الأولى في ٢٠ / ١ / ١٩٨٣

(٥ ، ٦) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

التي عكست المعنى: والصواب: « إن حرب بلاده للعراق هي حرب دفاعية». كذلك قولهم (اتفقت إنكلترا مع فرنسا) خطأ لأن (اتفقت إنكلترا) ليست جملة فلا تأتي بعدها (مع) ، و(اتفق) فعل مشاركة ينبغي أن يكون فاعله متعدداً ، والصواب (اتفقت إنكلترا وفرنسا) .

هذا :

تكثر كلمة هذا في الأخبار والإذاعات والبيانات ، مفردة مبتدأ لا خبر له ، بل لا معنى للكلمة البتة ، وحتى الآن لا نعلم المراد منها ، ولا خبر لها قد يفهم من قرينة أو كلام سابق . فمن عرف خبرها ومعناها فليفدنا أفاده الله ، هي كالنقطة بين كلامين ، استحدثت قريباً جداً ، فلتسموها (هذا الإذاعية) لا معنى ولا إعراب ، هي صوت والسلام .

وبعد ، فكل منا في مجاله يستطيع إزالة التشويه عن صفحة البيان العربي الناصعة ، وقد أنيط بنا جميعاً -صحفيين ومذيعين وجامعيين ومجمعيين ومدرسين ومسؤولين- رفع لواء العربية ووقايتها من كل ضعف، وضائر المسؤولين عن الصحف وسائر أجهزة الإعلام هي التي تجعل منها أداة هدم أو أداة بناء .

سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل من سورية

مع :
كلمة (مع) تأتي بعد جملة تامة الدلالة وتعني مصاحبة ما قبلها لما بعدها ، فجيئها قبل أن تتم الجملة هو محط الإنكار . وفي العربية أفعال تدل بطبيعتها على المشاركة ولا يأتي فاعلها واحداً ، بل متعدداً مثل (اجتمع ، اتفق ، تشارك) تقول : اتفق سليم وخالد ، واجتمع البائع والسمسار ، تشارك المحتمعون ، فإن قلت (اتفق سليم) كان قولك غير جملة ، لأن الفاعل لم يستوف بعد ، ولا تأتي هنا كلمة (مع) البتة بل لا بد من معطوف بالواو فنقول (اتفق سليم وخالد) . وعلى هذا فقول بعضهم (اتفق سليم مع خالد) لحن غير جائز . جاء في الأخبار هذه الحمل (وكان قد اجتمع مساء أمس مع السفير الأمريكي)^(١) والصواب (اجتمع هو والسفير) أو (اجتمع بالسفير) وجاء أيضاً : «الالتقاء مع المسؤولين... لعقد اجتماعات مع المسؤولين»^(٢) والصواب (لقاء المسؤولين... لعقد اجتماعات بهم) . وأعجب مما تقدم خبر جاء فيه «قال وزير الخارجية الإيراني : إن حرب بلاده مع العراق هي حرب دفاعية»^(٣) أكانت إيران والعراق تحاربان معاً في صف واحد حتى نقول (مع) ؟ هذا ما يفيد الخبر عربياً . إن المكان هنا لحرف (اللام) لا لا (مع)

(١) (٢٤) النشرة الثالثة في ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشر .

لغة الصحافة في قطر الجزائري

د. سنان أحمد تونسلي

الحرخادما ذليلا حقيرا ، أخرجت دولة مسلمة عربية فتيحة ، قوية ، محترمة الجانب لوائها مرفوع وكلمتها مسموعة .
إن جزائرنا اليوم ومنذ عشرين سنة فقط ، ذات حكومة مركزية قوية ، يديرها حزب واحد هو الذي قاد الأمة في معركة التحرير الشامل ، فرجع العلم ووطد أركان الاستقلال . وهي ذات مجالس شعبية عديدة ، ولها ميثاق وطني ، ودستور صودق عليهما من طرف الشعب بما يكاد يشبه الإجماع ، وكلاهما يقرر بصراحة أن الإسلام دين الدولة ، وأن العربية هي لغتها الوطنية وأن الاشتراكية هي نظامها الاجتماعي والاقتصادي — والبلاد تسير ضمن هذا الإطار سيرا متواصلا ، فهي ترعى الدين الإسلامي وتحميه . وتنشئ في كل مكان المساجد العديدة الهبة ، وعمما قريب تفتح أبواب الجامعة الإسلامية الكبرى في مدينة قسنطينة ، ثم هي تعلم العربية الفصيحة بلهجتها القرآنية " زيد عن الأربعة ملايين من صبيان الأمة دكورا وإنائا ، أي خمس عدد السكان البالغ ٢٠ مليوناً ، وهي ماضية في تعريب الثانويات والكليات بصفة مستمرة

أيها العلماء الأعلام والزملاء الكرام .

استجابة للقرار الذي اتخذته هيأتكم الموقرة ، القاضي يجعل موضوع لغة الصحافة خلال العصر الحديث ، موضوعا أساسيا تدور حوله مناقشات دورتنا الحالية ، يسعدني أن أقدم هذه الملاحظات حول صحافتنا العربية بالقطر الجزائري ، وهي ، والحمد لله ، صحافة مزدهرة يانعة سليمة الفكر ، جيدة التحرير ، حاملة قسطها الأوفى في نشر اللغة العربية وإحلالها المقام اللائق بها ، في أرضها ، وبين أهلها وذويها .

ولا تجهلون سادتي الحلة أنه منذ ربع قرن كامل ، كانت الجزائر تخوض معركة الحرب التحريرية الوحيدة في العالم العربي من حيث طولها الذي زاد عن سبع سنوات عجاف ، ومن حيث شسدها وفضاعة وقائعها ، ومن حيث وحشية المستعمر في قمعها ومحاولة القضاء عليها وكذلك من حيث الانقلاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي أحدثته بعد النصر المبين . فن خرائب الاستعمار الفظيع الذي ملك الأرض وما فوقها وما تحتها ، وجعل ابن البلد

(*) ألقى في الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١ من جادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ

الموافق ٢٤ من فبراير سنة ١٩٧٣ م) .

وقد تم تعريب عدد كبير منها كالحقوق والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، والعلوم الاجتماعية .

أما الصحافة عندنا فهي تابعة كلها للنظام السياسي الحاكم . نظام حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري ، وليست لنا إطلاقاً صحف معارضة ، ما دمنا متفقين على الأسس ، إلا أننا نملك ونستعمل حرية النقد اللاذع والتوجيه الصحيح ، وتشمل الصحافة العربية عندنا ثلاث صحف يومية سليمة التفكير ، جيدة التحرير ، هي : « الشعب » بالعاصمة الجزائر ، و « النصر » بقسنطينة في شرق البلاد ، و « الجمهورية » بوهـران في غربها . كما لنا عدد لا يستهان به من المجلات الثقافية والعلمية والأديبية والفنية ، أهمها . المجاهد الأسبوعي ، والأصالة ، والثقافة ، والمرأة الجزائرية والجيش ، ومجلة التاريخ ، ونحو عشر مجلات شهرية أخرى .

أما الكتابة في هذه الصحف والمجلات فهي - كما سترون - من النثر العربي الفصيح ، ربما تمتاز بالجوادة ، والمتانة ودقة التعبير لا يستعمل من العربية القديمة غريبها (١) ، بل هو منطلق من البيان القرآني المدهش ، الذي يدخل الأذن بغير إذن ، ويسمو بالفكر وبالروح معا إلى أعلى الدرجات ، فالصحافة عندنا من حيث التحرير ومن حيث التفكير ، لا تشرف الجزائر وحدها ، بل هي تشرف مغربنا الكبير ، وتشرف عالم العروبة الفسيح .

ولقد رأيت أن أنقل لمجمعكم السعيد نبذا مما تكتبه عندنا مختلف الصحف والمجلات متناولة شتى المواضيع ، لكي تروا سادق الحلقة رأى العين ، سلاسة التحرير ، ودقة التعبير ، ولكي تطلعوا - حفظكم الله - على ما يشغل الرأي العام عندنا من مشاكل العرب - وما أكثر مشاكل العرب - ومشاكل العالم ، ومشاكلنا الداخلية الخاصة (*) .

(١) ولا يستعمل من العامية شيئاً .

(*) ولي قبل ذلك ثلاث ملاحظات أود بيانها : أولاً : أنني لا أريد من وراء ما سأقدمه لكم ، إطراء للجزائر ، أو تنويها بشأنها كلا . فلست والحمد لله إقليمياً ، إنما أريد أن أقدم لكم صورة حية من صور الكفاح في بلد كان فرنسي الجنسية واللغة والحكومة ؛ وكانت العربية محرمة الاستعمال فيه ، يعاقب معلمها ومتعلمها إلا ما ندر ، ولم تكن له منذ ربع قرن إلا صحيفة واحدة ، تمثل العروبة والإسلام الصحيح ، هي « البصائر » ، وما أدراك ما هي . ففي عشرين سنة من الاستقلال الشريف ، أصبحت لنا ، وبفضل أبنائنا ، هذه الصحف التي ذكرت ؛ ونكتب يومياً وأسبوعياً مثل ما سأقدمه لكم .

ثانياً : أنني إن تكلمت عن الصحف الجزائرية ، فكأنني أتكلم عن صحف المغرب العربي عامة ، فلفتنا واحدة في المغرب الأقصى الشقيق المحبوب ، وفي تونس العزيزة الغالية . وطريقة تفكيرنا واحدة ، وآمالنا البعيدة واحدة . وجهادنا العنيف في سبيل الإسلام واللغة والوطن واحد .

ثالثاً : تعقيباً على ما جاء في المحاضرة القيمة المجيدة التي تفضل بها الأستاذ الجليل سعيد الأفغاني بالأمس ، أقول إن كتاب الأخبار في كل صحفنا ، ربما وقعوا في نفس الأخطاء اللغوية أو النحوية التي تفضل بذكرها فالصحيفة =

١ - الدين الاسلامى :

تقول صحيفة الجمهورية تحت عنوان «الإسلام قوة وحضارة» .

«لقد كان الدين الإسلامى وما يزال كاسما للجهل بجميع أشكاله وهو من بين الديانات جميعا أقرب إلى العقل وأكثر تقبلا للتلاؤم مع الإنسان فى مغامرة الوجود المتجددة لأنه يعيد عن الهمجية ومظاهر الجهل ومتناسب هو وذكاء الإنسان ؛ لأن العقيدة الإسلامية هى الوحيدة المعروضة دون لبس أو غموض .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الإسلام هو قوة حضارية .

إن الإسلام تحصيل على قوة البعث والانبعاث لارتباطه بالواقع فى أصوله وجذوره وهو حياة الجماعة ونظامها الاجتماعى ويكفل توزيع الخيرات بالعدل بين الناس وهو التعاون فى جميع صورته وأشكاله، هو التعاون بين الضعيف والقوى وعطف الغنى على الفقير ، وأساسه العمل فى ظل الحرية

والنظر إلى مستقبل الحضارة والرقى نظرة واقعية. وعندما تعود الحضارة الإسلامية - وهى عائدة لا محالة - فإنها تعود بروح جديدة وطموح . إن العلماء قد فسروا الإسلام بشكل يتفق والمصلحة العامة ، وكانوا يستنبطون من القرآن ما ينفع الناس .

وبعد ذلك جاء بعض الزنادقة الذين كانوا يجهلون روح القرآن الحقيقية وبدأت البدع والحرافات الخاطئة التى أبعدهم عن القانون الإسلامى ، مما جعل الشعوب الإسلامية تعيش فى فتن مزقت شملهم وفتحت الأبواب للاستعمار الأجنبى .

إن ما يحتاج إليه العالم الإسلامى اليوم هو إعادة اكتشاف الإسلام كما مورس أيام الخلفاء، وتطويره كما طوره المجتهدون والعلماء من الرعيل الأول الذين تفهموا روح القرآن الحقيقية .

لأن القرآن الكريم يعلمنا أن الحياة هى عملية خلق متطور وثابت. ولكل جيل الحق

== اليومية تقتضى السرعة فى الإنشاء والتجهيز ، وهذا ما يمكن أن يحدث الخلل فى السياق العربى المتين، وكتاب الأخبار فى كل الصحف العربية شرقا وغربا ، ليسوا جامعين ، ولا مجمعين بل هم فى الغالب من المترجمين و كتاب الطبقة الثانية أو الثالثة . ونرجو أن يجرى وقت قريب يستريح فيه قراء العربية من هذه التراكمات النابثة .

رابعا : ليست لنا فى الجزائر ولا فى أى قطر من أقطار المغرب العربى صحف باللغة العامية . وليست لنا فى كل بلادنا المغربية ، دعوة لإحلال العامية مكان العربية الفصيحة . بل إننا جميعا نجاهد الجهاد الكبير فى سبيل رفعة العربية وانتشارها ، حتى تصبح قريبا بحول الله ، لغة العامة والخاصة .

بعد هذا أعود للموضوع فأقدم لكم شيئا مما جاء فى الصحف الجزائرية عن مختلف الشؤون .

ونكران الذات واحترام القيم ، والتقاليد
والعادات الحسنة .

وفي قاموس الشر نجد كل معاني
الانحلال والإباحية والخبث والحيانة وحب
الذات ، والتنكر للقيم والعادات الحسنة ،
ونشر العادات السيئة ، وفي قاموس الشر يكمن
التفكك ، الذى يجد صاحبه نفسه جاهلاً
كل شيء عن مجتمعه ، وإن عرفه فإنه يسعى
إلى تقديمه بصورة لا تتفق والواقع ،
لأن حب الذات وعبادتها يدعو دائماً صاحبه
للقيام بأعمال منافية للمجتمع ، وما دام
الأمر يتعلق بكسب مادي فإن هؤلاء
يجهلون ولو بالافتراء على الواقع ، وتزلفوا
وقربى ، للوصول إلى الهدف .

فهل ، حقاً ، أصبحت الشهرة الأدبية تتم
اليوم عن طريق كتابة روايات إباحية ،
وكتابات لا أخلاقية ؟ يبدو أن هذه الشهرة
وإن تحققت لأن «الموضة» كذلك ، فهي شهرة
زائفة ، وستذهب أدراج الرياح ، كما
ذهبت شهرة الحلاج وغير الحلاج .

ذلك أن أدب العورات ، الذى يحاول
البعض نشره تقليداً لموجة غربية ، هو أدب
بائد لا محالة ، فعندما يجمع هذا الأدب
في جملة واحدة ، بين كلمات كهذه
« كان يمارس العادة — » « — وكان معلم
قرآن وعضواً في جمعية العلماء » فهذا

في حل مشكلاته الخاصة ، فعلى الحيل الحالى
من المسلمين أن يتفهم روح القرآن الحقيقية
وفق مبادئه العامة ، في ضوء تجربتهم المريرة
وشروط كبيرة في العمل بما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ، من معاني الرقى والتقدم
من أجل سعادة الإنسانية . ولكي يستطيع
المسلم أن يحقق ذلك عليه أن يرسى عقائده
بشجاعته وبقوته المعنوية لتجاوز السلبيات
التي كانت وما زالت سبباً في تدهور
أمته العظيمة ، بعد انتصار ساحق على كل
مظاهر السلبية ، وبعيد كل التطور
والتقدم الذى عرفته الأمم والشعوب التي
ارتضت الإسلام ديناً ، ولتركيز الضوء على
سلبياتنا التي ينبغي محاربتها نستطيع أن نقول
إن الشرائع الدينية المتعلقة بتنظيم المجتمع
لم تكن جامدة كما يعتقد الغربيون بل كانت
تتطور يوماً بعد يوم . ومن المؤكد أن حالة
الشعوب الإسلامية أصبحت مريعة لكن
ذلك لا يعود إلى الإسلام وإنما عكس ذلك ؛
فجمود المسلمين اليوم سببه التخلى عن
الشرائع الإسلامية والتباعد عنها أكثر فأكثر .

وهذا يعنى العودة إليه لأن هذه الأمم
لا تصلح إلا بما صلح به أولها كما قال مالك
رضي الله عنه .

٢ - مقاومة الإباحية والتحلل :

تقول «الجمهورية» أيضاً :

«في قاموس الخير نجد كل معاني العظمة
والكرامة والوطنية والجهاد والإيثار

يعنى أن كلاما كهذا هو إلى الهذيان أقرب منه إلى الأدب ، وقد يستمر صاحبه في الهذيان حتى يقول سخفا ، لا شعرا ولا أدبا .

قد يقولون في كل من كتب مثل تلك الفقرة ، أو فيمن يريد إشاعة أدب « العورات » هو أديب ثورى وتقدمى، وهذا يدعوننا إلى الترحم على الثورية ، إذا كان ذلك مقياسها، وعلى التقدمية، إذا كانت الإباحية معيارها ؛ لأننا سنصف كل من قال « وكان صديقا لعلى أبو طالب » - هكذا - والغلط من عندهم ، سنصفه بالثورية كما قد يصفون كل من ندد بالإباحية وأدبها بالرجعية والسلفية وقراء « الكتب الصفراء » كما جرت العادة من قبل .

لكن، إذا كان رفض أدب الإباحية ، يعنى بالضرورة إلصاق تهمة الرجعية ، فهل من الثورية ، أن تقول أدبية : وفي جلسة سمر التقيت فيها بنزار قباني ، على كؤوس

وبعد ، لقد حمت حول الموضوع ، ولم أدخل في صميمه . لأنه ليس من اختصاص الصفحة الخوض في مثل هذا الموضوع ، ومع ذلك فإننا نوكد ، أن معلم القرآن سيظل خادما لهذا الكتاب العظيم وستبقى الجزائر

تذكر بوفاء مآثر رجال جمعية العلماء . وسيظل على بن أبى طالب - رضى الله عنه - رمز البطولة والفصاحة ، لو فكك بعضهم نفسه إلى أجزاء ، ثم التحم بأجزاء أخرى من ذوى أدب العورات والمعرة ، لما استطاع أن يأتى بحديث من مروياته أو خطبة من خطبه .

لقد قلنا شيئا ، وبقيت أشياء ، نرجو مخلصين ، من هؤلاء الإباحيين ، عدم الخوض فيها لأن ذلك يعنى نشر الغسيل على الملاء ، ولأن قصص الجون والفساد أصبحت ممجوجة ، ولو طعمت بأغراض ومجتمع يسعى إلى بناء ذاته ومستقبله، انطلاقا من واقعه ؛ فهو مجتمع يسمو عن قصص السخف والدعارة والانحلال :

ومن هنا ، تبدو بعض القصص والروايات المتداولة والمعان عنها للإشهار ، روايات لا قيمة لها أخلاقيا ، على الأقل من وجهة نظرى . أما فنيا ، فقد كان لها الحظ في تقييمها من طرف غيرنا . وكان لها الحظ أيضا . عندما وصفت بالثورية ، وأصحابها بالثوريين . وكما قلت ، فكم هى مغبونة تلك الكلمات وخاصة في الوطن العربى ، ومسكين من وصف بها تملقا وزلفى ، لأنها أوصاف ما أريد بها وجه الله .

إن ما عرضته إسرائيل في جلسات المفاوضات المتنقلة بين « خلدة » و « كريات شمونة » يوضح بكل بساطة أنها لا تريد فقط تحويل لبنان إلى بلد منزوع السلاح نهائياً ، ولكن تحويله إلى مجرد بلد تابع ومجال حيوى واستراتيجى أيضا .

ولكن فى مقابل هذا الإصرار الصهيونى على تحقيق جميع أطماعه والتهم لبنان سياسيا وعسكريا ، ماذا يملك لبنان المحطم الجريح المحتل لرفض إدارة المحتل الذى يجثم على نصف أرضه عسكريا وسياسيا .

لا شىء غير التفرج العربى الذى تركه يواجه مصيره المحتوم ألا وهو الاستسلام أو المحو من الخارطة السياسية للمنطقة . أما ما يقال عن الاستياء الأمريكى من التصلب الصهيونى فى المفاوضات فليس إلا مجرد مسرحية ، وذرا للرماد فى العيون ، إسرائيل دخلت إلى لبنان بإرادة أمريكية وهى باقية بإرادة أمريكية ومطالبها جزء لا يتجزأ من الإرادة الأمريكية ومصالحها من صميم المصالح الأمريكية .

إن الأمل فى قدرة أمريكا على الضغط على إسرائيل هو بمثابة انتظار الضغط من شارون على بيغن أو العكس .

إن مهزلة الاستياء الأمريكى مهزلة من فصل واحد ، وستنتهى هذه المهزلة بإعلان عجز أمريكا انطلاقا من التجربة بأن الضغط ان يودى إلا إلى نتائج عكسية ، وسيطلب

وأخيرا ، لقد كان من المفروض أن تنشر هذه الكلمة فى الصفحة التى نشر فيها التفكك ، ويأبى الله ورسوله إلا أن تنشر فى رحاب الكتاب والسنة ، لأنها كلمة خير ، أما الذين يزعمون أن الكتابات الإسلامية ليست أدبا ، فنشكر الله على ذلك ، لكن هؤلاء ينسون أنهم لا يزالون عالة على تلك الكتب التى هى محور رسالات جماعية ، وستبقى كذلك .

٣ - أما فى ميدان السياسة العربية ، فتكتب صحيفة الشعب ، تحت عنوان :

(لبنان يدفع)

«تحدث التقارير الصحفية عن المأزق الذى آلت إليه المفاوضات الثلاثية ، وصعوبة التوفيق بين المطالب اللبنانية فى إجلاء الاحتلال الإسرائيلى عن لبنان ، وأوبى الأطماع الصهيونية فى تكريس نتائج الاحتلال لهذا البلد .

وهذه الصعوبات الطارئة لم تفاجئ بطبيعة الحال إلا أولئك الذين كانوا يتخيلون أن قوات الاحتلال الصهيونى دخلت إلى لبنان لمجرد القيام بحملة تأديبية ضد قوات المقاومة الفلسطينية ، وأنها ستسحب من تلقاء نفسها بمجرد تحقيق هذا الهدف .

والواقع أن التدرع بتصفية وجسود المقاومة الفلسطينية من لبنان لم يكن إلا شجرة من غابة الأطماع الصهيونية التاريخية فى لبنان .

من لبنان—مادام لا يستطيع مواصلة الرفض—
دفع ثمن التصلب الصهيوني والعجز الأمريكي
والغياب العربي .

وفي نفس الموضوع ، تكتب مجلة
المجاهد ، وهي اللسان الرسمي لجهة التحرير
الجزائري ، تحت عنوان :

« الكلام الرديء ، في الزمان الرديء » :
« ما بعد بيروت ، جملة ما تزال تصدر
عناوين الصحف ، ولا يكاد يخلو منها أو
من مضمونها أى تحليل ، بصرف النظر عن
هوية الكاتب ونيتته .

نقرأ ذلك ونسمعه كأن بيروت
نهضت من كبوتها واستعادت عافيتها أو كأن
ما أصابها ، وأصاب أهلها ، لا يزيد عن
كونه حادثا من الحوادث التي تقع في هذه
المدينة أو تلك ، بين حين وآخر لسبب من
الأسباب العادية .

نقول ذلك ونتعود على سماعه ، وكأن
الاجتياح الصهيوني الهمجي ، المدعوم فكرا
وعملا ، من قبل الإمبريالية الأمريكية ، الذي
حصد الرؤوس ، وزرع الدمار ، ونخرب
النفوس ، وما يزال شبحه الرهيب يلقى
بظله الأسود على ربوع لبنان . . يلاحق
الثكالي والأيتام . . كأن شيئا من ذلك
كله لم يحدث ، وكأن بيروت ليست هي
لبنان ، وليست أول عاصمة عربية مستقلة ،
تطوؤها أقدام الصهاينة ، منذ بدأ الصراع
العربي الإسرائيلي المرير .

إن هذا الـ (ما بعد) الذي أصبح محور
ردود أفعالنا ، تجب مقاومته لأنه لا يخلو
من مضامين ، هي في الأساس من إلقاء
العدو .

إننا نقول ذلك ، وكأنه ما كان ولم يعد
يهبنا من أمر بيروت إلا خروج المقاومة
وما دما قد حققنا ذلك ، فلا يحق لنا أن
نفكر في بيروت ، ولا فيما لحق شعبها ، بل
من اللائق أن ننتظر (ما بعد) أخرى ،
تكون منطلقا لما نقول ونردد . إن رجحان
كفة العدو طوال حقبة الصراع العربي
الإسرائيلي لا يعود فحسب إلى تفوقه في امتلاك
أحدث الأسلحة ، وتحكمه في كيفية استعمالها .
ولهذا نراه عمدا ، وما يزال ، إلى شل الإرادة
العربية بالحرب النفسية ، يمهد بها لكل
عدوان ، ويؤكد بها كل انتصار عقب
حرب ١٩٦٧ . وقف مرشى ديان على حافة
قناة السويس ، وقال للصحفيين ، مزهوا
بانتصارات جيشه : (لن تقوم للعرب بعد
اليوم قائمة . . ولن يفكروا في شن حرب
على إسرائيل . . إننا اليوم نسكن في عظامهم !) .

ولما انصرف ، انفرد به أحد الصحفيين
وقال له : هل تعتقد حقا أن إسرائيل
انتصرت وضمنت السلام أمام هذا البحر
العربي الذي يعد بالملايين ، ويزخر
بالإمكانات ؟

التفت ديان إلى محدثه ، ورد عليه
قائلا في شبه تنهد : يا عزيزي هناك جنرال

ويؤكد هذا البرنامج للوقت بين وزارة التخطيط والتهيئة العمرانية ووزارة الصحة وكتابة الدولة للشؤون الاجتماعية، يؤكد المكانة الهامة للمعوقين التي أكدت عليها النصوص الأساسية للبلاد، كالميثاق الوطني والدستور وقانون الصحة والقانون العام للعامل، ويدعو ضرورة الحلول المرضية للمشاكل التي يواجهها المعوقون، والتي تتطلب تدخل الدولة قصد إعداد وتنفيذ برنامج في إمكانه تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من المواطنين.

وقد تعرض التقرير في البداية إلى الرضعية الحالية للمعوقين مع تصنيفه لأنواع المختلفة لهذه الفئة التي يبلغ عددها بحسب تقديرات وزارة الصحة سنة ١٩٧٩

ثمانمئة ألف معوق من بينهم :

٢٠٠ ألف معوق عقلي

٣٠٠ ألف معوق جسدي

٢٠٠ ألف معوق حسي (رهم: الصم-البكم

- المكفوفون).

ويهدف هذا البرنامج الذي يسير في إطار الخطة السنوية (١٩٨٣) لتسطير برنامج لفائدة المعوقين حسيا (رهم: المكفوفون-الصم-البكم) وسوف يتم إنجاز هذا البرنامج كما يلي : - إنجاز ١٦ مدرسة للصم البكم تستوعب كل منها (١٥٠) طفلا، أي بمجموع ٢٤٠٠ مقعد، وبفضل هذا الإنجاز سوف ترتفع نسبة المكويين من ١٢,٥ إلى ٤٣٪.

واحد-لا أحد غيره - قادر على قهر العرب والانتصار عليهم إنه جنرال اسمه اليأس!!

وهذه ال (ما بعد) هي إحدى بنات هذا الجنرال ، وما أكثر أخواتها ، التي دسها العدو في نفوسنا وشغلنا بها لكي لا نفكر في فلسطين ١٩٤٨ ولكي ننسى حريق المسجد الأقصى ، وأصبحت القدس بكاملها عاصمة للعدو ، وحتى لا ننشغل (بثورة الحجارة) التي عمت الضفة والقطاع ، فجعلنا باجتياح الجنوب ومحاصرة بيروت ، وإخراج المقاومة منها .

لقد تمكن المرض منا وسكن عظامنا ، ولعله لن تطول وقتنا عند جملة (ما بعد بيروت) وما أحسبني خرجت من أسر الجنرال الذي أشار إليه ديان !!

٤ - في الميدان الاجتماعي :

تقول جريدة «الشعب» :

استعرضت الأخت زهور ونيسي-كاتبة الدولة للشؤون الاجتماعية، أمام مجلس الوزراء المنعقد صباح أمس الأحد تحت رئاسة الرئيس الشاذلي بن جديد، رئيس الجمهورية الأمين العام للحزب - الخطوط العريضة للبرنامج المشترك لصالح المعوقين الذي يدخل في إطار تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من السكان سواء على مستوى الوقاية أو إعادة التأهيل والإدماج .

التنمية تلتهما الزيادة السكانية . والمنطق
الإنساني أدرك منذ القديم أن الإنسان المبدع
يساوي عشرة آلاف رجل على حد تعبير
« هيرقليطس » . وقد أكدت الشريعة أن
المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف
وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى : « كم
من فئة قليلة غابت فئة كثيرة بإذن الله » .

لم يكن العدد في يوم من الأيام هو الحكم
الفاصل في تقرير النجاح أو الفشل والنصر
أو الهزيمة، والتاريخ يقول: إن حملة العبادة
قد استطاعت هزيمة الملك « حيروديوس »
و « جرجير » - كما لقبه العرب - رغم أن
النسبة كانت ١ إلى ٦، وحملة العبادة هي
أولى الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا .

وفي العصر الحديث استطاعت إسرائيل
أن تهزم العرب في كل الحروب رغم أن
النسبة كانت ١ إلى ٥٣ .

ه - وعن «النقد الذاتي» تقول مجلة «المجاهد»:

« إذا كان طموحنا في التقدم مرهوناً بما
يؤديه الفرد والجماعة في مختلف المرافق،
فإن الإشارة إلى بعض السلبيات التي تكبح
خطواتنا نحو تحقيق أهدافنا يعد أمراً ضرورياً
مثل :

- عدم احترام الزمن : مما لا شك فيه
أن المجتمعات المتقدمة تقدر عامل الزمن
وهو سر من أسرار تقدمها، ونحن - للأسف -
مازالت عندنا مقولات : قتل الوقت وتضييع

- إنجاز ٨ مدارس خاصة بالمكثوفين
تبلغ قدرة استيعابها ١٥٠ مكان، أي توفير
١٢٠٠ منصب للتكوين ، وبذلك سترتفع
نسبة التكوين من ٤ إلى ١٦ ٪ ثم توسيع
بعض المدارس كمدرسة الشباب الصم البكم
بوهران ، وإنشاء ملحق خاص بالفتيات
بمدرسة الصم الكائنة بالحراش ، وتهيئة
وترميم وتجهيز المؤسسات الموجودة .

بالإضافة إلى هذه العمليات المقررة في
إطار برنامج خاص بالبنائيات الجاهزة
لسنة ١٩٨٣، هنالك مشروع لإنجاز مدارس
لتكوين المختصين ومن بينهما :

- ٣ مدارس لتكوين المختصين في الإعاقة
بالبليدة وباتنة ومعسكر .

- ٣ مدارس للمعوقين السمعيين : اثنتان
بالجزائر وواحدة بجيجل .

- ٧ مراكز طبية نفسية تربوية : اثنتان
منها في الجزائر وواحد على مستوى
كل من ولايات قسنطينة ووهران و أم
البواقي وعنابة وسعيدة » :

- كتبت صحيفة «النصر» :

« إن الله خلق الإنسان ومعه عقله مع يديه،
فإذا لم يستخدم عقله كانت يده أقرب إلى
قوائم الأنعام والسوائم . يقف هذا الأخ
من قضية تنظيم النسل موقف العدا - يؤكده
أن تنظيم النسل لا تقره شريعة ولا يوافقها
العقل والمنطق ، وقد أقحم العقل والمنطق
ظلمًا وعدوانًا، فالعقل يقول بأن كل جهود

الوقت، وهي مقولات شائعة نستعملها في حياتنا العملية اليومية دون خجل أو تأنيب ضمير .

— ذهنية البايك : رغم النصوص والقوانين والإجراءات المادفة إلى جعل العامل مسيراً ومنتجا مسؤولاً ، فما زالت بقايا عقلية البايك تتحكم في سلوك وتصرفات قطاع لا بأس به من العمال المسؤولين على السواء ، وهو ما يدل عن قلة إدراك ووعي بالتحويلات التي عرفها مجتمعنا منذ الاستقلال إلى يومنا . ذلك أن التسيير الاشتراكي للمؤسسات اليوم حقيقة ثابتة لا تحتاج إلى برهان رغم وجود الذهنيات المشار إليها ، والتي ستمحي من أذهان أصحابها كلما ازداد نشاط الحزب ومنظماته الجماهيرية في أوساط الشعب بمختلف فئاته .

— قلة الوعي السياسي : إن ضعف مستوى الوعي السياسي لدى المواطن يجعله عرضة للإشاعة وتصديقها ، لكونه يفتقر لأدوات تحليل ما يسمع ويشاهد ويعيش ، وهو ما يسهل مهمة أعداء الثورة ويزيد من نفوذهم ؛ لأنهم — كما يقول علماء الإدارة — يمثلون « التنظيم الغير الرسمي » ، أي أن نقدم للأشياء لا يلزمهم بتصليحها وتسويتها ، وهو ما يجعلهم يركزون على نقائص الأمور دون إظهار جوانبها الإيجابية ، والخطر يكمن في تأثير تقديمهم على المواطن غير الواعي .

هذه بعض المظاهر التي يجب على الحزب ومنظماته الجماهيرية واتحاداته المهنية والثقافية

ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها أن يهتموا بها بشكل مكثف، وحتى تكون هناك صلة دائمة بالعامل في وحدته والفلاح في مزرعته والطالب في كليته من أجل تحقيق شعار المؤتمر الاستثنائي للحزب « من أجل حياة أفضل » والحياة الأفضل لا تكون دون مضاعفة جهودنا الرامية إلى رفع الإنتاج سنة بعد أخرى ، وهي مهمة وواجب كل عامل منا ، عليه أن يلتزم أمام نفسه أولاً بالقيام بواجبه حسب جهده ومقدرته .

٦ - وفي الأدب نقول «الجمهورية» :

« وقد أصبح من الضروري أن يكون الشاعر فنانيا وفيلسوفاً في الوقت نفسه ، وهذا ما تدعو إليه وباللحاح . فالفنان قلب ، والفيلسوف عقل ، وهما مجتمعان كفيلان بخلق الشاعر الحقيقي ،

وبالنسبة للشاعر سمير رايس فهو يتوفر على خاصية الفنان، ولكنه يفتقر إلى خاصية الفيلسوف صاحب الرؤية الواضحة والموقف الثابت، والمعين ، وهذا ما لاحظته بعض المتدخلين حين قال : إن القصيدة عند سمير موقف غامض ولكن إمكانية التطور موجودة بدليل أن هذا الشاعر بدأ الكتابة في وقت متأخر وفي ظرف قصير من الزمن استطاع أن يفرض وجوده بقوة في الساحة الشعرية .

وقد لاحظ هذا الأخير أن هناك علامات توشر على أن سميراً لو استمر في الكتابة

لوصول إلى إبداع شعري قوى وأصيل، ومن هذه العلامات :

١ - قدرة الشاعر سميح على الإمساك بنبض القصيدة فنيا .

٢ - قدرته على تشكيل الحملة الشعرية المفعمة بالحس اللغوي ، فالشاعر إنما يبدع عن طريق اللغة ، وبفضل « إحساسه اللغوي » .

٣ - للشاعر سميح أذن موسيقية مرهفة الإحساس ، ومن ثم فإن الجانب العروضي - أي الميزان - لديه سليم من الكسور ،

وكما يرى الشاعر زيتيلي هذه كلها مؤشرات تدل على أن سميحاً قادراً على تطوير أدواته الفنية بغية المزيد من العطاء الشعري الجيد .

وعلى العموم فإن الأمسية - رغم حضور جمهور متواضع - كانت هامة وجدية ، وتنمى من اتحاد الكتاب أن يواصل مثل هذه النشاطات لاسيما في هذا الزمن ، والبقية تأتي .

٧ - وفي النقد الأدبي نقول «الجمهورية» عن رواية ظهرت حديثاً :

اشكالية الرواية :

« يمكن أن نقول : إن نهاية الأمس تطرح سؤال وظيفة الثورة من حيث هي فصل تاريخي في علاقة هذا الفعل بالمجتمع الذي قام فيه ، إذ أن الرواية تشدد على العلاقة بين الثورة والقرية ، فالثورة تعيش التاريخ أما القرية فتعيش خارج التاريخ . لهذا يصبح

دور الثورة هو نقل القرية وإنسان القرية من زمن الراحة والسبات إلى زمن الحركة والانطلاق . إن قدرة الثورة على نقل الإنسان من وضع لا تاريخي إلى وضع تاريخي هو الذي يحدد معنى الثورة الحقيقي ، فتحقيق الانتقال هو تحقيق الثورة وغياب هذا الانتقال هو غياب الثورة ، بل يمكن أن نقول أكثر من ذلك ، إن إمكانية تحقيق الفعل التاريخي هي إمكانية ارتباط هذا الفعل بحركة التاريخ وامتلاك آفاق جديدة ، ينطبق هذا على الثورة وعلى الدين وعلى الدولة ، فالثورة لا تظل ثورة إلا بتطورها المتجدد الذي يحدد مهامها المتجددة ، فهي تبدأ بتحرير الأرض ، ثم هي تنتهي إن لم تحرر الإنسان من كل أشكال البؤس والحصار ؛ أي أن الثورة تنسى عندما تحرر الأرض من المستعمر ثم تنسى تحرير الإنسان من الاقطاع والجهل ، وكذلك حال الدين فالدين لا يمكن أن يلعب دوره التاريخي إلا عندما يرتبط بالأرض والإنسان والهموم اليومية ، فهو دعوة مفتوحة على الدنيا وعلى السماء ، أو دعوة سماوية هدفها تحرير ما هو « دنياوي » . أما خلع الدين عن ما هو (أرضي) وحصره في (السماوي) فقط فإنه طرد للدين من التاريخ ومن مسار الزمن التاريخي ، وما يصدق على الدين يصدق على الدولة ، فارتباط الدولة بالتاريخ هو ارتباطها بوظيفتها في خدمة الإنسان وتحريره ، أما عندما تنقطع عن الإنسان فهي تدور في عالم أجهزتها الرسمية وبذلك تنسى التاريخ وينساها التاريخ .

٩ - أما في الميدان العلمي ، فتقول صحيفة الشعب في اكتشاف (فيروس) السرطان :

«لقد أتيت لنا أن نكتشف بواسطة المجهر الإلكتروني الذي يكبر ما بين مائة وخمسة آلاف مرة تلك الفيروسات في خلايا حنجرة الإنسان المصابة بالسرطان ، غير أن مجرد اكتشاف الفيروس أمر غير كاف أبداً ، فمن الضروري جمعه بكمية كبيرة وفصله عن كافة المواد الأخرى وتركيزه ودراسة خصائصه ؛ لتشخيصه بشكل شامل ، وهذا ما قمت به مع الأكاديمي جدانوف والدكتور إيلين .

وتسنى لنا إثبات أن هذا الفيروس يشبه من حيث سماته كلها ذلك الفيروس الذي يسبب سرطان أثناء القروود .

ثمة ثلاث فئات من الفيروسات التي تسبب الأورام الخبيثة في أجسام الحيوانات ، وهي فئة « س » التي تسبب فيروساتها سرطان الدم وورم المعى الخبيث لدى الحيوانات ، وفئة « ب » التي تسبب السرطان لدى الفئران ، وفئة « د » التي تتضمن فيروسات السرطان المستخرجة من أجسام القروود والإنسان ، ولقد تركزت جهود العلماء في الماضي على اكتشاف ودراسة الفيروسات من فئة « س » ، أما نحن فنحن للمرة الأولى في اكتشاف نوع جديد من الفيروسات من فئة « د » .

وعند المقارنة ذلك الفيروس بجميع الفيروسات المعروفة والمستخرجة من

يحاكم بن هدوقة مفاهيم الثورة والدين والدولة في علاقتها بتحرير الإنسان وتحقيق دورها الاجتماعي ، أي أنه لا ينقد هذه المفاهيم المطلقة ولا يدعو إلى هدمها ، وإنما إلى ربطها بالحركة التحريرية ؛ لهذا يهاجم تعاليم الدين الصماء بلا هوادة ، لكنه في هذا الهجوم لا يهاجم الدين كدين ، بل يهاجم الشكل الجامد من الدين ، الذي ينسى الإنسان وبؤسه ، ويقبع صامتا في خدمة الجهل والإقطاع ، وفي هذا الإطار يدعو بن هدوقة إلى ربط الحاضر بالماضي ، والمعاصر بالتقليدي والراهن بالقديم ؛ إذ أن كل المفاهيم لا تعثر على دلالاتها إلا في شكل وظيفتها في حاضر الصراع وفي صراع الحاضر .

٨ - وفي الثقافة تقول « الجمهورية » :

«أما على الصعيد العربي ، فإن أحياء هذه الذكرى يرجع أساسا إلى سنة ١٩٦٦ ، حيث تم تأسيس الجهاز العربي لمحو الأمية بموافقة مجلس جامعة الدول العربية ، إلا أنه رغم هذه المدة الزمنية الطويلة نسبيا ، نرى الأمية مازالت ضاربة أطنابها بالدول العربية ، حيث تصل نسبتها إلى ٧٠ ٪ مما ترك التخلف والفقر عالقا بها ، علما بأن أراضيها تزخر بخيرات لا تحويها بلدان أخرى متقدمة كثيرة ، وأنها قد استقلت منذ زمن بعيد ، وعليه ، فأين نحن من شعار محو الأمية إذا كانت الأموال العربية تستغل في مشاريع لغير صالح جماهير أمتنا .»

الحيوانات ، اتضح أنه يختلف عنها ويشبه الفيروس المستخرج من ثدى القردة المصابة بالسرطان ، وتبين الأبحاث أن العينات المضادة لذلك الفيروس موجودة في خلايا سرطان الثدي عند الإنسان .

لقد ظهرت في العقود الأخيرة فرضيات جديدة حول أسباب نشوء الأورام الخبيثة ولكن وجهة نظر العلماء السوفيات - وفي مقدمتهم زيلبيرت عضو أكاديمية العلوم الطبية - بدأت تتغلب تدريجياً .

١٠ - وفي الاقتصاد ، تقول مجلة الجيش وهي من ابداع مجلاتنا :

(وأعترف عن نقل هذا المقال بطوله ، نظراً لأهمية ما فيه من معلومات غزيرة) .
«تقييم الوضع الاقتصادي غداة الاستقلال :

لقد ظلت الجزائر ما يقرب من قرن وربع قرن تئن تحت السيطرة الاستعمارية من عام ١٨٣٠ إلى عام ١٩٦٢ ، هذه الفترة التي عرفت فيها البلاد أبشع أنواع الاستغلال والنهب الاستعماري ، حيث استنزفت خيراتها وشرذم أبناؤها ، وطردها إلى قمم الجبال الصخرية والمناطق الفقيرة ، بعد أن وزعت الأراضي الصالحة للزراعة والمناطق الخصبة على أقلية بسيطة من العمرين حولت خيرات هذه الأرض لصالح «المتروبول» ، بينما بقي أبناء البلاد يعانون من الجوع والفقر والتشرد والجهل ، وعرضة للأمراض الفتاكة .

ولكن رغم هذه الظروف الحالكة والوضعية الاجتماعية المزرية ، لم ينطفئ بصيص الأمل ، بل كانت المقاومة متواصلة ومستمرة منذ دخول المستعمر - ابتداء من مقاومة الأمير عبد القادر - إلى أن كانت الثورة التحريرية الكبرى سنة ١٩٥٤ التي تحدى الإرادة الاستعمارية ووقفت في وجه أعنى قوة في العالم آنذاك : «الحلف الأطلسي» ، فافتاحت بذلك جندورها بعد سبع سنوات ونصف من الكفاح المستميت للحصول على الاستقلال ، الذي كلفها تقديم مليون ونصف مليون شهيد من خبرة أبنائها ، وفعلاً تحققت آمالها بتاريخ ٥ يوليو ١٩٦٢ الذي اشرفت فيه شمس الحرية على كامل التراب الوطني ولكن كيف وجدت الجزائر نفسها في هذا التاريخ ؟

لما أحس الاستعمار الفرنسي بنهايته في بلادنا ، بدأ ينظم خطط التخريب والنهب للاقتصاد الجزائري قبل انسحابه بحيث جعل الدولة الجزائرية المستقلة تراث اقتصاداً مخرباً ، تسيطر عليه متناقضات السياسات الاقتصادية التضخمية التي طبقتها السلطات الاستعمارية في إطار (مشروع قسنطينة) . وتسلمت الجزائر مصيرها السياسي وهي تواجه وضعاً اقتصادياً واجتماعياً متدهوراً ، خلفه الاستعمار ؛ حيث وجدت نفسها أمام ٣٠٠ ر ١٠٠٠ يتيم وحسوا إلى ٤٠٠ ر ١٠٠٠ من المعتقلين والموقوفين في السجون وما يزيد عن

٧٠٠٠٠٠ راجي خارج الوطن و ٧٠٠٠٠٠ مهاجر ، خاصة من القرى إلى المدن وما يقرب من ٣ ملايين من المجمعين الذين أخرجوا من ديارهم وقراهم لتجمعهم داخل مراكز أقيمت لهذا الغرض والتي تشبه المحتشدات، وما يزيد عن ٣٠٠٠٠٠ مجاهد، حاربوا في الجبال، عادوا منهكي القوى، أكثرهم معطوب أصابه رصاص العدو وشظايا القنابل وغارات النبال ، ولذلك كانت إعادة تنظيم السكان وتثبيت الوضع الاجتماعي والاقتصادي من الصعوبة بمكان قبل البدء في معالجة الجروح الغائرة التي تركها الاستعمار البغيض في الجسم الجزائري ، من جراء التخريبات المادية في الهياكل الاقتصادية والإدارية والاجتماعية المختلفة .

فلقد دمرت ٨٠٠٠ قرية تدميرا كليا مما نتج عنه تشريد عائلات، وبقاؤها بدون مأوى كما أحرقت آلاف الهكتارات من الغابات مع أن البلاد كانت في حاجة ماسة إلى تشجير واسع ، وتعرضت مساحات شاسعة خاصة في المناطق الجبلية إلى (سياسة أرض محروقة) ولا زالت معالمها حتى اليوم تمثل مشهدا من مشاهد التخريب كما تركت الأراضي مهملة سنوات طويلة ، كذلك أشجار الفواكه بقيت بدون علاج وقائى ، وأدى الانخفاض الكبير في عدد المواشى من ٧ ملايين إلى ٣ ملايين رأس إلى حد انقراض بعض أنواع منها تقريبا كالبقرة .

وكانت مصالح النقل أهم المصالح التي يمكن القول بأن المستعمر قد اهتم بها في الجزائر، وفي شمال البلاد بخاصة ، وذلك لتمكّنه من تحويل الإنتاج وخيرات البلاد من مصادرها إلى فرنسا. هذه المصالح قد دمرت فهدمت الطرق ونسفت الحسور وبلغ التدمير حدا أصبح معه من اللازم أن تؤدى خدمات استنفدت الجزء الأكبر من ميزانية مصلحة الحسور والطرق لسنة ١٩٦٣ .

١١ - وفي الميدان الفنى نقول : صحيفة الشعب عن المسرح الجزائرى :

«أطرف ما يقوله أشباه المثقفين هذه الأيام ، إنه من باب السخرية القول إن هناك مسرحا في الجزائر .

وللحكم على هذا الرأى ، نقول : إن الموقف السالف الذكر من الظاهرة المسرحية لا يدهشنا ما دام يبدو صحيحا ظاهريا، إذ تنبع هذه الصحة من كونها تعكس واقعا حقيقيا لم يستطع مروجوه التعبير عن خلفياته ومسوغاته الموضوعية ، وأبرز مثال يجسد ضحالة آرائهم وسطحياتها، يتجلى من خلال عدم تمكّنه من التفرقة بين حجم المسرح في الساحة الثقافية وتأثيره في المجتمع ، وبين الظروف التي تحيط برجال مسرحنا ، والتي تحدد بدورها مدى ذاتية أو موضوعية المستوى الذى يظهر به مسرحنا حاليا .

إن المستمع لمقولة « ليس هناك مسرح في الجزائر » يتخيل أن المسرح قد غلق

ومن هنا ، فإن التفكير في مستقبل مسرحي
أضحى الإجراء الملح ، قبل أن يتوقف
المسرح نهائيا كما قال أحد المسرحيين
الجزائريين .

١٢ - وأخيرا عن الرياضة ، تقول صحيفة
« الشعب » :

« انطلقت أمس بالملاعب الملحق للألعاب
القوى (مركب ١٩ جوان) للألعاب
الجماسية العسكرية تحت إشراف العقيد علي
بو حجة عضو اللجنة المركزية للحزب ،
وقائد الناحية العسكرية السابعة الذي كان
مرفوقا بالمقدم علي القاسمي عضو اللجنة
المركزية ومدير المصلحة المركزية للرياضة
العسكرية وعدد من رجال الجيش .

وبعد الإعلان عن الانطلاقة الرسمية
للدورة واستعراض الوفود الممثلة للنواحي
العسكرية السبعة والأكاديمية العسكرية
لمختلف الأسلحة بشرشال والمدرسة العسكرية
للتربية البدنية والرياضة والمدرسة العليا للتقنيات ،
فتح المسبح الأولمبي المغطى التابع للمركب
أبوابه في وجه المتنافسين ؛ ليتباروا على تحقيق
أحسن النتائج الممكنة في النوع الرياضي
الأول المسجل في برنامج الألعاب الجماسية
التي تضم - بحسب التسلسل - السباحة (اليوم
الأول) واجتياز الحواجز ، ورمي

أبوابه وفر رجاله إلى حيث لا يدري أحد
أو أنهم اعتادوا التكاسل ووجدوا مبرر
عدم الاهتمام بقطاع المسرح ؛ لينتهزوا هذه
الفرصة ويبقوا وراء الكواليس في انتظار
المرتب الشهري ، وحتى لا يقال : إنهم
يتقاضون أجرا مقابل لا شيء ، نجدهم يقدمون
مسرحية أو اثنتين في السنة ، يقتبسون الأولى
ويترجمون الثانية .

وللأسف الشديد مازالت هذه «الفتاوى»
تنتشر من يوم إلى آخر وبين عشية وضحاها ،
وأصبحت بفعل التداول أحكاما موضوعية
يتقبلها العقل بكل سهولة ، وذلك ما يهدد
ويزيد في الوضعية المتدهورة التي يمر بها
المسرح الذي مازال حيا يرزق ، وإن
تسببت علاقة وسائل الاعلام به في الظرف
الذي يعرفه ، إلى جانب الإهمال الكبير
الذي مازال يعانيه إلى حد كتابة هذه
"طور" . إلى أن تقول الصحيفة :

« وانطلاقا مما سبق ، نقول : إن المسرح
لا يمكن أن يستمر بهذه الوضعية ؛ لأن
المسرح الذي يعتمد على المبادرات الشخصية
أو الاجتهادات الفردية لا يمكن أن يتوصل
إلى توفير كل شروط الإبداع ، لأنها تبقى
محدودة بإمكانيات ضيقة لا يمكن أن ترتفع
إلى مستوى العملية الإبداعية الشاملة ،

وهكذا أيها السادة الأبرار ، أنهى هذا
العرض المفصل عن لغة الصحافة عندنا
منذ الاستقلال؛ وأتم فيه رأى العين سلامة
العربية ، وجودة التعبير ، وحسن التنسيق
في مختلف شعب الحياة اليومية التي يهتم بها
الشعب العربي الجزائري اهتماما عظيما .

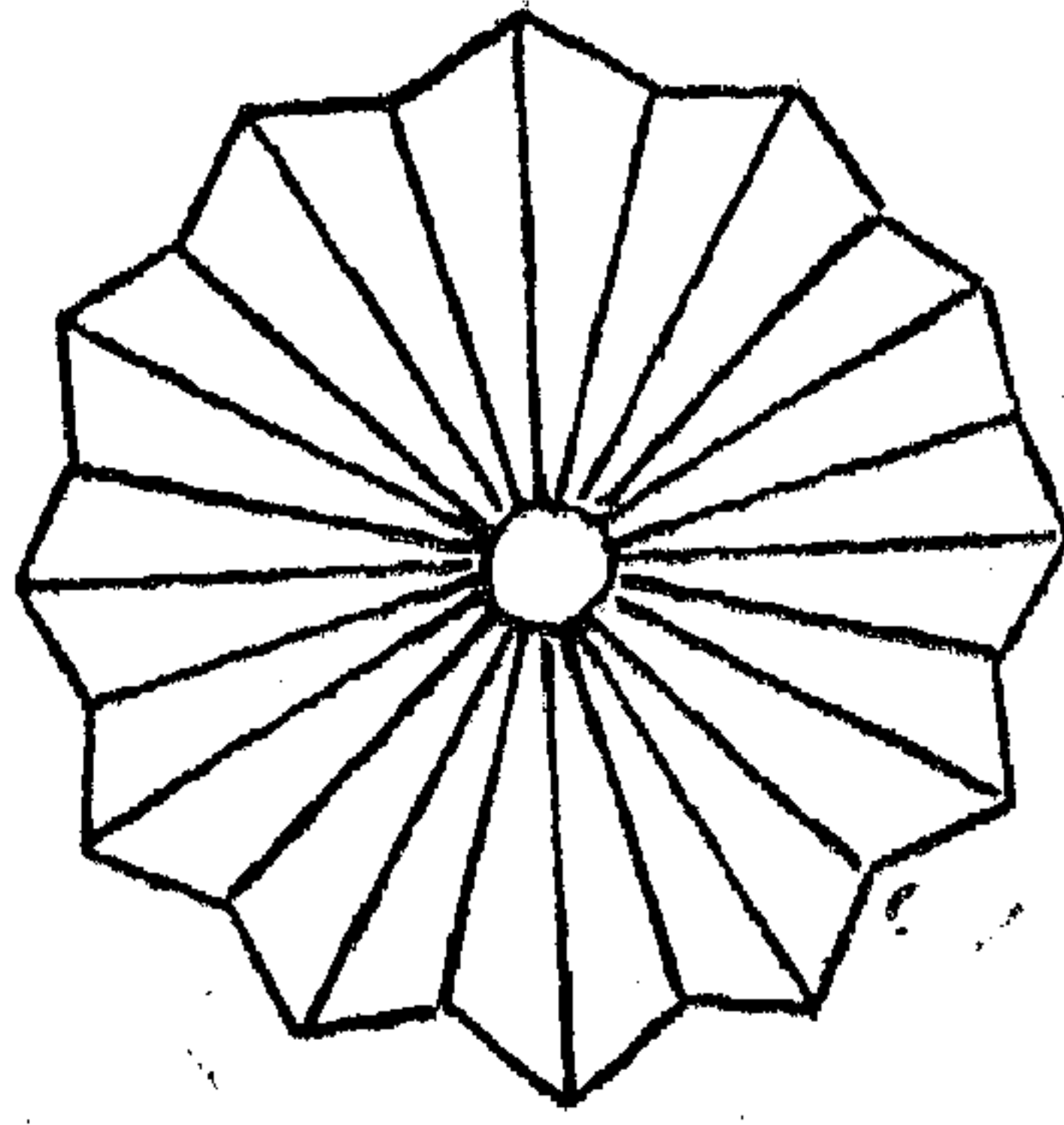
وأرجو أن أكون قد وفقت في الاختيار
والتفصيل ، مع اعتذاري عن تطويل
اقتضاه المقام . ولكم الشكر الجزيل .

أحمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر

القنابل اليدوية (اليوم الثاني) والعدو الريفي
والرمي (اليوم الثالث والأخير) :

وكان على المتسابقين قطع مسافة ٥٠ م أي
طول المسبح في أقصر ظرف زمني مع احترام
شروط اجتياز الحواجز الأربعة التي وضعت
في الرواق بين نقطتي الانطلاقة والوصول .

وسيتواصل الجو التنافسي صباح اليوم
بالمدرسة العسكرية للموسيقى ببني مسوس
التي تحتضن مسابقتي اجتياز الحواجز
ورمي القنابل « .



لغة الصحافة

للكاتب محمد عزيز الحبابي

لغات ولسان :

يتكون اللسان العربي من لغات؛ من بينها لغة الصحافة . فكما لنا لغة خاصة بالفقه وأخرى بالتجارة، وثالثة بالفلسفة، ورابعة بالرياضيات، . . . لنا لغة الصحفيين .

لن يفصل هذا العرض لغة الصحافة عن المكونات الأخرى للسان العربي مادامت كلها تتعامل فيما بينها وتتخاصب . بيد أن لغة الصحافة فعلات أكثر نفوذا إلى وعى الشعوب وإلى ذاكرتها التاريخية والجمعية :

تدخل لغة الصحافة في لغات الإعلام وهي اللغات الأولى من حيث التأثير المباشر على الأفراد وعلى الرأى العام، ومن حيث الانتشا إنها أقوى من لغة المهد . فأفق هذه ضيق؛ إذ ألفاظها وتعابيرها تنحصر في المحسوسات البدائية، يتعلمها الطفل، عفويا وفطريا . وهناك لغة ثالثة يدركها كل من يشملهم التمدن، وعددهم بالعالم العربي ينمو ببطء؛ لأن النمو الديمغرافي يعاكسه . ولغة المدرسة ليست، وللأسف؛

لغة جميع الأطفال، بل تكتسب بجهود وتحصيل وحفظ، ويذهب نحوها الأطفال؛ خلافا للغة الصحافة التي تأتي عند القارئ وتغزوه يوميا، وفي كل أطوار سنه . إنها تهاجم بصره وتغريه . فهي على الأرصفة في الطرق، وفي المكتبات، وفي قاعات الانتظار، وفي مكان العمل، وفي «الباص» والقطار والطائرة . لغة الصحافة تتابع المؤبجين حينما حلوا .

لغة الصحافة سيف ذو حدين معلق فوق الرقاب، فكما تقول الحق، نشرا ودفاعا؛ تؤكد الباطل وتسانده وتذيعه، وكما تنمى التواصل بين البشر لصالح التطور الحضارى والرقى العام، تقطع أحيانا روابط التواصل بين الأفراد والشعوب، وتعكر صفو الوعى الفردى والجماعى . ولقد صدق من صرح بأن الصحافة هي السلطة الرابعة؛ أى إنها تأتي بعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وقبل السلطة الخامسة التي تتكون من تجمع الصحافة مع باقى السلطات فى يد واحدة احتكارا واستبدادا .

(*) ألقى فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٦ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

من هنا خطورة الصحافة . إنها في إمية
دائمة : إما أن تستعمل لغة واضحة ودقيقة
وصحيحة المعنى والمبنى ، (وإن الدقة
والوضوح يستلزمان صدق الأخبار ، وحسن
النية) ، وإما أن تستعمل لغة مهلهلة تقريضية
ومبهمة ؛ ومن هنا الخلط بين المفاهيم والالتباس
بين المعاني ، فيحصل سوء فهم وسوء
تفاهم يستغلان استغلالات سلطوية وتخلفية ،
فتسخر أفرادا وجماعات لصالح قلة من
الهيئات الخاصة .

إذا كانت تلك الأدوار المزدوجة في ما
تقوم به الصحافة ، وكان نفوذها على ذلك
المستوى من الخطر ، وجب التحري عن
لغات الصحافة . ولغة هنا لا تنحصر في
معرفة قواعد النحو والصرف والتراكيب ،
بل إنها أيضا قدرة تتسرب للذهن وللضمير
فتوجهها إيجابيا أو سلبيا .

(فاوست) يسكننا :

فاوست بطل أسطورة جرمانية قديمة
ترمز على ما يظهر إلى أن الإنسان الذي
يتطاول على الواقع - عوضا من أن يتكيف
معه - لا بد من أن يتعرض لأخطار وتجارب
قاسية . ولن يتغلب على وضعه إلا بنقد
ذاتي جريء يفتح به بصره على الواقع ولو كان
مرا .

فوقف العرب من لسانهم موقفان : موقف
عاطفي ، الحب فيه يعمى ويصم ، وموقف يعتمد
الموضوعية ويخضع للواقع حلوه ومره .

من مميزات الكائن البشري السوي الحرص
على عدم ضياع هويته الأصلية . إن ضياع لسان
قوم ، يكسر هيكل مجتمعهم ، إذ لا فرد ولا
مجتمع دون لسان وتواصل . فالكائنات
العاقلة تتساكن فيها قوى متضاربة ، وأى
فرد لا يحافظ على الاعتدال بينها يخسر
مقومات هيكله السيكولوجي المجتمعي ،
فيكون مآله مآل (فاوست) .

وبدل أن يبقى رجلا يتمتع بالحياة ،
طبيعيا ، ويكتسب من المعرفة ما تسمح به
قدراته ، يتحمل المخاطر ، ويبدل الجهود
التي تقتضيها المغامرة من أجل الجاه والمعرفة
دون تهاون - تنازل (فاوست) عن روحه
ل (ميفيستوفيليس) أمير الشياطين ، وبالمقابل
الترزم هذا الأخير بخدمة (فاوست) مدة
أربع وعشرين سنة ، يوفر له ملذات فوق
العادة ، ويمنحه أقصى ما يمكن من المعرفة .
فأعرض (فاوست) عن اللجوء إلى اللسان
القوي وإلى تعاون مع أبناء جنسه ، فأعرض
وبات يتحدث بلغة (ميفيستوفيليس) وحدها .

وما إن تراءى ل (فاوست) أن مشروع
التعاقد دخل حيز التنفيذ ، حتى انطلق وهو
خلو من الروح الفردية والجماعية ، يعمل
في الكون كمن أصبح قادرا على فهم
كل شيء والسيطرة على كل شيء . وسرعان
ما أضحى متجبرا في العالم :

ولم يمر إلا وقت قصير حتى اضطرب
وجدانه أمام الفراغ والسأم . فجند مجموع

ضد من اغتصب منه الروح ، فكانت عاقبة
(ميفيسطوفيليس) الخسران المبين . أما
فاوست الإنسان فقد صار يحقق ما يرنو
إليه من توفيق للعمل ، إلى أن أصبحت
حركاته قصدية في مغامرات إنسانية ؛ لأنه
التزم بتحقيق مثل عليا ، كما أدركها بوجوده
ووعيه وعقله وحده ، على ضوء قيم شمولية
مشتركة أخذها من الثدي والمهد ، وعن الأم
والأب والإخوة ورفاق الطفولة في البيت
والمدرسة والشارع .

لا نهضة بلا لسان متطور :

ففى يستعيد فاوست العربى العصرى روحه
لينحى عن الطريق كل آثار ميفيسطوفيليس ،
ويجعل قوتى : الدفع ورد الدفع متكاملتين؟ .

متى سنستأنف ، متعاونين ، المسيرة
نحو آفاق جديدة تضمن الكرامة للجميع ،
وتصحح الاتجاهات الاقتصادية والمعنوية معا ؟

تعود شعوبنا بكل أحشائها أن تتجاوز
القطيعة والانشقاق الصراعى بين مسؤوليها
نحو الانتصار على التخلف . ولا كفاح
ناجع دون مناخ ثقافى تفتح فيه الشخصية
الفردية وتنتعش فيه الذاكرة الجماعية عن
طريق اللسان القومى .

وصفت الصحافة بأنها « صلاة يومية »
أى أنها بعد أن بدأت قليلة الانتشار
واختيارية الوجود في حياة الأفراد والجماعات ،
أصبحت لازمة وشبه مقدسة ، وها هي اليوم

قواه للهدم والعنف متخبطا في الكون ،
غائبا عن المحيط الإنسانى وعن الواقع ، وهل
من سبيل إلى الاندماج في مجتمع وإدراك
واقعه دون معرفة لسان ذلك المجتمع . فالروح
النضوى المتسرب بين كثير من المثقفين
العرب يتأتى من شعورهم بالاغتراب داخل
أمتهم لأنهم يجهلون ، أو يتجاهلون لسانها
إما لا اعتبارها ناقصا ومتجمدا ، وإما لانهارهم
بالسنة الغرب .

وبعد أن تخلى فاوست عن لسان قومه
والتألف معهم ، غدا يقتله الحنين إلى
هويته الأصيلة ، وبدأ ضميره يستيقظ
رويدا رويدا : لكن ، هيات أن تنسجم
طبيعتان في شخص واحد كما جاء في القرآن :
« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

جن (فاوست) من البحث عن ذاته
وعن قيم يزن بها بنود العقد الذى يربطه
بـ (ميفيسطوفيليس) بعد أن اقتنع بأن الصفقة
خاسرة ، قسمة ضيزى .

كيف يقيم ويقوم الخسارة ، وقد استرخى
من قبل ترائه ولسانه والروح والكرامة ؟
يلتقى (جوتيه) بفاوست في القرن التاسع
عشر ، ويأخذ بيده ليشرح له من جديد .
استعاد فاوست كل أبعاده وغدا لا يستوحى
سلطة الفكر والمعرفة إلا من إنسانيته ،
وبلغة الأم ، اللغة المتجذرة في كيان شخصه
وفي أعماق ذاكرته ، إذ الكوعى فاوست
وضعه المزيّف والمزيّف ، فدخل معركة

تغزو الآفاق وتتابع الناس ، حتى من لا يحسن
القراءة منهم ، هجوما مسموعا ومرثيا
بل تتسرب حتى أسرة الناس ، مما جعل
لغتها أقوى انتشارا وتأثيرا في الأعماق .
فالسؤال إذن : هل للصحافة العربية
على اختلاف أنواعها ، لغات في مستوى
الأدوار المنوطة بها ؟

بصفة إجمالية ، إن الواقع المعيش يجب
بالنقى . ففي الوقت الذي تفككت فيه كل
عرواقتنا، وباتت « الأمة » العربية بلا جامع
مشترك (لا سوق اقتصادية مشتركة ، ولا
توحيد في برامج التعليم ، ولا أحلاف
دفاعية ، ولا نظرة منسقة في السياسة ،
والديبلوماسية ، ولا ولا
وألف لا ولا) كل ما تبقى لنا
هو اللسان العربي لتواصل به ، رغم الاختلافات
والتنافي ، وهمسا يتناوبان الظهور
والاختفاء ، فوق ساحة الدول العربية ، مع
مر السنوات .

نعم ، باللسان العربي يقع اللقاء والافتراق
أى به نتصل ، والضمير في « نتصل » لا
يعود إلا على حاملي الشهادات وعلى المؤجدين
عموما ، أما جمهرة الشعبين العرب ، فلا
يحسنون قراءة ولا كتابة . إن الدارجات
تغرقهم في قطيعة مع لسان تراشهم ، ويفصل
بعضهم عن بعض ، كلما انتقلوا من مكان
عاميتهم إلى مكان عامية أخرى . هكذا العاميات
والدارجات تغرقنا في اللاتفاهم بيننا .

فإذا استفيد المصري ، الأمل والمثقف على
السواء ، من أخيه المغربي عندما يقول له :
« الخوهده لوليا طلعتلى الزعنف » ؟ وماذا
يستفيد المغربي ، كيفما كان مستواه ، عندما
يسمع شقيقه ابن الكنانة يصرح : « أنا عايز
أود زى ده » ؟

لإنها شقة تزداد مع الأيام ومع المسرح
ومع السينما ، ولغة الأغاني ، عمقا وتعقيدا .
فقراءة الصحف والمجلات ميزة من
امتيازات نخبة المتعلمين .

والقراء نوعان : نوع يتهجى العناوين
ويتفرج على الصور ، ونوع يستوعب
ما يقرأ . والقراءة الحق لا تكتفى بالتأجدد ، بل
لا بد من تعلم جد طويل الأمد ، لأن اللسان
العسري ليس سهلا كما يزعم البعض . إنه
عسير جدا لعنتين : أولا هما أنه ليس لسان
الخطابات اليومية في السوق والبيت
ثانيتها أنه يجند البصر على حساب السمع .
إن العربية ، حتى المكتوبة ، لا تخلو من صعاب
لا يتغلب عليها إلا أفذاذ قلائل .

على رأس لأئحة تلك الصعوبات : أن
الكتابة العربية معوقة لفقدان الحركات
على الحروف ، وكل جهاز أو جسد أصابه
عطب ما في حركاته ، بات مشلولا .

قد ننتصر - إن قليلا وإن كثيرا - على
القطيعة وعلى صعوبة القراءة إذا جندنا الإذاعة
والتلفزة ، وكذلك السينما والمسرح والأغنية

في خدمة اللسان العربي ؛ أى الجامع المشترك
بيننا ؛ لأنها أدوات فعالة لترسيخ الحمل
السليمة والألفاظ الصحيحة في الذاكرة
والنطق المستقيم في الحديث .

فهل سيصح العزم على القيام بذلك ؟

من الجواب ستكون بداية الإصلاح
الأشمل ، أو نهاية المحاولات المتفائلة ، فمن
الصحفيين من يضعوا مصطلحات وعبارات
وترجمات تفرض نفسها بفضل التكرار
فيتعود عليها البصر أو السمع فتستقر بالذاكرة .
وهذا ناموس طبيعي ، لأن ما يجد قلبا خاليا
يتمكن . والواقع أن بعض ما يوضع ارتجالا
(الخبر الصحفي لا ينتظر) أو بعد بحث
وتأمل ، يكون مقبولا لسلسلة بنيانه
واشتقاقه ، كما أن بعض ما يقترحه
صحفيون آخرون لا يقبله الذوق ، أو يكون
غير دقيق .

كذلك ، يرجع الفضل إلى الصحافة في
ترويح ألفاظ عربية كانت مهجورة ، فأعادوا
لها الحياة .

نقطة ثالثة . حينما يقع اكتشاف أو
اختراع ، سرعان ما يسميه الصحفيون
قبل الجامع والجامعات والمعاهد العليا .
وعندما تضع إحدى هذه الهيئات أسماء لتلك
الاكتشافات ، تكون الأسماء التي أطاعتها
الصحفيون قد استقرت .

فهل من حل لهذا الوضع ؟

أتدخل الجامع والهيئات العلمية الأخرى في
حرب مع الصحافة ؟

تلك سلسلة من التساؤلات وليست الوحيدة
على كل حال .

ومهما يكن من اجتهادات ، فإن الوضع
الحالي غير مشجع . استمعوا إلى إذاعة
الرباط ، مثلا ، فكل الأغاني بالعامية ،
وأحيانا بكلمات بمجها الذوق العام نفسه مثلا :
« عينيك كيف الزليط » (زليط les allumettes
الفرنسية) . طبعا ، قد تصادفون ، عرضا
أغنية بشعر عربي ، لكن ذلك من النوادر ،
والنادر لا حكم عليه أو به . بنفس الإذاعة
المسرحيات بالدارجة ، وأرقاها بالعامية .

تتبعوا بإذاعة القاهرة مباراة لكرة القدم
بين الزمالك والأهلي ، فتسمعون خليطا عربيا
إنجليزيا ، لا هو هذا اللسان ولا هو ذلك :
أفسايد (عوضا عن الشرود أو التسلل)
و كورنر (عوضا عن ركنية أو جانبية)
وبنالتى (فى مكان ضربة جزاء) .

ولنتصفح برامج المسرحيات المعروضة حاليا
فى مسارح العالم العربى جميعه ، وللشرايط
السينمائية فى قاعات العروض العربية كلها ،
سنجد أن جلها أجنبي ، والباقي بالعاميات
باستثناء قلة القليل .

فإلى أين نسير ؟

إن القضية ليست فى تصحيح وزن صرفى
أو اختيار لفظ أفصح من آخر ، أو تأكيد

قاعدة نحوية . إن القضية مصيرية ،
وبالتالى تستوجب تغيير بنية أجهزة الإعلام
والثقيف ، وغرلة الأطر المسؤولة . استبدال
فنانين وصحفيين بأخرين يفرضهم مستواهم
الفنى واللغوى ، ويعون مسؤوليتهم حق الوعى .

لقد جلس البعض على كراسى فى الحكم
أو الإدارة ، واستلذوا السكوت و«مساءليش»
ويتهجنون كل رجوع إلى ضمائرهم ليصالحوا
ما حولهم . فنهج من باع ضميره ، كما
فعل (فاوست) مقابل الهدوء ، حتى
لا يزحزحوا عن كراسيهم ، ومنهم أنصاف
مثقفين ، لا هم يعملون على إصلاح ما بهم
من نقصان ، ولا هم تحركوا ؛ لأن الحركة
تفضحهم . الكل يتأمر على العربية وعلى
ما حملت من تراث إنسانى وما يمكنها أن
تساهم به لصالح الإنسانية .

فكان الجميع ملتزم بالسكوت نحو
(ميفيستوفيليس) أمير الشياطين الذى اشترى
من (فاوست) روحه .

ننتقل الآن إلى وجه ثان من المشكل:
إنه استلاب التخاطب اليومى عند كثير من
المثقفين العرب الذين انبهروا بالغرب فتغربوا
لغويا وسلوكيا. تلك غربة واغتراب وتمغرب .
إنه عائق ليس أقل خطورة من العوائق
السابقة . بل على العكس ، إنه انتحار
لشخصية الأمة بواسطة انتحار كرامة أطرها
العليا والوسطى ، وذويان الآمال المعلقة
عليها .

لا مجال للمخلق العفوى فى عالم الفكر أو
المعانى والمثل ، كما هو محال فى عالم الماد .
لا بد من مواد أولية ومن فكر ليفهمها قبل
أن يتصرف فيها . ومن المسلم به أنه لا فهم
ولا فعل إلا عن طريق اللسان . فبالألفاظ
تسمى الأشياء ، وتتحول مفاهيم ندخل
بها فى حوار مع ما نريد إدراكه ، فيبدأ
الاكتشاف والتصرف فى الموضوعات
المدركة . لذلك ، لن تلعب أية لغة أدوارها
إذا تجمدت أو جمدت .

لقد أتى دهر على لساننا كان خلاقا
مبدعا كشافا ، ثم أغلق باب الاجتهاد فى
الفقه ، وجف معين علم الكلام ، وبالتالي
تجمدت العربية . اجتهاد الأجساد عندما
ترجموا ، واجتهدوا عندما فكروا ،
بل حتى عندما سامروا فى ليالى المرح
والدعابة ، ثم أصابتهم الأمواج من كل
مكان ، وجاءتهم ريح عاصف ، فكان
ما كان .

إن الذبذبة والحيرة ، كالوثوقية ، عرقلة
للفكر ، تمنعنا من مرونة التصرف
فى الواقع . فالوثوقية المادية ، والوثوقية
المثالية ، تعارضان توحيد الرؤية والالتحام
بالواقع . إنهما حازان فى طريق بناء المستقبل ،
بل حتى فى سيورة تصوره ؛ لأن التفكير
مضمونا خارجا عنه يتجاوزه . فمعيار اليقين
ليس فى الفكر ، بل فى علاقة الفكر بالحياة
وتطابقه مع ما جرياتها . وما جريات حياة
اليوم هى السرعة والتفتح ، فاللسان

العربي معرض لتحويلات العصر ، ومن
يحاولون تجسيده يقتلونه .

ذاك هو معنى «الإنسان حيوان سياسى» ،
مدنى بالطبع» ؛ على اعتبار أن السياسة هى التى
تُسيّر المجتمع وتنظّم العلاقة بين الأفراد .
فلا قوانين للفكر توجهه وتجعلنا نخضع لها
قبل أن نخضعها لنا .

الفكر أفقى ، وإن ظنه البعض عموديا ،
بيد أن أفقيته محدودة ، مكانيا وزمانيا . إنه
«آلة» تاريخية وتأريخية . ومن هنا تصدر عن
الفكر دلالات حضارية . فعمليات الفكر
قصديّة ، غائية . لذلك ، كلما أردنا تحليل
فعل فكرى ، وجب أن يقوم التحليل
بلسان واضح ودقيق ومتحرك :

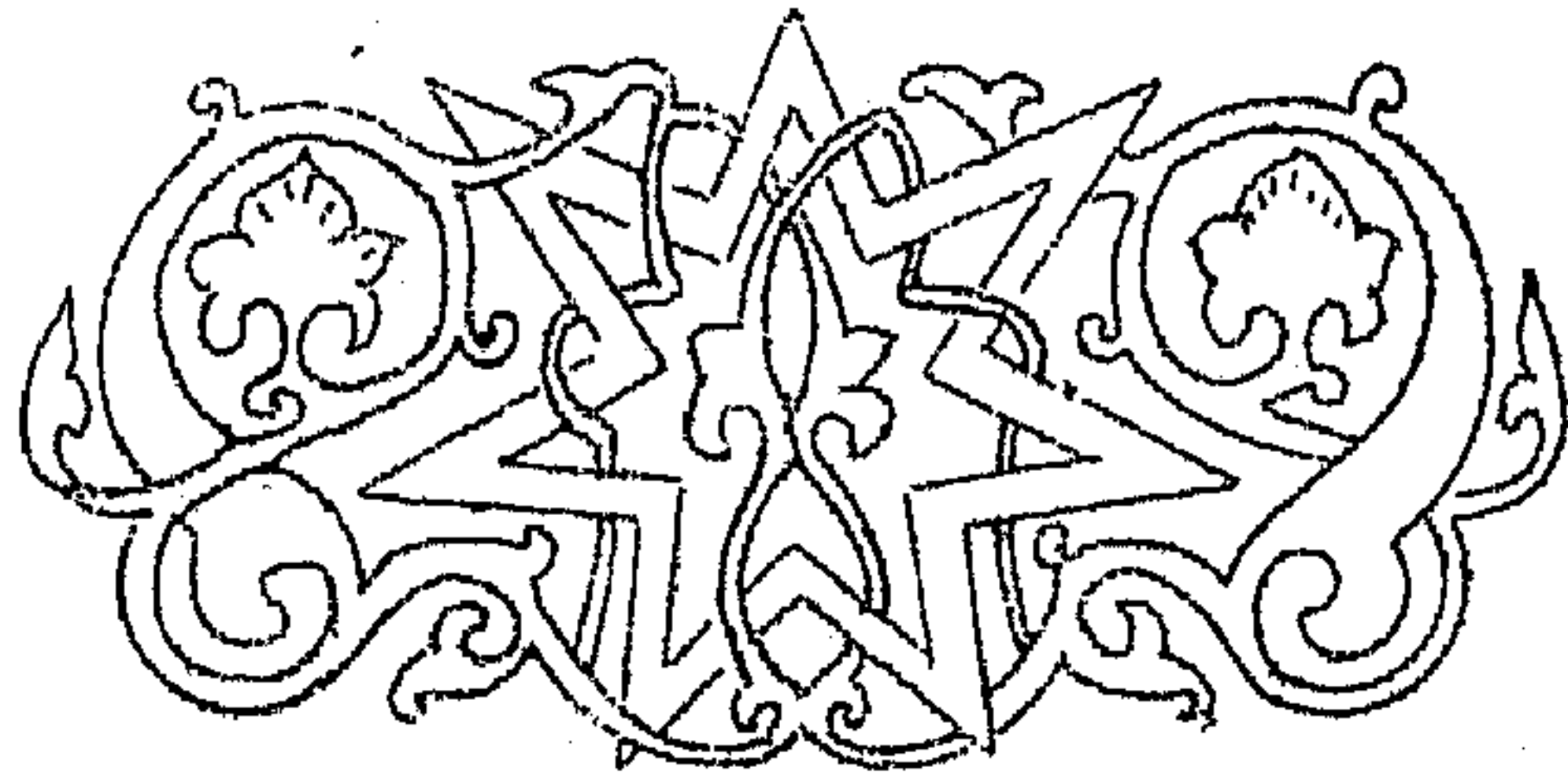
إن ماهية الفكر ومضمونه يتلازمان
كما أن أى فعل فكرى ، فى فرديته ، لا ينفصل
عن فعل الفكر بصفته موضوعا . فالشعور

حضور الذات مباشرة فى ومع محيطها .
ومن وظائف الفكر المتميزة أن يعين الشعور
ليرتفع على مستوى الإحساس إلى الوعى ،
ولينتقل بالوعى إلى التأمل فى علاقات
الذات بمحيطها . إن التأمل شرط سابق على أى
تخطيط للوسائل الكفيلة بإصلاح نحال
علاقات الذات بمحيطها وبالتارىخ .

ليس المحيط المجتمعى فضاء جغرافيا
وحسب ، بل ثقافة تتجلى فى السلوك
والعادات والأعراف ، المكتوب منها وغير
المكتوب ، كما أن التارىخ ليس أحداثا
وآثارا وحسب ، بل إنه أيضا ، ذاكرة
جماعية تسكن اللسان القومى ، بكل لغاته
وتتحرك بحسب ديناميته . فهو الذى يستق
الفكر والحدس والإحساس ، من الداخل
ومن الخارج ، فمثل من يحاول إيقاف هذا
الرافد أو الآخر (برفض الاجتهاد والتفتح)
كمثل من يحاول إيقاف الحياة فى تدفقها .

محمد عزيز الجبالى

عضو المجمع المراسل من المغرب



من كناشتنا لنوادير

بدرستاد عبدالسلام هارون

(٤)

وكان ذلك في وقعة الزلافة التي هزم فيها الأدفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، وغنم المسلمون من أسلحته وخياله وأثاثه ما ملأ بلادهم خيراً

تامور الزكاة :

الزكاة إحدى الدعائم الخمس في الإسلام ، ولعلها أكثر هذه الدعائم خضوعاً لرقابة الحكام والولاة ، الذين وظفوا لها الدواوين والعمال لإحكام أدائها ومصارفها . والناظر في كتابي : الأحكام السلطانية للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ ، يجد دستوراً سافلاً لتنظيم الأموال ما كان منها زكاة ، وما كان فيئاً أو جزية أو خراجاً .

ويذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أن مسلمة بن عبد الله الدمشقي - أحد الرواة عن عمر بن عبدالعزيز - كان صاحب « تامور الزكاة » فهذا استعمال قديم لكلمة « تامور » العربية الأصيلة التي فسرت بأنها دفتر

أول جمال يراها الأوربي :

حينما عبر يوسف بن تاشفين من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس في سنة ٤٧٩ ورأى الأدفونش اجتماع الغزائم على مناجزته ، علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى ، يقول ابن خلكان : ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورجلاً من الفريقين ، كل أناس قد التقوا على ملكهم ، فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها ، فأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قطُّ جملاً ، ولا كانت خيلهم قدرأت صورها ولا سمعت أصواتها . وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأى مصيب ، كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها .

(*) أقيمت في الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١ من جادى الأولى ١٤٠٣ هـ

الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٨٣ م) .

الزكاة ، فكأن مسلمة هذا كان المسجل
لموارد الزكاة ومصارفها :

والتامور في اللغة : غلاف القلب ، أو
حبته ، أو دمه ، كما أن التامور وعاء الولد
وماء الركيّة ، يقال : في الركيّة تامور ؛ أى ماء .

رفيف العين :

أخذنا نحن العرب - كما أخذ الناس
جميعا ، أن نتفاعل ونتشام بما نجد وما نلقى :
ولعل أقرب الأمور فيما يتفاعل به الناس هو
العين إذا ما بدت خلجاتها .

ومن النصوص القديمة في ذلك ما أنشده
الأمدي في المؤتلف والمختلف ٧٣ من قول
جميل بن سيدان الأسدي ، وهو أحد
الأعراب :

أيا جُمل هل دين مؤدى لحينه
فقد حل ذاك الدين ، واحتاج طالبه
فطالت به أحلامه إن قضيته
وظل بما منّيت يلمع حاجبه

وقال الأمدي تعليقا على هذا : يلمع
حاجبه : يختلج ، كأنه يبشره بوصولك .
ويقول أيضا : وعندهم أن الحفن فوقاني
إذا اختلج فهو بشارة . وأنشد أبو عبيدة :
لم أدر إلا الظن ظن الغائب
أبيك أم بالغيب رفّ حاجبي

أى اختلج . . . ويقال : إن الحفن
الأسفل يؤذن بغم ، كما أن الأعلى يؤذن
ببشارة .

أجرة الخان في اليوم :

الخان كلمة فارسية معربة ، وهذا
يعطى أن أسلانا العرب إنما اتخذوا نظامها
- من بعد - نقلا عن الفرس . فقد كانت خيام
العرب وبيوتهم ونيرانهم بأعلى اليفاع ،
وذبايحهم هي الخان لكل مسافر أو نزير
يقرونه تمام القرى ، ويتبعونه الكرامة
حيث مال وبخروج العرب من
جزيرتهم في أسفارهم كان من الطبيعي
أن تنشأ الخانات والمنازل في طريق السفر
وفي المدن أيضا .

ولعل خانات المنازل في السفر كانت
أقل نفقة ، فإن منها ما كانت تتكفل به
الدولة الإسلامية في مختلف عصورها ، ولا
كذلك المدن ، ولسنا نعرف بالتفصيل
ما كان يجري في خان الخليلي بالقاهرة
المسجدية ، على مر العصور وكر الدهور .

والذي نريد أن نصل إليه هو مستوى
الأجور في هذه الخانات . وقد عثرت على نص
نادر لولد ابن عائشة الذي توفي أبوه سنة
٢٢٧ . يقول الولد شاكيا لأبيه مالتى من
ضيق في بغداد ، وأن أماله الجسام فيها
تنتثرت بين يديه ، فكتب في آخر
كتابه إليه :

أنا في الخان أودى كل يوم درهمين
نازل فيه على نفى على سبعة عين
وأراني عن قليل لابساً خفى حنين

فأين هذى الشكوى مما نراه فى خانائنا
وفنادقنا ؟

أما لفظ « الخان » فيقول فيه الخواليقي
٢٣٩ : « والفندق بلغة أهل الشام : خان
من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما
يكون فى الطرق والمدائن » .

أما صاحب القاموس فلم ينص على تعريبها ،
والذى فيه أن الخان هو الخانوت أو صاحبه .
وأما صاحب اللسان فينص على التعريب
ويقول : « الخان : الخانوت أو صاحب
الخانوت ، فارسى معرب ، وقيل :
الخان الذى للتجار » .

وأما أدي شير فيقول : الخان فارسى
بحت ، وهو الخانوت ، وهو موجود فى
جميع اللغات الشرقية الدارجة ، وهو يطلق
على الدكان والمخدع والمآخور . وأما
الميدانى فى « السامى » ٤١٣ ، فيعرفه بأنه
« كاروان سراى » أى منزل القوافل على
الطريق ومحط رحالهم :

عاشوراء :

يوم عاشوراء هو العاشر من المحرم عند
العرب ، وتاريخه قديم جدا ، يرجع إلى
ما قبل الإسلام . وفى صحيح البخارى
عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان
يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه
فى الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه وأمر

بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم
عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه .

وفى الصحيح أيضا من حديث ابن
عباس أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم
المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال
ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا
يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم
فصامه موسى . قال : « فأنا أحق بموسى
منكم » فصامه . وبذلك صار صوم يوم
عاشوراء فرضا ثم أصبح فيما بعد سنة إسلامية .

ولسنا بحاجة إلى سرد مباحج هذا العيد
عند مسلمى مصر ، والتزامهم إلى الآن
بحمل ما يسمونه العاشوراء من حبوب القمح ،
لا يكاد بيت من بيوتهم يخلو من صنعها
أو ذوقها .

وحين نكرا البصر إلى أصله عند اليهود ،
نجد أنه العاشر أيضا ، لكن لا من المحرم ، بل
من شهرهم العبرية ، وهو شهر تشرى .

ويذكر البيرونى فى الآثار الباقية ص
٢٧٧ أن صوم هذا اليوم هو الصوم المفروض
من بين سائر صيام اليهود ، ويسمى صوم
الكبشور ، يصومونه خمسا وعشرين ساعة
ومن لم يصم وجب عليه القتل .

ومما يذكر أن البيرونى كان من أعظم
العلماء خبرة بطقوس اليهود . وصيغة فاعولاء
من الصيغ النادرة فى العربية لا تكاد نجد
منها إلا تاسوعاء وهو التاسع من المحرم

والضاروراء: الضراء، والساوروراء: السراء
والدالولاء: الدلال .

ولم أجد هذا الإحصاء في مرجع إلا في
لسان العرب في مادة (عشر) عن ابن بزرج،
وزاد عليه ابن الأعرابي: الخابوراء: موضع .
ولم يتعرض ابن خالويه لهذه القضية، وعقد لها
السيوطي في المزهري ٢ : ٦٩ فصلا زاد فيه
عن ابن خالويه: ساموعاء، قال: « وهو
اللحم في التوراة. ولم أجد هذا في كتابه ولعله
من كتاب آخر » .

سنة الفقهاء:

قال أبو جعفر الطبري في تاريخ سنة
٩٤ من الهجرة « وكان يقال لهذه السنة:
سنة الفقهاء، مات فيها عامة فقهاء أهل
المدينة، مات في أولها علي بن الحسين
عليه السلام، ثم عروة بن الزبير، ثم سعيد
ابن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام » .

واقصر الطبري على هذا. ولم يذكر على
ابن الحسين بوصفه فقيها، بل ذكر وفاته
فقط .

وقد وجدت الصفدي في نكت الهميان
١٣١، يعين هؤلاء الفقهاء في دقة وتفصيل
وذلك في ترجمته لأبي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام بن المغيرة؛ إذ يقول:
« وكان من سادات التابعين، ويسمى:
راهب قریش ». ويذكر أنه توفي سنة ٩٤

للهجرة، وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء؛ لأنه
مات فيها جماعة منهم. وهؤلاء الفقهاء
السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد،
وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا . . .
وقد جمعهم بعض الشعراء في بيتين:

ألا كل من لا يقتدى بأئمة
فقسمة ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم: عبيد الله، عروة، قاسم
سعيد، سليمان، أبو بكر، خارجة

وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة؛ لأن الفتوى
بعد الصحابة صارت إليهم وشهروا بها .
وكان في عصرهم جماعة من العلماء مثل
سالم بن عبد الله بن عمر، ولكن الفتوى
لم تكن إلا هؤلاء السبعة .

وأقول: أما عبيد الله في هذا الشعر فهو
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي
وكان، مع زهده وورعه، شاعرا مجيدا .
وقال ابن عبد البر: كان أحد الفقهاء العشرة،
ثم السبعة الذين تدور عليهم الفتوى .

وأما عروة فهو عروة بن الزبير بن
العوام حفيد أبي بكر، أمه أسماء بنت أبي
بكر، وهو أخو عبد الله بن الزبير ومصعب .

وأما قاسم فهو القاسم بن محمد بن أبي
بكر الصديق . وكان ابن سيرين يأمر من
يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدى به .
وكان صموتا شديد الصمت، فلما ولي
عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة: اليوم

وكانت السنة الرابعة بعد التسعين من الهجرة
خاتمة لحياتهم الحافلة بالفتوى والتشريع .

سَمِ الْخِيَاطُ :

لم يختلف المفسرون واللغويون في تفسير
هاتين الكلمتين . فالسم هو الثقب . والخياط
هى الإبرة التى يخاط بها . ولكنهم ذهبوا
مذاهب شتى في تأويل قوله تعالى : « حتى
يلج الحمل » ويشتد خلافهم حين تختلف
القراءات بين « الحَمَل » و « الحُمَل » بالضم
وتشديد الميم ، و « الحُمَل » بفتح مع
التخفيف ، و « الحُمَل » بضم فسكون
و « الحَمَل » بفتح فسكون . وقد تكفل
أبوحيان بنسبة هذه القراءات الخمس في
الآية الأربعين من سورة الأعراف :

وقد اتفق السبعة على القراءة الأولى
« الحَمَل » وفسر بهذا الحيوان المعروف بزواج
الناقة ، كما فسرها ابن مسعود تهكما منه
بالسائل الذى لم يعرف معنى الحمل في القرآن ؛
واختلفوا في « الحُمَل » : أهو جبل السفينة
الغليظ ، أم هو الحبل الذى يصعد به في النخل .
أما سائر القراءات فلا يخرج تفسيرها كذلك
عن الحبل الغليظ .

فواضح أن أعلى القراءات هذه هى قراءة
« الحَمَل » بالتحريك . وقد وجدت نحو هذا
في إنجيل متى في الفقرتين ٢٣ ، ٢٤ من
الإصحاح التاسع عشر : « فقال يسوع
لتلاميذه : الحق أقول لكم ، إنه يعسر أن
يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم

تنطق العذراء ! يعنونه بذلك : قال ابن
عبد البر في بهجة المجالس ٢ : ٦٤ : « كان
القاسم بن محمد يلبس الخبز ، وسالم بن
عبد الله يلبس الصوف ، وكانا يتجالسان
في المجلس ويتحدثان الدهر ، لا ينكر واحد
منهما لباس صاحبه . . . »

وأما سعيد فهو سعيد بن المسيب
المخزومى ، وأبوه المسيب من أهل بيعة
الرضوان . وفيه يقول الإمام أحمد :
« أفضل التابعين سعيد بن المسيب » ويقول
ابن حبان : « ما نودى بالصلاة من أربعين
سنة إلا وسعيد في المسجد » .

وأما سليمان فهو سليمان بن يسار الهلالي ، مولى
أم المؤمنين ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وكان سعيد بن المسيب يقول للسائل : اذهب
إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقى اليوم .

وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن عبد
الرحمن الذى أسلفت شيئاً من ترجمته
في أول هذا الفصل .

أما سابع هذه الحلقة فهو خارجة بن
زيد بن ثابت الأنصارى ، وأبوه أبو خارجة
زيد بن ثابت كاتب الوحي ، وبه
كان يكنى . قال المصعب الزبيري في كتاب
نسب قريش : « كان خارجة وطلحة يقسمان
الموارث ويكتبان الوثائق ، وينتهى الناس
إلى قولهما » .

فهذا تاريخ رجال الحلقة الأولى من
أحقاب التشريع الإسلامى في عنفوانه .

أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر
من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله .

الجمل عند اليهود :

جاء في غزوة بني قريظة من السيرة ، أن
سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى خالات
الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد صلّت معه
القبليتين ، وبايعته بيعة النساء ، سألته رفاعة بنتي
سموعل القرظي . وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بني قريظة
كل من أنبت منهم وكان رفاعة هذا قد
بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم
قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت
وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه
سيصلى ويأكل لحم الحمل - وهي عبارة
تحتاج إلى وقفة وتفسير - قال : أي الراوي :
فوهبه لها فاستحيته .

وهذه رؤية صادقة لحال من كان يدخل
الإسلام من عرب اليهود ، فإنه يجد الإسلام
قد وسّع له مجال الطعام في مطعم هو أشيع
الماكل عند العرب وأقربها إلى أذواقهم ،
وهو لحوم الإبل وشحومها .

وقد نص القرآن الكريم على ما كان من
تحريم كثير من اللحوم والشحوم على بني
إسرائيل «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا
أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيتهم ولنا
إيضاحون » . يقول أهل اللغة والمفسرون

إن المراد بذوات الظفر يعم ذوات الناسم
من الإبل والنعام ، لأنها كالأظفار لها ، وكذلك
ما ليس بذى أصابع منفرجة كالبط والأوز .

في مجال التأليف :

بسط الإسلام نوره على دنيا الثقافة بسطا
عريضا ، فكان نشاط التأليف عبقريا من
حيث العدد والكم ، ومن حيث النوع والكيف
والكيف ، كما يقولون . وأمامنا أمثلة عظيمة
من نشاط الجاحظ وأبي عبيدة ، والمدائني ،
وابن سينا ، والصفدي ، وابن منظور .
ولعل من ألمع المؤلفين في العصور القريبة
العلامة ابن حجر ، وجلال الدين السيوطي
(٨٤٩ - ٩١١) الذي يقول : شرعت في
التصنيف في سنة ست وستين وثمانمائة -
أي في السابعة عشرة من عمره - وبلغت
مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته
ورجعت عنه » وقد استمر السيوطي بعد
مقاله هذا يكتب ويؤلف . وقد عدّ له
بروكلمان ٤١٥ مصنفا ما بين مطبوع ومخطوط
والعلامة فلوجل ٥٦٠ مصنفا ، وذكر له
الأستاذ جميل العظم ٥٧٦ مصنفا بين كتب
ورسائل ومقامات (عقود الجوهر في تراجم
من لهم خمسون تصنيفا فائمة فأكثر) .

وفي تاريخ ابن عياد ٣ : ١١٣ أن مؤلفاته
بلغت ستمائة مؤلف . وكان السيوطي قد
برع في علوم كثيرة . وكان علم الحساب
والمنطق في موقع منه يحشاه ويهيئه . يقول

« وأما علم الحساب فهو أعسر شيء على*
وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت في مسألة
تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله » :

ويقول أيضا : « وقد كنت في مبادئ الطلب
قرأت شيئا في علم المنطق ، ثم أتى الله
كراهة في قلبي ، وسمعت أن ابن الصلاح
أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك ، فعوضني الله
تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف
العلوم » .

ويروي لنا السيوطي في ترجمة إسماعيل
ابن أبي بكر اليماني ، أنه كان غاية في الفهم
والذكاء ، صنف كتابا سماه «عنوان الشرف»
مجموعة في الفقه ، وفيه أربعة علوم غيره
تخرج من رموزه في المتن عجيب الوضع ،
وهو : نحو ، وتاريخ ، وعروض ، وقواف
في خمس كراريس في كامل الشامي » .

ثم يقول السيوطي عن نفسه : « وقد
عملت كتابا على هذا النمط في كراسة
واحدة في يوم واحد وأنا بمكة المشرفة ،
وسميتها : النفحة المسكية والمنحة المكئية ،
جعلته مجموعة في النحو ، وفيه عروض
ومعان ، وبديع ، وتاريخ . ولا ريب أن هذا
عمل عبقرى يفخر به التأليف العربي .

لسان العرب :

قد يظن أن هذه التسمية تسمية فريدة
بين المعاجم ، وأن أول من أطلق هذه التسمية
على كتاب هو جمال الدين محمد بن مكرم

ابن منظور الإفريقي المصري . ولكنني عثرت
على نص في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(ص ٤٤٠) يذكر أن لابن سينا الحسين بن
عبد الله كتابا سماه لسان العرب في عشرة
مجلدات .

ومن المعروف أنه كان للرئيس ابن
سينا مشاركات شتى في علوم العربية ، منها
كتاب أسباب حدوث الحروف ، وكتاب
الملح في النحو .

ويذكر القفطي في ترجمة أبي منصور الجبان -
معاصر ابن سينا ومنافسه في الدولة البويهية -
أن أبا منصور هذا شرع في تصنيف كتاب
في اللغة أحسن ترتيبه وتبويبه ، واستوفى
فيه اللغة غاية إمكانه ، وجاء كبيرا وسماه :
«لسان العرب» ومات قبل إنجازه من المسودة ،
فبقي على حاله . فهذا لسان عرب ثالث .

ولعل السر في إقبال ابن سينا على التأليف
اللغوي ، ما كان من هزيمته أمام أبي منصور
الجبان في مجلس علاء الدولة بن فخر الدولة
ابن بويه . يقول القفطي في إنباه الرواة
(٤ : ١٧٠) : « وبعد انفصاله من المجلس
-يعني الرئيس ابن سينا - نظر في اللغة وتبحر
فيها ، وعمل رسائل أودعها به نوعا متوافرا
من اللغة » .

تهذيب الحيوان :

من بين ما صنعت في مؤلفاتي : تهذيب
سيرة ابن هشام ، وتهذيب إحياء علوم
الدين للغزالي ، وتهذيب كتاب الحيوان

وقد ظن بعض الإخوة من الأدباء أني قد انفردت بهذا العمل في كتاب الحيوان، وراقه صنيعي، وكتب إليّ مثنياً. والحق أنه قد سبقني إلى تهذيب الحيوان عالمان جليلان من علماء القرن السابع، أما أحدهما فهو شاعرنا المصري هبة الله بن جعفر بن محمد سناء الملك، المعروف بابن سناء الملك (٦٠٨) قال ياقوت في ترجمته: وصنف كتاب روح الحيوان، لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ. ويقول ابن خلكان (٢): (١٨٨) بعده في ترجمته له أيضاً: واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر: روح الحيوان. وهي تسمية لطيفة.

كما يشير صاحب كشف الظنون إلى أن للموفق البغدادي اختصاراً آخر للحيوان. والموفق هذا هو عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد، المعروف بابن نقطة، المتوفى سنة ٦٢٩، وكلا المختصرين قد ذهب في طيات التاريخ، فلم نر لأحدهما أثراً.

مقامات الحريري:

جاء في تاج العروس (زوك): وزا كان مدينة بالعجم، منها عبيد الزاكاني صاحب المقامات التي ضاهى بها مقامات الحريري فأغرب وأعجب، وهي بالفارسية، رأيتها في خزانة الأمير صرغتمش.

أجزاء القرآن الكريم:

يروى اليعقوبي في تاريخه (٢: ١١٣) أن مصحف علي بن أبي طالب كان في

سبعة أجزاء: الجزء الأول: البقرة وسورة يوسف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وحج السجدة، والذاريات، وهل أتى على الإنسان، وآلم تنزيل السجدة والنازعات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت، وسبح اسم ربك الأعلى، ولم يكن، وهو جزء البقرة، وعدد آياته ثمانمائة وست وثمانون آية، وهو ست عشرة سورة.

وعلى هذا النمط وتعداد الآي الست والثمانين والثمانمائة يكون جزء آل عمران (١٥ سورة) وجزء النساء (١٧ سورة) وجزء المائدة (١٥ سورة) وجزء الأنعام (١٦ سورة) والأعراف (١٦ سورة) والأنفال (١٦ سورة).

وقد وجدت في مطالعاتي وفيما أحييت من التراث أن أول محاولة لتجزئة القرآن كانت تجزئة حسابية عديدة لا تجزئة مصحفية كما هو المؤلف في المصحف الكريم المتداول بيننا اليوم، وهي المحاولة التي رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في مجالسه (١: ٦٣) التي حققها منذ خمسة وثلاثين عاماً يعزوها إلى القارئ المكي حميد الأعرج المتوفى سنة ١٣٠، أنه حسب نصفي القرآن بعدد الحروف، ثم ثلاثة أثلاثه وأربعة أرباعه إلى أن انتهى إلى عشرة أعشاره، وبلغ من دقته أنه كان يجزئ الكلمة الواحدة في التعداد فيجعل على سبيل المثال (مأ) نهاية للثمن الأول من المصحف و(واهم) بدءاً للثمن الثاني، وهي كلمة (مأواهم). ومن

البديهي أن هذا التقسيم إنما هو ضرب من العناية والدراسة لا دخل له بتجزئة الكتاب الكريم . ومهما يكن فإنه يدل على عبقرية حسابية .

أما أقدم تقسيم مصحفي منصوح عليه فهو التقسيم الرباعي المنصوص عليه في البرهان للزركشي (١ : ٢٤٤) بناء على تأويل الحديث عن واثلة بن الأسقع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « أعطيت السبع الطول مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور وفُضِّلَت بالمفصل » .

فالسبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة ، لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة - أي التوبة - سورة واحدة . والمثون ماولى السبع الطول ؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب . والمثاني ماولى المئين لأن الأنباء والقصص تثنى فيها بصفة خاصة . والمفصل : ماولى المثاني من قصار السور ، سمي مفصلاً لكثرة الفصل بين السور بالبسملة . ونحو هذا التقسيم مع شئ من التفصيل في الإتيان للسيوطي (١ : ١٧٩ - ١٨٣) .

ولعل أول إشارة لتحزيب المصحف وتجزئته إلى ثلاثين ، ماورد في البرهان للزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤) ١ : ٢٥٠ إذ يقول : « وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها » .

ولعل لفظ (الربعة) الوارد في هذا النص يعنى به المجموعة التي تربيع ؛ أى تحمل وترفع .

وقد شاعت أيضا كلمة (الختمة) ويذكر المرتضى الزبيدي في مستدرك تاج العروس أن الختمة بالفتح ، ويكسر : المصحف ، عامية . ووصفه اللفظة بأنها عامية ليس كما ينبغى ، والأولى أن يقال إنها مولدة صحيحة ؛ لأن القارئ يخطمها بإكمال تلاوته لها جميعها فهي تسمية باسم المرة .

الفية ابن مالك :

من المعروف أن عدد الآيات التي نظم فيها ابن مالك ألفيته هو الألف . وقد بدا هذا واضحا في كل مخطوطاتها وطبعاتها . لكنى وجدت الصبان في حاشيته على شرح الأشموني (٤ : ٢١٧) في اب الوقف يقول ، تعليقا على بيت ابن مالك :

ووصلها بغير تحريك بنا
أديم شدة في السدّام استحسننا
قال : يوجد في بعض النسخ قبل هذا البيت :

ووصل ذى الهاء أجز بكل ما
حرك تحريك بنا لزمنا

من تاريخ الخط العربى :

يقولون : إن أول من جوّد المصاحف خالد بن أبى الهيثاج ، وكان منقطعا إلى الوليد ابن عبد الملك ، يكتب له المصاحف ، وكذلك

أخبار العرب وأشعارها . ومن بعد خالد عرف مالك بن دينار السامى ، مولى سامة ابن لوئى المتوفى سنة ١٣١ ، وتعاقب التجويد بعد ذلك حتى بلغ غايته على رأس الثمائة على يد أبى على محمد بن مقله ، وابنه عبدالله ابن مقله . وأبو على هو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط وضبطها فى إحكام صادق ، وسمى خطه بالخط المنسوب ، وفيه يقول أبو عبيد البكرى صاحب المعجم :

خط ابن مقله من أرحاه مقلته
ودت جوارحه لو أصبحت مقلا

وفى أوائل القرن الخامس ظهر أبو الحسن على بن هلال البغدادى ، المعروف بابن البواب المتوفى سنة (٤١٣) وقد نوّه أبو العلاء المعرى الضرير بابن هلال هذا فى إحدى بغدادياته ؛ إذ يقول فى نعت الهلال :

ولاح هلال مثل نون أجادها

بجارى النضار الكاتب ابن هلال

وجارى النضار : ماء الذهب .

ويقول ابن خلكان : وسألنى بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين من جملة أبيات فى صفة كتاب :

كتاب كوشى الروض خطت سطوره

يد ابن هلال عن فم ابن هلال

فقلت له : هذا يقول : إن خطه فى الحسن مثل خط ابن البواب ، وفى بلاغة

ألفاظه مثل رسائل الصابى ؛ لأنه ابن هلال أيضا .

والصابى الذى يشير إليه ابن خلكان هو المترسل أبو إسحاق بن إبراهيم بن هلال ، المتوفى قبيل سنة ٣٨٠ .

وبذلك نستطيع أن نضيف إلى معجم المثنى والمثنى « ابنا هلال » . . .

ومن عرف بجودة الخط بعد ابن هلال ، ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى ، صاحب المعجمين ، المتوفى سنة ٦٢٦ ثم ياقوت بن عبد الله الرومى المستعصمى مولى المستعصم ، المتوفى سنة ٦٨٩

الثقة بالتواريخ المعاصرة :

من الخطأ الفاحش الدليل أن يكلف مؤرخ معاصر تكليفا ديوانيا أن يكتب تاريخا بإيعاز من ولى الأمر مهما سمت منزلته وعرف بالزاهة ونقاء الحيب وسلامة النفس ؛ إذ ليس من طبيعة البشر إلا أن يجاملوا معاصريهم ومن هم فوقهم مهما تصنعوا من عدالة وإنصاف . فهذا الأسلوب مضيعة للتاريخ وبهتان عظيم .

ومن نماذج هذا الخطأ فى القديم ما أمر به عضد الدولة بن بويه الديلمى أبا إسحاق الصابى السابق الذكر ، أن يصنع له كتابا فى أخبار الدولة الديلمية ، فعمل الصابى هذا الكتاب وسماه «الكتاب التاجى» فماذا حدث بعد ذلك؟ قيل لعضد الدولة هذا:

في مجال النحو واللغة :

البدال اليابسة :

من أغرب ما وجدته في تعبيرات الضبط اللغوي المعجمي ، ما جاء في كتاب : « تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه » من نوادر المخطوطات (١ : ١٠٦) يقول مؤلفة الفيروزبادي في ضبط جحدم : بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة ، بدلا من قوله : «البدال المهملة» ، كما هو المؤلف عند أصحاب المعجم .

(ترجمة الجيم في الأعلام والكلمات الأعجمية) يختلف العرب المعاصرون في ترجمة ما أوله جيم غير منطشة من الأعلام والكلمات الأعجمية ، فأهل مصر يجعلونها جيما قاهرية ، وكثير من العواصم العربية يجعلها غينا أو كافا .

جاء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١٢٩) : «ويقول أبو بكر الرازي في كتاب الحاروي : إنه ينطق - أي يطرد - في اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم غينا وكافاً ، فيقال -مثلا- جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز .»

الاعراب :

كما أسرف قوم في إهمال الإعراب جهلا أو تخلصاً من الأخطاء ، نجد أن قوماً من العرب قد أسرفوا على أنفسهم

إن صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبويض ، فسأله عما يعمل فقال : أباطيل أتمقها وأكاذيب ألقها !

يقول ابن خلكان راوي الخبر : «فحركت ساكنه وهيجت حقه . ولم يزل مبعداً في أيامه .»

وكان عضد الدولة قبل هذا التكليف قد أرهبه واعتقله ، وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة فشنعوا فيه ، ثم أطلقه ورسم له أن يكتب هذا التاريخ الملفق المنمق .

القسامة :

جاء في اللسان (قسم ٣٨٠) : القسامة بالضم : ما يأخذه القسام من رأس المال عن أجرته لنفسه من رأس المال ، كما يأخذ السامرة رسماً مرسوماً لا أجراً معلوماً ، كتواضعهم أن يأخذوا من كل ألف شيئاً معيناً . . وذلك حرام :

ثم يقول : قال الخطابي (وهو أبو سليمان حمد أو أحمد بن إبراهيم بن الخطاب المتوفى سنة ٣٨٨ ، وكان فقيهاً محدثاً) قال : ليس في هذا تحريم ، إذا أخذ القسام أجرته بإذن المقسوم لهم ، وإنما هو - أي التحريم فيمن ولي أمر قوم ، فإذا قسم بين أصحابه شيئاً ، أمسك منه لنفسه نصيباً يستأثر به عليهم . وفي هذا النص الذي أورده صاحب اللسان ما يكون ضميمته وسنداً لما يجري من خلاف حول المعاملات المصرفية الحديثة .

فأجروا الإعراب في الكلمات كلها وصلوا
ووقناً .

وجدت في كتاب سيبويه (٤ : ١٦٧
هارون) « وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة
يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو ،
ومررت بزیدی وعمري. جعلوه قياساً واحداً ،
فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف .

تنوين الموصوف بابن :

من المعروف عند علماء الرسم أن تنقص
ألف ابن وابنة إذا وقع أحدهما مفرداً
نعتاً بين علمين مباشرين أو لهما غير منون
وثانتهما مشهور بالأبوة ، ولو ادعاء بشرط
ألا يكون في أول سطر .

وهذا هو الحارثي في مألوف الرسم
أو الإملاء كما يقولون ، ونص عليه علماء النحو
أيضاً، لكن هناك خلافاً في نحو: أبوبكر بن
أبي قحافة ، وعبد الله بن أم مكتوم ؛ أي
إذا وقع ما قبل الابن مضافاً أو وقع ما
بعد الابن مضافاً .

يقول الصبان - وهو نص نادر - :
« وجزم الراعي بوجوب تنوين المضاف
إليه ، وكتابة ألف ابن إذا كان الموصوف
بابن مضافاً ، كما في قام أبو محمد ابن زيد .
واختاره الصفدي في تاريخه بعد نقل
الخلافاً واختاره أيضاً المصنف - أي ابن مالك
إذا كان المضاف إليه ابن مضافاً ؛ أي في
نحو رأيت محمداً ابن زين العابدين » .

فهذان النموذجان عندهما يكتبان ويقرعان
بتنوين ما قبل الابن ، وبإثبات ألف ابن
في الكتابة كذلك .

والراعي الذي ذكره الصبان هو محمد
ابن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي ،
نزىل القاهرة ، المتوفى سنة ٨٥٣ ، له شرح
على الألفية والأجرومية .

واحد عشر

والواحد والعشرون

الفصيح فيهما أن يقال : أحد عشر
والحادى والعشرون لكنهما وجهان جائزان .
وفي التصريح (٢ : ٢٧٧) : « وحكى
الكسائي عن بعض العرب واحداً عشر على
الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » .

وقد علق الأشموني على هذا بقوله :
« وأما ما حكاه الكسائي من قول بعضهم :
واحد عشر فشا ذنبه به على الأصل المرفوض » .

ثم يقول : « قال في شرح الكافية : ولا
يستعمل هذا القلب في واحد إلا في تنييف ؛
أي مع عشرة أو مع « عشرين » وأخواته .

أي أن :

نحطى كثير من الكاتيبين والمتكلمين
في استعمال أن المفتوحة الهمزة بعد أي
التفسيرية ، والصواب « أي إن » بالكسر ؛
لأنها تكون تفسيراً لكلام سابق ، أي
لحملة لا للكلمة ، وإذن فإن الواقعة بعدها
هي بدء الكلام فوجب كسر همزتها .

الحلزون :

كلمة عربية أصيلة ينسب إليها الشكل الحلزوني المعروف. وهي أحد ما جاء على وزن فَعْلُول كالزرجون للخمر والكرم والقربوس لحنو السرج ، والقربوس للتعاقب الأملس الغليظ . وفي اللسان : « الأصمعي : حلزون : دابة تكون في الرمث » . وفي القاموس : « دابة تكوّن في الرمث أو من جنس الأصناف » ، ويفسره الدميري في « حياة الحيوان » بأنه دود في جوف أنبوبة حجرية يوجد في سواحل البحار وشطوط الأنهار . وهذه الدابة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية ، وتمشي بمنة ويسيرة تطلب مادة تغذي بها ، فإذا أحسّت بدين ورطوبة انبسطت إليها ، وإذا أحسّت بنخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف الأنبوبة الصدفية حذاراً من المؤذي لحسها ، وإذا انسابت جرت معها بيتها .

وفي معجم المعلوم ٢٣١ : « والحلزون عند عامة أهل الشام : الصغبر منه يسوءه في العراق زلنطح وسانطح . ويقول الصبيان : سانطح ياسانطح ، طلع قرونك وانطح .

قلت : ولعل هذا تأصيل لما تقوله عامة المصريين للرجل العيار المرهوب الجانب - لعدم مبالاته - « ظانطحجي » يعنون أنه إذا استثير صارح قرنه برأسه لا يبالي ما صنع . و« جي » هي علامة النسبة في التركيب .

ومثاله ما أسعفى به ابن منظور حينما أنشد بيت أمية بن أبي الصلت في مادة (عول) :
سكع ماومثله عشر ما عائل ماوعالت البيقورا
وفسره فقال : « أي إن السنة الحديبة أثقلت البقر بما حملت من الساع والعشر » .
ولو أخطأ لقال : أي أن السنة الحديبة .
وعلى هذا إذا فسرنا قول الشاعر :
وترمينني بالطرف أي أنت مذنب

وتغليبنني لكن إياك لا أقل

قلنا : « أي إنك مذنب » لا « أي أنك مذنب » .

أما أي المفسرة للمفرد فلا تأتي بعدها .
إنّ مطلقاً ، بل نقول : هذا عسجد ، أي ذهب ، وغضنفر ، أي أسد ، وما بعد أي عطف بيان أو بدل عند البصريين ، وعطف نسق عند الكوفيين .

الطريجة :

كلمة مولدة قديماً ، تستعمل بمعنى الكمية التي يجب عملها مطلقاً ، من نسج أو بناء أو طلاء ، أو تصنيع ، أو كتابة أو تأليف . وجاء في ترجمة عبد الملك بن سراج النحوي من كتاب « بغية الوعاة » ٣١٢ أنه طال عمره مع البحث والتنقيب ، وكان يقول : « طريحتي في كل يوم سبعون ورقة » . واشتقاقها من الطرح ، كأن الشيء يطرح أمامه ليعمله ، أو كأنه طرحه من وراء ظهره بعد أن كان مثقلاً به . وعبد الملك هذا ممن توفي سنة (٤٨٩) .

من غرائب التصحيف :

والتصحيف آفة من آفات العلماء لا يكاد عالم
فاضل يخلو منها، مهما أوتي من علم . جاء
في شواهد الأثموني قول ذي الرمة :
ويسقط بينها المرثى لغوا

كما ألغيت في الدية الحوارا

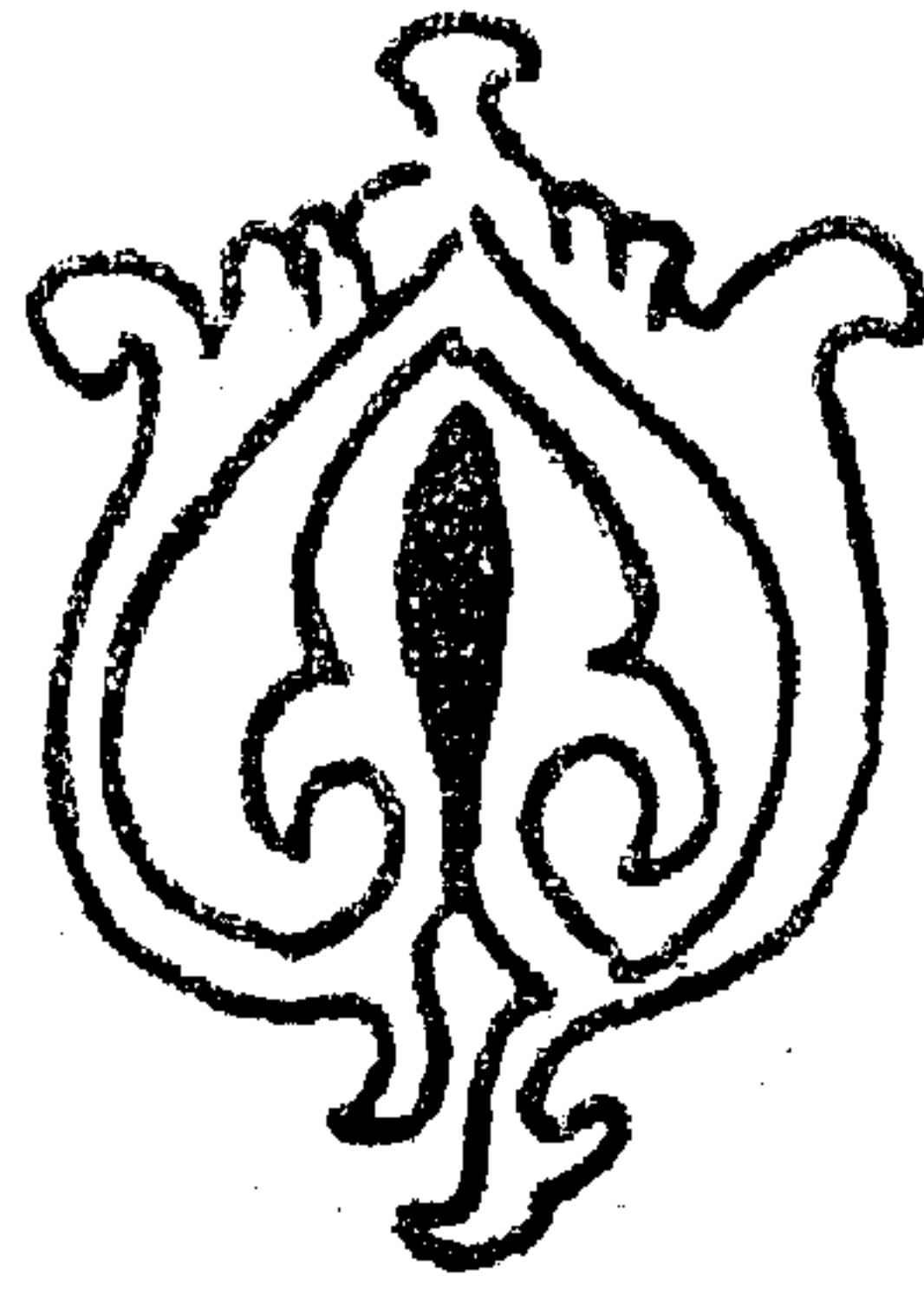
والبيت بهذه الصورة السليمة موثق
مفسر في ديوان ذي الرمة، ويقول الصبان،
وهو نحوي جليل في التعليق عليه ٤ : ١٩٢ :
قال البعض : ليس بنظم ، وانظر ما ضبطه

وما معناه ، فإنني لم أقف عليه ، لكن وجد
في بعض النسخ على كونه نظما من بحر الوافر :

ويسقط منهما المرثى لقنوا
كماء العنثب في الدُّبَّة الحوآء
بضمير التثنية في «منهما» وضبط «لقنوا»
كغزو ، وسكون نون العنثب وتخفيف
باء الدُّبَّة وواو الحوآء .

وهكذا أفلت الزمام من عالم جليل ،
ولكن لم يفلت زمامنا في الحكم له بالفضل
فلكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

عبد السلام هارون
عضو المجمع



تصحيح الأخطاء للأسناد محمد الفاسي

الجرائد والمجلات ، أي ما كنا نطلق عليه اسم الصحافة .

سيدي الرئيس :

أيها الزملاء الكرام :

ولقد اهتم العرب منذ القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بتصحيح الأخطاء في كتب يسمونها عادة أخطاء الخواص ، والأمر ليس خاصا بالعربية ، فاللغات الحديثة كلها تتعرض لهذه الأخطاء بسبب تعميم التعليم الابتدائي الذي يجري كل واحد على الكتابة والتأليف، حتى من كانت بضاعته مزجاة، وإذا أخذنا مثالا لذلك في اللغة الفرنسية، نرى كبريات الصحف اليومية تخصص ركنًا لتصحيح أوضاع اللغة الفرنسية، وتوجد هيئات ترعاها الحكومة تسهر على سلامة اللغة، وترجع النماذج منها إلى الصواب، وتبعد الدخيل الإنجليزي الذي يغزو الآن لغات الدنيا، وتحل محله ألفاظا فرنسية، وفي الأسبوع الماضي قدم السيد «الانج» وزير الثقافة الفرنسي للصحافة مائة كلمة فرنسية لتحل محل نظيراتها الإنجليزية .

وقبل أن أتعرض لتصحيح بعض هذه الأخطاء والتحريفات، وأنا أعني بهذا منذ

إنني أشكر مجتمعا العتيد على اختياره موضوع لغة الصحافة لأبحاث هذه الدورة من المؤتمر، لأن أمر تفشي الأغلط في لغتنا من حيث اللغة والصرف ومعاني الألفاظ والتراكيب ودخول المهجنة عليها، بلغ من الخطورة حداً جعل كل المهتمين بمستقبل اللغة العربية يخافون عليها؛ إذ أن هذه التحريفات أكثر ضرراً عليها من الدعوة إلى العامية، لأن هذه الدعوة قد برهن الزمن للعقلاء من أمتنا على مضرتها وتسلبوها ضدها بشتى الوسائل، ولكن نسبة هذه الأخطاء للصحافة وحدها صار غير صحيح في وقتنا هذا، فنذ كتب «اليازجي» عن لغة الجرائد ومن جاء بعده ممن عالجوا هذا الموضوع، ظهرت وسائل أخرى إعلامية أعمق أثراً في المجتمعات، وأشمل نفوذاً مما تسرب حتى في أقلام العلماء والكتاب، ثم إن هذه الوسائل لم تبق محدودة في نطاق بلد واحد، ولكنها انتشرت في كل العالم العربي أكثر من انتشار

(*) ألقى في الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ)

المرافق ١٥ من فبراير ١٩٨٣ م) .

زمن طويل ، واجتمع لدى الشيء الكثير منها
عدة مقالات في جريدة الرسالة التي تصدر
في مدينة سلا بالمغرب في هذا الموضوع
تحت عنوان «تصحيح الأوضاع» - أقول
قبل ذلك ينبغي أن أشير إلى أسباب تفاحش
هذه الظاهرة التي عملت وسائل الإعلام
المسموعة - أكثر من غيرها - على تفشيها ،
والسبب الأول هو إصرار العرب على عدم
استعمال الشكل والضبط على ما يكتبون .
فن هنا مئات الأغلاط اللغوية والنحوية ،
وإذا كنا في العصور الماضية لا نحتاج إلى
ذلك ، لأن عدد المثقفين كان قليلا ، وكان
لهم من الوقت ما يكتبهم في صـفـرهم
وشبابهم لتعلم قواعد النحو العربي الكثيرة
المتسعة ، فإن ظروف العصر الحاضر لا تساعد
على ذلك ، وأنا أعتقد أن العربية أسهل
اللغات ؛ لأن قواعد هاليس فيها شذوذ ؛ كما هو
الشان في اللغات الغربية مثلا ، وذلك لأن
واضعي النحو العربي كانوا من العباقرة
النبغاء ؛ إذ اهتموا إلى جعل قاعدة لكل ظاهرة
نحوية كتابة وإعرابا ، مما جعل من جهة أخرى
حفظ هذه القواعد والاستيلاء عليها يتطلبان
زمن طويل لذلك ، حيث يضيق بنا الوقت
لاستيعابها ، واليوم يتعين ، بل يجب تلافى
الأخطاء بشكل كل ما ينشر على الناس .
ولاحظ فائدة هذا في طبع « المصحف
الشريف » الذي لا يلحن فيه أحد مطلقا
بفضل الشكل الكامل لكل ألفاظه .

والسبب الثاني : العجلة في نشر الخبر ،
مما لا يدع وقتا للمحرر التلفزى والإذاعي
للبحث والتنقيب عن اللفظ المناسب والتركيب
الصحيح ، ثم إن للمترجمين مسؤولية
عظمى في هذه الحالة السيئة التي صارت
إليها اللغة العربية ، وقد لاحظت هذا في
منظمة اليونسكو ونهت عليه ، وكم مرة
في أثناء الاستماع إلى مترجم أو مترجمة
أطلب الكلمة من الرئيس لأقول : إنني لم
أناضل النضال المرير أنا وزملائي العرب
لإدخال لغتنا إلى اليونسكو لكي نراها اليوم
تمزق بهذه الصورة ، ثم إنني عقدت مع
ثلاثة من المترجمين جلسة أطلعهم فيها على
ما أخذ بيننا لهم كتابة بعد ذلك .

ثم إن من المسؤولين على إفساد لغتنا
أصحاب المتاجر والمعامل وكل من يعلق
على محل عمله أو يكتب على سيارات نقله
أسماء ما يقوم به من عمل ، وأثال من وراء
يجب أن يردعوا :

وفي المغرب ، عند تأسيس الأكاديمية
الملكية المغربية ، جعل مؤسسها وراعيا جلالة
الملك «الحسن الثاني» - نصره الله - من أهدافها
أنها «تقوم بالمحافظة على صفاء اللغة العربية
وصحة الترجمة ، وأن ما تقرره من ذلك
ملزم» . ومن أمثلة هذه الانحرافات : الشركة
التي تسمى نفسها «المغرب خشب» وهي
تعنى بذلك بكل بساطة : «شركة خشب
المغرب» ، وكذلك «المغرب حليب» ولو

كان هذا التركيب صحيحا لكان معناه أن المغرب محلوب ، ولكنهم يعنون بذلك فقط : «شركة حليب المغرب» ومظاهر هذه التشويهاة كثيرة .

ومن أسباب هذه الأخطاء الإهمال وعدم الاكتراث ، بدليل أننا نرى في كتابة علماء ومثقفين أغلطا لا نجدها حتى عند تلاميذ المدارس الثانوية ولا يمكن أن تنسب للمطابع ؛ لأن الطابع يمكن أن يغلط في حرف ، وأما أن يطبع من عنده تركيبا خاطئا - عرض صواب الكاتب - فهذا بعيد .

وهذه اللامبالاة ناتجة عن كسل فكري ، لأن الانتباه وتوخى الصواب - خصوصا في لغة المخاطبة - يتطلبان مجهودا عقليا يكسل عنه المتكلم والكاتب أحيانا ، وهكذا نسمع ونقرأ ألفاظ القناعة بمعنى الاقتناع ، ولاندرى من أين جاء هذا الخلط ، لأن كل عربي سليم الذوق يعلم أن من لم ينتظر أكثر مما جاءه في حظه واكتفى به فهو قانع ، أما الذي تشرح له مسألة حتى يصدق بها فهو المقتنع ، وقد حصل له الاقتناع ، ولكنك صرت لا تسمع في الخطب ولا تقرأ في الكتابات إلا القناعة ، وعسى الذين يغلطون في هذا المفهوم يرجعون عن غلطهم ويقتنعون بصواب الاقتناع عوض القناعة .

ومن ذلك استعمال لفظة الشفوي لما هو غير مكتوب والمقصود الشفاهي ، وهذا

الغلط ناتج عن الرغبة في الهروب من النسبة إلى الجمع ، ظنا أن لفظة الشفاهي نسبة إلى شفاه جمع شفة ، والواقع أن الشفاهي - بمعنى غير المكتوب - هو نسبة إلى المصدر أي شافه يشافه مشافهة وشفاهها ، كما نقول : ناضل مناضلة ونضالا ، أما شفوي فهو ما ينسب لشفة كالحروف الشفوية مثل : الباء والميم ونحوهما . ومن هذه الأغلاط الشائعة استعمال لفظة المراقب أو المراقبين لمن يشاركون في اجتماعات عامة وطنية أو دولية بدون أن يكونوا أعضاء عاملين ، وبدون أن يكون لهم حق التصويت ، فهم مجرد ملاحظين observer, observew

وكنا في المغرب لا نسمع ولا نقرأ إلا لفظ ملاحظ حتى أخذ مديعونا يقلدون من يقول : «مراقب» عوض «ملاحظ» ، ولو تنبه هؤلاء إلى معنى المراقب لوجدوه أكثر حتى من عضو مطلق ؛ لأن من له حق المراقبة هو الذي يفحص أعمال من له رقابة عليه وينتقده ويوجه له اللوم إن اقتضى الأمر ذلك .

وكذلك المتبعون لأحوال بلاد ما من حيث السياسة - فهم كذلك ملاحظون لا مراقبون ، ولكنك لا تسمع ولا تقرأ إلا «يرى المراقبون» ، «ويقول المراقبون» : ونحو هذا . . . وقد وصلت أخيرا هذه العدوى إلى المغرب .

ومن الأخطاء الكتابية ما يتعلق بالهمزة ، وخصوصا الهمزة المضمونة في وسط الكلمة ، التي تكتب هنا في مصر فوق الياء مثل :

صاحبها : والله لا أدري بالضبط ولكن
المعمار هنا وسأناديه ليخبرنا بذلك « معجم
الأدباء » ج ١٠ ص ١٠٠ .

ومن الأغلط الشائعة: النسبة إلى كلمة
لاعلمة في آخرها وبدون موجب بزيادة
واو .. وهذا ينم - كظاهر أخرى من هذا
التشويه - على فقدان الملكة العربية، فما أحوجنا
أن نقول : «الإدارة الغابوية ، والنظام
الأسروي ، والحركة الوحدوية» ، في
حين أن التركيب الإضافي هو آلف في هذا
المقام ، فقولنا : إدارة الغابات ، ونظام
الأسرة ، وحركة الوحدة، أخف على
اللسان وأنسب للسليقة العربية .

ومن هذه الأخطاء التي تدل على الجهل
باللغة استعمال لفظة «أخصائي» للدلالة على
العالم أو الخبير المتخصص في فن ما ، ظنا
من مخترعها الأول أنها مشتقة من مادة
«خص» ، والواقع أنه رأى هذه الكلمة مكتوبة
بدون شكل هكذا « ا ، خ ، ص ، همزة
فوق الياء ، وياء النسبة » فقرأها أخصائي ،
في حين أن مستعملها كان يعلم مايقول ولكن
لم يشكل ، أو بالأحرى لم تشكل المطبعة (وهذا
داء عضال) فلم يقرأها على صوابها وهو :
إخصائي - اصطلاح عربي للخبير بالشئ
العارف له معرفة دقيقة .

ومن التقليد للغة الفرنسية - بالخصوص
عند أبناء المغرب العربي - استعمال لفظة
«الوطن الأم» ، لأن لفظة الوطن Parrie

«شئون» ولعمري لا أدري ماالخامل على
ذلك ، وجعلها فوق الواو متيسر كجعلها
فوق الياء ، أما عندنا في المغرب فإننا
كثيرا ما نرى الهمزة المكسورة مكتوبة
فوق الألف ، ولكن هذا يقع فقط في
الآلة الكاتبة ؛ لأن صانعي هذه الآلات قبل
اليوم كانوا لا يعتنون بسبك هذا الحرف ؛
أى الألف «تحت همزة» ، ومن هذا القبيل
إهمال النقطتين تحت الياء في آخر الكلمة ،
فيلتبس مثلا على بعلى .

وأما فوضى كتابة الهمزة فإنها عامة ، ولكن
في المطابع التي لا تتقن عملها ، مع أن كتابة
الهمزة لها قواعد ثابتة ، وهذا مثل مايتعلق
باللغة العربية كلها نطقا وكتابة ، يحتاج إلى
انتباه وتفكير ، خصوصا مع انعدام الشكل ،
وهو في نظري السبب الرئيسي لأكثر
الأغلط التي صار الوعي العربي الآن
يتبعها بكل اهتمام .

ومن الاستعمالات الخاطئة استعمال لفظ
معمار بمعنى هندسة معمارية وتسمية المهندس
المهتم بالبناء معماريا ، ولكن الذي أعرفه هو
أن المعمار هو هذا المهندس نفسه ، وقد جاء
في الجزء العاشر من معجم الأدباء «لياقوت»
أن أحد الأمراء أيام العباسيين بنى دارا
جميلة وحضر الملك محمود بن نصر المرديسي
يوم الاحتفال بفتحها فأعجبهت بما إعجاب ،
وسأل عن الثمن الذي لزم لبنائها ، فقال له

بالفرنسية مؤنثة ، وإن كان اشتقاقها من اللاتينية Peter لفظا مذكرا ، والأب مذكر في أكثر اللغات الأخرى ، فينبغي أن يقال ، الوطن الأب إذا كان ولا بد أن نقتبس هذا التعبير من اللغات الأعجمية .

ومن هذا القبيل - أي تقليد اللغة الفرنسية - تأنيث الأفعال الراجعة إلى اسم مذكر أضيف إليه اسم مؤنث ، فيقولون مثلا : توصلت جلالة الملك بقرقيات تهنئة ، والحالة أن العربية لا تبيح مثل هذا التركيب ؛ لأن المقصود هو المضاف إليه ما قبله ، أي لفظة الملك ، وسبب هذا أيضا أن أسلوب اللغة الفرنسية يفرض أن يعتبر فقط المضاف ؛ لأن صيغة هذه اللغة الوقوف مع الألفاظ ، وهو نوع من الحمود يضيفون عليه صفة الوضوح ، فيقولون : الفرنسية لغة الوضوح .

ومن الاستعمالات الخاطئة عند التونسيين - متأثرين باللغة الفرنسية - قولهم : « المدينة أين ولد فلان » و « البلد أين أنا ذاهب » .

ومما عمت به البلوى في هذه السنين الأخيرة استعمالات فجأة لا يستسيغها الذوق العربي وتحدث التباسا في المفاهيم ، وذلك بقولهم : « التحديث » ، ويقصدون به جعل الشيء حديثا ، « والتعصير » : أي يجعل الشيء عصريا ، وسبب مثل هذه التراكيب هو اللجوء إلى ألفاظ

خاصة عوض استعمال جملة تفسيرية واضحة ، كأن يقال مثلا : موافق للعصر أو متمشٍ مع الطرق الحديثة ، وهكذا لا يلتبس الأمر لا بتعصير الفواكه ولا بسرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وأبشع منهما «التطبيع» بمعنى إرجاع العلاقات الطبيعية ، وفي بلاغة اللغة العربية ما يكفي للتعبير عن كل هذه المعاني بألفاظ جزلة واضحة .

ومن باب تفخيم الأشياء في بعض البلاد العربية تسمية أشياء بسيطة بألفاظ فخمة ، فالمدرسة - وإن كانت ابتدائية - معهد ، والتلاميذ طلبة ، والمعلم الابتدائي أستاذ ، والجمعية رابطة ، والأمم الفقيرة المتخلفة - وهذا عندي هو المقصود بالذات في هذا الفصل - نامية ؛ أي نمت وتم نموها ، وهذا الاستعمال أصله الإذاعات الأوربية الناطقة بالعربية وهي تتعلق منتجى النفط ، ولا تريد أن تجرحهم بنعتهم بالأمم المتخلفة - وهو أصدق تعبير عن حاله هذه الأمم - فأخذوا يقولون أولا : الأمم التي تسير في طريق النمو ، ثم قفزوا قفزة واحدة إلى نعتها بأنها لم تبق في طريق النمو ، وإنما وصلت إلى النمو وصارت نامية ، وأحسن ما يعبر به عن هذا المفهوم لفظة متنامية ؛ لأن «تفاعل» في العربية يؤدي هذا المعنى ، فتقارب مثلا - يسعى نحو القرب . وتمائل للشفاء دخل في طور النقه ، وقد أخذ بها كتاب العراق ، وقد نشرتها في المنتديات الدولية كاليونسكو واليونسكو :

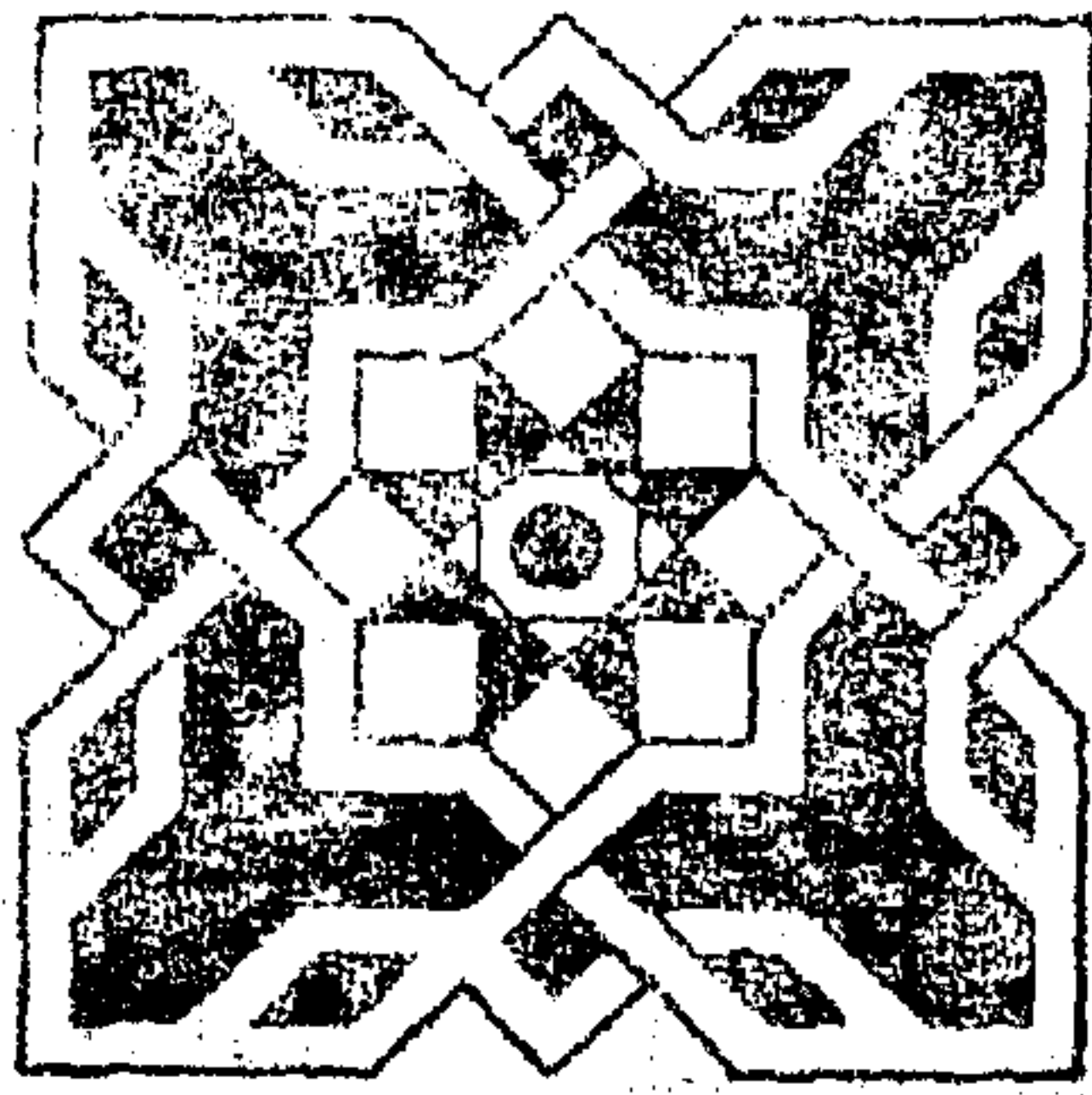
« مدير عام الشركة » - ولا يمكن أن يقرأ إلا هكذا - فهي من علامات أخرى لانعدام السليقة العربية . هذه هي الطامة الكبرى التي اعتبرها عنوان هذا الانحطاط الذي أصاب بعض نواحي لغتنا الحية القوية، التي لا يمكن لكل هذه الانحرافات أن تزيل عنها رونقها ومقامها، لأنها محفوظة من قبل المولى تعالى الذي أنزل بها كلامه القديم .

وأريد أن أختم هذه الكلمة الوجيزة بما قاله أحد حكماء اليونان وهو «أنتيستنان» من رجال القرن الرابع قبل المسيح، قال: « إن الاستيلاء على الألفاظ هو رأس الحكمة »، والسلام عليكم ورحمة الله .

للأستاذ محمد الفاسي
عضو المجمع من المغرب

ومن التراكيب الشائعة في هذا العصر استعمال فعل «عاني» بدون مفعول كأنه لازم، ويركبونه مع حرف الجر «من» فيقولون مثلاً : «وأهل القرية يعانون من قلة الماء»، ولا يقولون ماذا يعانون، وهذه ترجمة للكلمة الفرنسية Sou Pprir de وهو فعل لازم ويأتي أحياناً متعدياً ، وهذا من أمثلة سوء الترجمة ، ولكن هذه العبارة كتب لها انتشار كبير ولا تخلو منها جريدة ولا خبر إذاعي أو تلفزي .

وإني أعفيكم من التصحيحات التي تعرض لها الأستاذ والزميل الفاضل سعيد الأفعاني ؛ لأنه أثلج الصدر بتصحيحاته وذلك كاستعمال «الكوادر» لما نسميه «الأطر» أو الإطارات ، وأزيد : أن كوادر - زيادة على هجنتها وبشاعتها في العربية - لها معنى فاحش في العامية المغربية ، وأما



الروح

للكورس على إبراهيم

إذا جلّى النهار الشمس صباحا
وإن وافى الهلال بجنح ليل
وزينت السماء كفرط ماس
فسبح باسم فاطرها جميعا
لمن أعطى الحياة لكل حي
خلقنا من تراب ثم صرنا
وما الأجسام إلا من جواد
فرب ميت الذرات حس
دم من ميت الذرات يجرى
فهل للكلس والفسفور لب
أينضب ما مكونه جواد
وتنتج ذرة الكربون شعرا
ويشكو الميت من ماء وملح
ويكتب ميت الكبريت سفرا
هي الروح التي دبت فأوعت
وأما الروح ذى من أمر ربي
وما أوتيت من علم قليل
وهل يحيى الجواد سوى قدير
وفي هذى الخوارق خيررد
ومن ماري فقد ماري بقلب

وسال نُضارها في الخافقين
فأرسل نوره مثل اللجين
بكل نجومها والفرقدين
وخالق لُبنها والأصغرين
وكون ماءها من عنصريين
بعين نجملى وبمسمعين
كصخر قدّ من جبلى حنين
تعالى الله رب النيرين
فيدفعه الأذنين إلى بطين
وهل يرنو الجواد بمقلتين؟
ويمسى التراب وهو قرير عين؟
ولوحات تسر الناظرين؟
فيطرب قلبنا والسامعين؟
فتفهمه كهارب ذرتين؟
محركة الخسواطر واليدين
وسر عند رب المشرقين
كرشف من مياه الرافدين
تناهى قدرة فى العالمين
لزندقة وهرطقة ومين
ونفس فى الضلالة غارقين

(*) ألقى القصيدة فى الجلسة الخامسة من مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى

١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٨٣ م) .

إله الكون بعد نوى وبين
ويعرف ذاتي وثقيل ديني
ومن روحى لديه لحين حيني
فماذا بين ماض لي وبيتي ؟
وقد فاض الشباب بكل شين ؟
وما آذيت إنسانا برين
فكنت أرى النهاية قيد عيني
فبعد الشين جئت بكل زين
تناهت بعد شيب السالفين ؟
أيردف دعوتي بشفاعتين ؟
وفي صحوى وأنت بكل فين
لأمضى في طريق الجنتين
ولله المهيمن خير قين
غشى قلب الأنام بغيهين
فدك الحق تين القلعتين
مهندة وسمر من ردين
وفقت المرسلين برتبتين
عليهم باجتيزاز البرزخين
فزيت الجبين بدرتين
بمن ظلالا بغى سادرين
وكوكبة هدت في المغربين
يضى وكنت نور الكوكبين
أخير منهما من محصنين
حببت من الإله بنعمتين
أتنزع مقلة من محجرين
سهام الغدر تدمي الجانين
وهب لي منك تين الراحين

ومما راعني أنى ملاق
قريب فهـر في نفسى وحسى
لمن قلبي هـواه ولا أراه
وبعد الموت روحى في يديه
فهل يغضى عن الأوزار طرا
وما من شيمتى أبدا خـداع
ولى من خشيتى أبدا شفيع
وقد إزان المشيب صلاة عبد
وهل تجدى شفاعة مستجير
وحب محمد خير البرايا
رسول الله زرتك في منامى
تضىء نحو واطرى وتثير قلبي
فإنى للرسول حبيب صدق
دعوت إلى الهدى فأنجاب ليل
ظلام الجهل فوق ظلام كفر
فإن الحق أمضى من مواض
رسول الله كنت ختام هدى
عرجت إلى السماء فزدت قدرا
وكنت ختامهم بكتاب حق
ومن بعد الرسول أهاب رهط
فكوكبة سرت للشرق تهدى
فعم الدين والإيمان أرضا
عبدت الله إيمانا وحببا
فظاعة خالق وجميل فعل
وحب محمد بشغاف قلبي
قضيت العمر في كبد أعانى
فصفحا ياغفور وحسن مثوى

حسن ابراهيم
عضو الجمع

اللغة المصفاة

للكاتب أحمد عبدالستار الجرادى

تمهيد :

كل آونة بجديد لا بد أن يجد له في اللغة ما يقابله اسماً يسمى به أى لفظ يدل عليه . ومثل هذا الموقف قد يحمل من يقف في الطرف الآخر على أن يستهين بالتراث الفكرى في اللغة ، ويحسب أن الحفاظ عليها سليمة فصيحة يقعد عن اللحاق بما ينتجه ونخرجه هذا الركب المغذ في التقدم العلمى والتقى . ومن أهم ما يتذرع به هؤلاء أن ما يقال له الفصيحة نبات بيثة بدوية صحراوية غير متحضرة ، فهو ليس بقادر على التعبير عن حاجات الحضارة ومسايرتها في تقدمها .

اعل مما اعتاد عليه أهل الفكر في العصور المختلفة أن يشهدوا الاختلاف في العناية بأمر اللغة بين علماء اللغة الحراص عليها ، وغيرهم ممن يضيّق ذرعاً بمقاييس اللغة وقواعدها ، أو يجد عنتاً في الالتزام بأصولها وأسسها . ومن هؤلاء من يعتمد العبث بتلك الأصول والمقاييس أو يزعم أن نقل الأفكار والتجارب العقلية والشعورية ليس مما يتوقف على ضبط قواعد اللغة والالتزام بها ، بل إن منهم من يدعو إلى نبذ ما يعرفه أهل العربية باللغة الفصيحة والعدول إلى لغة الحياة اليومية التي تعرف بالعامية أو اللهجات المحلية، زاعماً أنها هي اللغة الحية حقاً ، وأن اللغة الفصيحة لا تملك من أسباب الحياة والحيوية إلا قدرأ يسيراً .

وهم بذلك يتجاهلون أن اللغة العربية كانت في عصور الازدهار الحضارى لغة العلم والفلسفة وسائر نواحي الحياة لفكرية والاجتماعية والمادية ، ولما تزال آثارها وآثار من كتبها شاهدة على ذلك. تلك حقبة من تاريخ العربية بدأت منذ نزل بها الكتاب العزيز (قرآنا عربيا غير ذى عوج) استمرت على ذلك قرونا عديدة . إن هذه الإشارة، بل اللمحة الموجزة مما يكفى ، وليست الإفاضة في مثل هذا مما يليق بهذا المقام .

على أن في جملة الحراص على اللغة الداعين إلى التزام الفصيحة الصحيح فيها من لا يعبأ كثيراً بالحاجات المتجددة في الحياة الفكرية والعلمية والتقنية ، التي تطلع في

(*) ألقى البحث في الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة ، الأربعاء ، يوم الإثنين ١٥ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨٣ م .

إن قضية الفصاحة والبلاغة ما تزال
 - كما كانت من قبل - محل اختلاف
 بين من يعبرون باللغة وينشئون ، ومن
 يتلقون ذلك التعبير ويتذوقون ، ويحكمون
 عليه بالجمال أو القبح . ثم بين من يعبر باللغة
 ممن يكون التأثير في نفس سامعه أو قارئه
 غاية أمله وكل مبتداه ، أو من يكون غرضه
 الإغادة الدقيقة ونقل الأفكار في صورة لا
 لبس فيها ولا إبهام ، ولا غموض ولا التواء .
 الأولون هم الذين يقال عنهم الأدباء في
 ما ينشئون من شعر أو نثر ، قصة أو رواية
 ونحو ذلك من فنون الأدب قديمها ومستحدثها .
 والآخرين هم العلماء ومن يسلك مسلكهم في
 التعبير عن حقائق العلم ونظرات الفلسفة ،
 ونحو ذلك مما يتحرى فيه جانب الدقة وإصابة
 الغرض أولاً ، وإن من أشهر ما يؤثر عن
 أسلافنا في تعريف البلاغة قولهم : إنها إصابة
 القصد وبلوغه من أيسر طريق . وقالوا
 قولهم التي جرت مجرى الأمثال : إنها
 مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وهي عند
 كثير منهم إصابة المعنى وبلوغ الغاية فيه ،
 دقة في العبارة وجمالاً في صوغها وتركيبها
 وإبلاغها إلى من يتلقاها واضحة جميلة ،
 سهلة المدخل في النفس ، حسنة التأثير فيها .

وهذا الاختلاف الذي كان بين القدامى
 من أهل العلم بالعربية له ما يشبهه عند
 المعاصرين من علماء اللسانيات Linguistics
 فإن لهم في الحكم على اللغة بالصحة
 والخطأ مذاهب ثلاثة :

المذهب الأول هو الذي يستهدى
 بالتاريخ الأدبي ، وفيه تقاس الصحة اللغوية
 بمقدار الموافقة لما كان يجري على ألسنة
 شعراء وأقلام الكتاب وآثار الأدباء
 الأقدمين .

والمذهب الثاني وهو الذي يسترشد
 بالتاريخ الطبيعي ، وهو يرى أي اللغة كائن
 حي ، يتحول تحول الكائن الحي ويتطور دائماً
 إلى ما هو أحسن ، والنية بهذا الاعتبار تتطور
 وتتحول إلى ما هو أحسن وأفضل في
 جو من الحرية التامة التي لا تفيد لها قوانين
 ولا تتحكم فيها ضوابط ، وعلى هذا المذهب ،
 فليس في اللغة صحيح وغلط ، ما دام
 التطور يقضي بالحديد في الاستعمال ، وتحكم
 له بالغلبة على الألسنة والأقلام .

أما المذهب الثالث فهو الذي يصحح أن
 يطلق عليه المذهب الاجتماعي أو النظرية
 الاجتماعية . وفيه يحكم بصحة اللغة وسلامتها
 وفصاحتها وبلاغتها بمقدار ما يؤدي إلى فهم
 السامع ويصل إليه ويبلغه مراد القائل في
 دقة وفي سرعة ، وبمقدار ما في أدائه من
 يسر وسهولة (١) .

(1) Jespersen: Mankind, Nation, and Individual from a Linguistic Point of view
 (85 - 88) .

العرف أو الذوق - الذي يسود فيه - مقياساً
للصحة والخطأ أو الجمال والقبح ؟

إن من المجتمعات ما هو منغلق على نفسه
محدود العلاقات بغيره ، بحيث يتفرد
بطرائق معينة وأساليب خاصة في التعبير
باللغة ، سواء في ذلك طرائق النطق والتلفظ
أو وسائل التركيب وأساليب التعبير ،
ومثل هذا الطراز من المجتمعات لا يصح
في هذا الباب أن تتخذ خصائصه وطرائقه
اللغوية موازين أو معايير يستهدى بها في
الحكم على التعبير اللغوي ، ما دام الأساس
في الحكم هو لإبلاغ المراد من الكلام في
دقة ويسر وفي إمتاع .

وإن من المعاصرين من علماء اللغة من
يصف اللغة بالفصاحة والبلاغة ، إذا كان
التعبير بها مبرأ من الصبغة المحلية ومما لا
يصح أو ينسب قائله إلى إقليم أو بلد مما يتحدث
بتلك اللغة . بل إن الفصيحة البليغة هي التي
تحررت من كل ما يميز اللهجة الإقليمية مما
يجعلها غير يسيرة الفهم أو مستساغة لدى
أهل غير ذلك الإقليم⁽¹⁾ .

والذين يرون في اللغة كائناً حياً يتحول
تحول الكائن الحي ويتطور إلى ما هو أحسن ،
عليهم أن يعتبروا بالعامل الاجتماعي وأن
يتدبروا أمره ؛ لأن فهم من يتخذ من هذه
المقولة كلمة حق يراد بها باطل ؛ فيستسلم

وهذا الموقف هو الذي يختاره علماء
اللغة أولو التأي والتزام جانب الموضوعية ،
وهو الذي يوافق في جملته موقف علماء
العربية ويجري على سننهم في ما كانوا يمثلونه
أو يتمثلون به بقولهم عن البليغ إنه يصيب
الحزب ويطبق المفصل . ولقد أوجزت كل ذلك
مقالة إبراهيم بن محمد المعروف بإبراهيم
الإمام ؛ إذ يقول : يكفي من حظ البلاغة أن
لا يوئى السامع من سوء إفهام الناطق ولا
الناطق من سوء فهم السامع .

وهو موقف يرمى الجانب الاجتماعي
ويجعله أكبر همه ، ولا يقتصر في حكمه على
متن اللغة - ألفاظاً وتراكيب - مجرداً
منتزعاً ممن ينشئه ويعبر به ، وممن يتلقاه
فيتأثر به ارتياحاً وإعجاباً أو حيرة واضطراباً .

- ٣ -

إن هذا المذهب وإن يكن أقرب المذاهب
إلى القبول ، فإنه يثير جملة من المشكلات
والتساؤلات ، من ذلك مثلاً أن يتساءل :
أى سامع أو متلق ذاك الذي يتخذ منه
معيار للحكم في تذوقه وفهمه ؟ وأي قائل
أو منشئ ذلك الذي يتخذ أداؤه مقياساً
لليسر والسهولة أو العسر والوعورة ؟
وأي مجتمع أو شريحة اجتماعية - كما يقال
هذه الأيام - ذاك الذي يصح أن يتخذ

(1) O. Jespersn ; Mankeind ... et, (78)

للفوضى اللغوية التي تسلم إلى غلبة اللهجات
العامية وتفضي إلى تمزيق شمل اللغة وإخلائها
المكان للأساليب والتعابير المحلية .

وهذا إنما يؤدي إلى عسر التفاهم بين الناس
وهو بالتالي كارثة اجتماعية ينتج عنها التناحر
والتنازع وغياب التواصل الفكري والشعوري
بين أفراد المجتمع وأجزائه ، وهو - أعني
التواصل - من أهم وأقوم ما في حياة
الإنسان •

ثم إن التطور البشري لا يسلم بالضرورة
إلى الانشطار والانقسام في المجتمعات ، بل
إنه يسلم - إن كان تطوراً سليماً - من الانحراف -
إلى التقارب والتفاهم والتوحيد والانتظام
في سلك منسق من العلاقات الاجتماعية، وأهمها
وسيلة التعبير عن المشاعر والأفكار وسائر
الحاجات الإنسانية •

إن من مظاهر هذا التطور الاجتماعي السليم
قيام المدن الكبرى وما يكون لها من آثار
في تطور اللغة وتوحيد طرق التعبير باللغة
وأساليبها وألفاظها . وليس هذا مرجعه إلى
كون سكان تلك المدن الكبرى أخصب
أذهاناً وأوسع مدارك وأرهف مشاعر ،
ولكنه يعود في جملته إلى عامل اجتماعي
يفعل فعله في هذه المجتمعات الرحبة الوسيعة ،
إذ أنها تلقف مما حولها ما يوافق الذوق العام
وما يرتضيه الأكثرون من أهلها ويستسيغونه
من طرائق النطق والتلفظ وأساليب التعبير .
وهي أيضاً تقتبس وتغتذي ممن يهاجر إليها

أو ينزع نحوها من بقاع أخرى تشاركها في
اللغة ، فتتخير من ذلك ما تختار .

— ٤ —

ونحن واجدون في تاريخ العربية مصداق
هذه المقولة، وصورة واضحة للتطور اللغوي
السليم في مجتمع عربي ، يمكن أن يعد نموذجاً
ومثالاً صادقاً للمجتمع السوي المتفتح الذي
تتلاقى فيه ألوان اجتماعية متعددة وتتفاعل
فيه قوى فكرية وشعورية تستمد من منابع
شتى ، فيؤتي ذلك كله ثماره في اللغة وما
تشتمل عليه من ألفاظ مفردة وكيف تنطق
بها ، أو أساليب وتراكيب منتقاة مهذبة
تستبعد ما لا يقبله الذوق العام وتستبقى كل
حسن جميل مستساغ .

فإن من الأمور التي يكاد ينعقد عليها
الإجماع بين علماء العربية، أن قريشا كانت
أفصح العرب ، وأن لغتها هي الفصحى
المنتقاة المبرأة مما في لغات كثير من القبائل
من عيوب في النطق أو في بناء الكلم أو في بناء
الكلام .

ومعلوم أن قريشا كانت تقطن مكة ،
ومكة هي مهوى أفئدة العرب من كل بقاع
الجزيرة ، إليها يحجون ، وفيها يتاجرون ،
وعلى صعيدها تلتقي وفودهم الآتية من هنا
وهناك ، يتحدث بعضهم إلى بعض ، ويطلع
بعضهم بعضاً على ما لديه من أشعار ،
أو أفكار ، أو أي من فنون القول
يجدون أهلاً للعرض والنقد ، وفي محافلها

محتكمون: أيهم أشعر، وأيهم أبلغ، وأيهم
أملك لناصية الكلام، وأيهم أكثر رجاحة
عقل وحسن تقدير وتدبير .

ومن المعروف أن العلاقات الاجتماعية
وما يستتبعها من تداول الأحاديث وتبادل
الآراء تقضى بأن يعرض الإنسان على الآخرين
خير ما عنده، ويتجنب من العوائد مظاهر
السلوك ما لا يرى في الإعلان عنه والتظاهر
به مدعاة فخر ولا وسيلة مباهاة، فلا ينطق
إلا بما يحسبه مقبولا لدى الأسماع، مستساغا
في الأفهام، وهو يتأنق في حديثه ومنطقه
مثلما يتأنق في مظهره وملبسه . والعرب
قديما أولو اهتمام باللسان وحسن المنطق،
وهم هم القائلون: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه»
وحكيمهم زهير بن أبي سلمى هو الذي
يقول:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
ثم إن العلاقات الاجتماعية وسيلة من وسائل
الاقتراب وسبيل من سبل التواصل بين الناس،
تواصل مادة وتواصل فكر وعقل وشعور .
ومثلما يتجنب الفرد ما يقدر في نفسه أنه
غير مقبول ولا مستساغ لدى الآخرين، فإنه
يأخذ عنهم ما يعجب به منهم وما يستحسنه
ويرتضيه، سواء في ذلك الجانب المادي
في الشكل وما يحيط به، أو الجانب الفكري
والمعنوي وما يتصل به من وسائل التعبير
باللفظ أو الحركة أو غير ذلك .

(١) ص ٥٢-٥٣

وهكذا استصفت قريش لغتها من بين
لغات القبائل الذين كانوا يفدون إليها
في المواسم ويغشون ديارهم للحج ولغير
ذلك من المناسبات .

ولم يكن من قبيل المصادفة أو الاعتباط
أن اتخذ الشعراء من لغة قريش لغة الفن الشعري .
أيضا كانت قبائلهم وأيضا كانت منازلهم .
فامرؤ القيس، وهو كندى، وزهير وهو
غطفاني، وطرفة والأعشى وهما قيسيان،
وغير أولئك من فحول شعراء الجاهلية، لم
يقولوا الشعر إلا بلغة قريش .

وليس بدعا بعد ذلك أن تكون روائع
القصائد وبدائع الأشعار، مما كان يبدع
كبار الشعراء، معلقة تعلق على جدار الكعبة،
لأنها ملتقى العرب ومحط رحلم ومجمع ذوى
الرأى والخبرة ونقدة الكلام فيهم .

وفي مثل هذا المعنى يقول أحمد بن فارس
في كتابه «الصاحبي»: «وكانت قريش
مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها،
إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم،
وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصغى كلامهم،
فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى
نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها فصاروا
بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد
في كلامهم عننة تميم، ولا عجرية قيس،
ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة،
ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل
تعلمون ونعلم ومثل شعير وبيعير» . (١)

في الأذهان ؛ مقالة أبي عمرو بن العلاء :
« لا أقول قالت العرب إلا ماسمعت من عالية
السافلة أو سافلة العالية » .

ثم ما كان من دأب أهل اللغة في الخروج
إلى البوادي يأخذون اللغة عن أهلها ،
ويستفتونهم في الحكم على الصحيح وغير
الصحيح، حتى كأن لم يكن بين ظهرانهم
كتاب الله يتلى آناء الليل وأطراف النهار
يتدارسه الناس خلفا عن سلف في ألفاظه
وفي معانيه وفي مخارج حروفه وطرائق
النطق بها .

ثم إنه لاخلاف بين الباحثين قديمهم
ومحدثهم أن لغة قريش هي أصنى وأرقى
لهجات العرب ، وقد وحد بها الكتاب
الكريم تلك اللهجات، فهل كانت لغة قريش
لغة بادية؟ وهل كان لسانها لسان بدو؟ بل
هل كانت هي لغة عالية السافلة أو سافلة
العالية كما قيل؟

أو لم تكن مكة حاضرة العرب وملتقى
حجيجهم، يأتون إليها من كل فج عميق،
يحجون إلى البيت الحرام ، يبتاعون فيها
ويشترون؟

إن لغة قريش هي لغة المدينة، مدينة مكة ،
لا لغة البادية .

ولسان أهل الحضارة ، لسان أهل
البدواة . ثم أصبحت بعد نزول الكتاب

وكل هذه عيوب في النطق وفي اللفظ
تنبوعها الأذواق وتستنكرها الأسماع .

وإن في الكتاب العزيز—وقد أنزل بلسان
قريش—وصفا لهذه اللغة المصفاة وتنويها
بشأنها وإشادة بفصاحتها وبلاغتها . فلقد
وصفها بالإبانة والوضوح . قال تعالى في
صفة القرآن الحكيم : (نزل به الروح الأمين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي
مبين^(١)) وقال تعالى : (لسان الذي يلحدون
إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)^(٢) .
وكل أوصاف الكتاب العزيز لا تكاد تخلو من
وصفه بالإبانة والصراحة والإصابة (وإنه
لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)^(٣) .

ذلك أن الذي يأتيه الباطل من بين يديه
ومن خلفه هو الغامض المحتمل للتأويل
والملتوى المتوعر الذي لا يهتدى في مسالكه
ولا تبلغ فيه الغاية المبتغاة ، وكتاب الهداية
والهدى غير ذلك، بل عكس ذلك بالضرورة،
فهو قيم مستقيم ، واضح بين مبين
(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

— ٥ —

وثمة قضية يجدر بالباحث في هذه
الأمر أن يقف عليها موقف التأمل المتدبر،
تلك مقالة ذلك العالم اللغوي التي أرسلها فسارت
بها الركبان، ودارت على الألسن واستقرت

(٣) فصلت ٤٢

(٢) النحل ١٠٣

(١) الشعراء ١٩٣ - ١٩٥

العزير بها من عند الله، لغة العقيدة والشريعة والحياة الجديدة ، وترجماناً بين أمم الأرض التي ارتضت الإسلام ديناً ، وناهيك بنزول القرآن بها وما تبعه من انتشارها في آفاق الأرض ما جعلها لساناً عالمياً شارك في صقل حواشيه وخدمة ألفاظه ومعانيه أقوام من أمم شتى يتلى بينها كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويروى حديث النبي -صلى الله وسلامه عليه- وما أثر عن خلفائه وأصحابه .

هكذا استصفيت العربية واصطفيت لها لهجة قريش لغة مصفاة في الألفاظ وفي التركيب وفي طرائق النطق وأساليب التعبير ، وبلغت بالقرآن الكريم ذروة ما يمكن أن تبلغه لغة حضارة وعلم وأدب . وحسب من يتطلع إلى أسامي صورها في اللفظ المفرد وفي الكلام المركب أن يتخذ في تلاوة القرآن ودراسته وتذوق جمال التعبير وأفانينه، قدوة يهتدى بها ويقتبس منها ويستوحىها في فنون القول دقة وجمالاً وإصابة .

وبعد ، فإن اللغة المصفاة -وهي وسيلة التواصل الفكري والشعوري- لا بد لها أن تتوفر على أمرين مهمين :

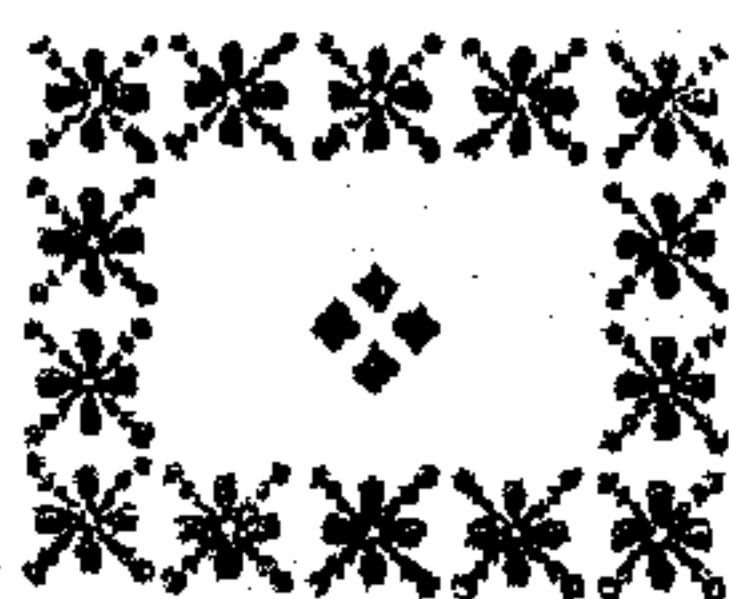
الأمر الأول: أن تلتزم القياس الصحيح بشرائطه المستقرة المعتمدة ، وتجري على سنن ما أثر من كلام الأقدمين .

وفوق هذا وذلك فإن اللغة المصفاة ذوقاً قد يقبل القياس وقد لا يقبله ، ويرتضي المسموع من ألفاظ وأساليب ويحتويه ويتبع سبيله ، أو يرفض ذلك ويأباه ، ويستبعده ولا يرضاه . وهذا مما يعرف أحياناً بالחס اللغوي ، وهو ميدان فسيح تجرى فيه الطباع السليمة بما وهبت من قدرة على الإبداع وبما استوعبت من بديع المأثور نظمه والمنثور .

والأمر الثاني : أن يكون الوضوح واليسر والإصابة والدقة عنوان مزاياها وغرة خصائصها فهي لغة أدب رفيع ، وهي أيضاً لغة علم متقن دقيق . وألفاظ العلم وأساليبه أحوج ما تكون إلى الدقة والوضوح . فهي محتاجة إلى ذلك بحكم طبيعة العلم الذي تصاغ بها أفكاره وحقائقه، وهي أيضاً محتاجة إليه؛ لأنها لا بد أن تكون لغة الثقافة العامة ، وهي اليوم فرض واجب على أهل العلم أن يبسروه للجمهور ، يأخذ منه ما يتبلغ به في حياته العامة وحياته العقلية .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أحمد عبد الستار الجوارى
عضو المجمع المراسل من العراق



في رحاب مجمع الخالدین

دُرُوسٌ مَحْمُودَةٌ لِمَجْمَعِ الْأُمَمِ

(١)

- ١ - أَلْقَتُ ، وَهِيَ دُرَّةُ الْأَوْطَانِ
- ٢ - شَهِدَ اللَّهُ . . . لَمْ تَغِبْ عَنْ ضَمِيرِي
- ٣ - مَضْرُوعٌ مَعْنَى الْأَحْرَارِ . مَلَقَى الْبَهَائِلِي
- ٤ - عَشْتُ مِنْهَا رِيَانٌ ظَمَانٌ ، فَاغْجَبْ
- ٥ - عَادَةُ الشُّوقِ أَنْ يَفْقِضَ عَلَى الْبُعْدِ
- ٦ - نِيلُهَا الْعَذْبُ ، كَلَّمَا ذُقْتُ مِنْهُ
- ٧ - كَوَثَرِي ، مَزَاجُهُ الشُّهُدُ وَالطَّيْبُ
- ٨ - وَهَوَاهَا مَسْرَاهُ فِي الرُّوحِ مَسْرَى النَّدَى
- ٩ - أَيُّ رَوْعَاءِ ! لَا تَرَى الْعَيْنُ مِنْهَا
- ١٠ - مَا سَلَوْنَا . . . سَلُوا الْقُلُوبَ الْحَوَائِي
- ١١ - مَا سَلَوْنَا ، وَلَا جَفَوْنَا . . . وَلَكِنْ

(*) أُلْقِيَتْ فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِعَةِ مِنْ مَوْثِقِ الْمَجْمَعِ فِي دَوْرَتِهِ التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (الثَّلَاثَاءِ ١٦ مِنْ جِهَادِي الْأُولَى سَنَةِ

١٤٠٣ هـ الْمَوْافِقِ أَوَّلِ شَهْرِ مَارِسِ سَنَةِ ١٩٨٣ م) .

(٢) النَّأْيُ : الْبَعْدُ .

(١) الْجِنَانُ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ : الْقَلْبُ .

(٣) الْمَغْنَى : الْمَنْزِلُ عَلَى بَيْتِ أَهْلِهِ ، أَيْ أَقَامُوا فِيهِ .

الْبَهَائِلِي : السَّادَةُ الْجَامِعُونَ لِعَصْفَاتِ الْخَيْرِ ، الْوَاحِدُ بَهَائِلُ .

(٦) زَهَانِي : اسْتَخْفَى لِلْعُودَةِ إِلَيْهِ .

(٥) الْإِلْتِيَاعُ : الْحَرْقَةُ .

(٨) هَوَاهَا : حُبُّهَا .

(٧) اللَّهَابَةُ : الْعَطَشُ . هَانِي : هَانِي ، سَهَلَتْ هَمْزَتَهُ .

(٩) الرَّوْعَاءُ : الْجَمِيلَةُ الَّتِي يَرُوْعُكَ حَسَنُهَا وَيَعْجَبُكَ .

- ١٢ - عاصِفٌ هاجَ ، لا الزَّمانُ مُواتٌ لانطلاقِ ، ولا لِدَفْعِ يدانِ
 ١٣ - وجوارٍ من النُّحوسِ ، توالتْ عابساتُ ، قَعَدَنَ بي في مكاني
 ١٤ - وفُؤادِي ، وَهُوَ الفُؤادُ المَعْنَى وصفائِي في صَبَوَتِي ، شاهدانِ
 ١٥ - أَحْمَدُ اللهُ أَنْ أَعانَ على الوصِ لِي ، وأذكى عزمِي ، وأمهي سناني
 ١٦ - فَسَما بي في الجَوِّ نَسْرٌ ، حشاهُ يصطلي من ضرائمِ النيرانِ
 ١٧ - ما بِهِ ، دونَ ما بقلبي من النَّـا رِ ، إلى أهلها وطيبِ المغاني
 ١٨ - أَيُّ يَومٍ من الهِناءِ زاهٍ طاف بي في شبابه الغيساني !
 ١٩ - إن أحلى اللذاتِ بَعَدَ التَّنائِي التَّقاهُ الخُلالانِ بالخُلالانِ

* * *

- ٢٠ - ما ببغدادَ في هوى مِصرَ إلا لَهفاتُ الأشواقِ والهيمانِ
 ٢١ - ليس مَذقًا يُشابُ في عَسَلِ القَوِّ لِي رِباءٌ ، ولا نفاقِ لِسانِ
 ٢٢ - إِنَّهُ الصِّدقُ والودادُ المِزكي كَلِبانِ المُستَرَضعاتِ الحواني
 ٢٣ - نَحنُ في الحُبِّ ، ما اصطنعنا دَعَاوِي من خلابِ الألفاظِ والألحانِ
 ٢٤ - شَرَفَ الصِّدقُ أَنْ يَمِينَ فيشتمَقِي - في يمينِ كذابة - بهوانِ
 ٢٥ - تَأَنَّفُ الأَنفُسُ الكِيارُ من الزَّيِّ فِ ، ومن زُلفَةٍ ، ومن إذهانِ
 ٢٦ - نَحنُ باللهِ أُمَّةٌ ، شابَكْتِها واشجاتُ الأرحامِ ، لا أُمَّتانِ
 ٢٧ - إخوةٌ ، لا بنو ضرائرٍ أحياءِ فُ ، ولكن صيدُ بنو أعيانِ

(١٥) أذكى : أوقد . - أمهي : رقق وأحد . - السنان : فصل الرمح .

(١٨) الغيساني : الجميل . (١٩) الخلالان : الأصدقاء الخالصون ، الواحد خليل .

(٢١) مذاق الود : خلطه ولم يخلصه . يشاب : يخلط ويمزج بغيره .

(٢٢) اللبان : لبن الأم . (٢٤) يمين : يكذب .

(٢٥) الادهان : المصانعة . (٢٦) الواشجة : الرحم المشبكة المتصلة .

(٢٧) بنو أخفاف : أمهم واحدة وآباؤهم شتى ، وبنو أعيان : إخوة أشقاء .

- ٢٨ - مُلْكُنَا مُلْكُ عِزَّةٍ وَجَلَالٍ
 ٢٩ - هَيْكَلٌ وَاحِدٌ ، تَوْشَّجَ أَعْضَا
 ٣٠ - يَلْفُظُ الطَّارِئِينَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ

(٢)

- ٣١ - يَا مَعَانَ الْفُضْحَى ، وَأَنْتِ الْمُرْجَى ،
 ٣٢ - عَبَثَ الْعَابِثُونَ فِيهَا ، وَعَاثُوا
 ٣٣ - لَا أُصُولًا أَبْقَوْا لَهَا سَالِمَاتٍ
 ٣٤ - زَعَمُوهُ «الِإِصْلَاحَ» .. يَا كَذِبَ مَا قَدِ
 ٣٥ - أَيْنَ «نَيْسَانُ» ؟ هَلْ تَكْذِبُ إِنْسَانًا ؟
 ٣٦ - أَيْنَ فِيهَا الْفَسَادُ يُصْلِحُهُ الْأَعْمَى

* * *

- ٣٧ - لَغَةٌ . . مَدَّتِ الظَّلَالَ عَلَى الْأَرْضِ
 ٣٨ - وَسَعَتْهَا أَدَقُّ مَا يِعْمُقُ الْفِكَرَ
 ٣٩ - وَأَفَاضَتْ عَلَى اللَّغَى زَائِنَاتٍ
 ٤٠ - رَائِعَاتِ الْوُجُوهِ مُزْدَهَرَاتٍ
 ٤١ - مِنْ غَوَالِي «التَّنْزِيلِ» مُسْتَكْرَمَاتٍ
 ٤٢ - مِنْ فَوَاحِي «الْحَدِيثِ» مِنْ نَسَمِ الْوَحْدِ

(٢٩) وطيد : رأس ثابت . الكيان : مصدر « كان » ، شاع استعماله حديثاً اسماً لوجود الشيء من الملك ونحوه .

(٣١) المعان ، بفتح الميم : المنزل . (٣٤) الشنان : القرب الخلقان من الجلود .

(٣٦) الأغفال : جمع الغفل - بضم فسكون - ومن معانيه الرجل الذي لم تسمه التجارب .

المفحم : العاجز أمام الحججة - الهدان : الأحق . (٣٧) أوعت : وعت وحفظت .

(٣٨) كيوان ، بكسر الكاف : كوكب زحل . (٣٩) اللغى : اللغات

(٤٢) الفواغى : جمع الفاغية ، وهي الرائحة الطيبة - النسَم : نفس الروح .

- ٤٣ - من سُذُورِ الفصاحِ صَوَّغِ الأوالى
٤٤ - أَلَقْتُ ، وَالسَّنا لَهَا سَرْمَدِي .
٤٥ - وَحَلَّتْ فِي اللِّهَاءِ أَطْيِبَ مَا لَ
٤٦ - كَلَّمَا طَالَ فِي العصورِ مَدَاهَا
٤٧ - إِنْ سَلَسَلَهَا عَلَى الدَّهْرِ زَاكِ
٤٨ - ثَرَّةُ الفَيْضِ . هل رَأَيْتَ عُبَابَ « الذِّ
٤٩ - فِي غِنَاهَا ، عن اقْتِرَاضِ تَعْنِ
٥٠ - مَاوَهَا فِي حروفها يَتَنَزَّى
٥١ - هِيَ أُخْتُ الحَرِيرِ حِينًا ، وَحِينًا
٥٢ - وَهِيَ النَّارُ إِنْ أَرَدْتَ ، أَوْ الإِءِ
٥٣ - كَيْفَمَا شَاءَتِ النُّفُوسُ اسْتِجَابَتِ
٥٤ - سَحَرُ إِيقَاعِهَا وَجَرَسُ صَمَدَاهَا
٥٥ - أَتَرَى كَيْفَ شَاقَتِ الخَلْقَ حُبًّا
٥٦ - وَصَبَّوْا ، عن لُغَاتِهِمْ زَمْزَمَاتِ
٥٧ - عَطَفُوا نَحْوَهَا العُيُونَ الرِّوَانِي
- أَمْرَاءِ البِيانِ مِنْ « عَدْنَانِ »
أَتَرَى كَيْفَ يَأْلُقُ القَمَرَانِ ؟
ذُو وَأَحْلَى مَا تَطْعَمُ الشَّفْتَانِ
عَظُمَتْ قُوَّةٌ عَلَى الرَّدِيانِ ؟
فَائِرُ الدَّفْقِ ، دَائِمُ الجَرِيانِ
يَلِ « إِبَّانِ سُوْرَةِ الفَيْضَانِ ؟
كَيْفَ يَدَّانُ ذُو الغِنَى مِنْ مُدَانِ ؟
وَلِهَا فَضْلُ شِدَّةٍ وَلِيَّانِ
هِيَ أُخْتُ الحَديدِ وَالصُّوَانِ
صَارَ ، أَوْ فَيُّ نَاضِرِ فَيْنَانِ
فَهِيَ طَوْعُ الأَفْكارِ والأَذْهَانِ
بَاعِنًا طَرِبَةً وَزَهْوِ افْتِئَانِ
فَتَبَارَوْا فِي وَعْيِهَا وَالصُّبِيانِ ؟
لَا صَمَدِي أَناسِ وَلَا رِكَزْجَانِ
وَأَرَوْهَا عَوَاطِفَ الأَخْدَانِ

* * *

- (٤٣) الشذور : قطع الذهب تلتقط من معدنه . - الأوالى : الأوائل .
(٤٤) سرمدي : منسوب إلى السرمد ، وهو الدائم الذي لا ينقطع .
(٤٦) الرديان : مصدر : ردى الفرس يردى ردياً و رديانا : رجم الأرض بجوافره في سيره وعدوه .
(٤٩) التغنى : الإغناء . - يدان ، بنشيد الدال : يستدين . - مدان : عليه دين .
(٥٠) يتنزي : يتوثب - اللبان : السهولة والانتقياد .
(٥٢) فينان : شجر فينان ، طويل حسن .
(٥٦) الرکز : الصوت الخفى . - صبوا : مالوا .
(٥٧) الروانى : المديمت النظر فى سكون الطرف . - الأخدان : الأصدقاء ، الواحد خدن - بكسر فسكون .

- ٥٨ - بَلَغَ الهائِمُونَ منها مكانَ النَّجْمِ ، واستمجدوا على الأَزمانِ
٥٩ - سارَ شَوْطًا « بِنَحْوِها » (سيبويه)
٦٠ - وتَحَدَّى (الزَّمخَشَرِيُّ) عداها
٦١ - وآتى من « سحرِ البلاغة » (قابو)
٦٢ - و (بديعُ الزَّمانِ) أنشأ « المَقاماتِ »
٦٣ - وعلى ألف ألف فَدٌّ هُمَامِ
٦٤ - قد جَلَّوْها عرائسًا فاتنات
٦٥ - أينَ منى عَدُّ النُّجُومِ ؟ فحَسْبِي
٦٦ - عبقريون . . للعرُوبة دانوا
٦٧ - وثَقُّوا العهدَ بالفصاحةِ إخلا
٦٨ - واكْبُوها في كُلِّ معنى ومغزى ومرامٍ على سِواءِ العِنانِ
وتناغى بها (أبو الرِّيحانِ)
س (بأزهي قلائد العقبانِ
ت . . سلامٌ على (بديعُ الزَّمانِ)
ثاقبِ الفكرِ أَلْمَعى هجنانِ
يتخاضِ يَدُنْ في الحَيرِ اليماني
وكفى مَنْ أَغْلِيَتْ من أعيان
وتساموا بدينها والبيان
صا ، وصانوا فيها جلالَ الشانِ
ومرامٍ على سِواءِ العِنانِ

(٥٨) استمجدوا : صاروا ماجدين .

(٥٩) سيبويه : لقب عمرو بن عثمان بن قنبر الخارفي بالولاء ، فارسي الأصل ، لزم الخليل بن أحمد ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيبويه » في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، توفي سنة ١٨٠ هـ . - الجرجاني : عبد القادر ابن عبد الرحمن من أهل جرجان - بين طبرستان وخراسان ، مؤلف « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » ، وهما أرقى ما كتب في موضوعيهما . توفي سنة ٥٤٧ هـ .

(٦٠) الزمخشري ، محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، مؤلف الكشاف في التفسير ، وأساس البلاغة ، والمفصل ، والفائق في تفسير غريب الحديث ، والمقامات ، وغيرها . توفي سنة ٥٣٨ هـ . أبو الريحان : محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ، الفيلسوف الرياضي المؤرخ المصنف المتقن المبدع ، توفي سنة ٤٤٠ هـ .
(٦١) قابوس بن وشمكير : أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان ، ديلمى مستعرب ، نابغة في الإنشاء العربي ، له كتاب « كمال البلاغة - ط » فيه مجموع رسائله ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(٦٢) بديع الزمان : أحمد بن الحسين الهمداني أبو الفضل ، أحد أئمة الكتاب المبدعين ، صاحب « المقامات » الشهيرة التي أخذ الحريري أسلوبه فيها ، وله « الرسائل » و « ديوان شعر » مات مسموماً سنة ٣٩٨ هـ .
(٦٣) الألعى : الداهي الذي يتظن الأمور فلا يخطئ - هجنان : كريم الحسب نقيه .

(٦٤) الحبير : الثوب الناعم الموشى .

(٦٨) سواء العنان : مستقيم الجرى ، يقال : جرى الفرس عنانا ، إذا جرى شوطاً .

٦٩ - كُذِّمُوا وَاصْلُوا بِهَا السَّيْرَ جَدَّتْ
وَاسْتَدْرَتْ رَغِيْبَةَ الْأَشْطَانِ
٧٠ - سَهْلَةٌ .. لَا يُحْسِنُ رَهْوُ خُطَايَا
وَهِيَ تَجْرِي إِلَى مَسَدِي غَيْرِ دَانِي
٧١ - فِي شَبَابٍ عَلَى الزَّمَانِ غَرِيضٍ
زَاهِرِ اللَّوْنِ ، نَاضِرٍ ، فَتَّانِ

* * *

٧٢ - يَا مَلَاذَ الْفُضْحَى ! وَكَمْ فِيكَ أَمَّا
لُ مَصَابِيحُ مِنْ ذَوَى الْإِحْسَانِ !
٧٣ - يَغْرِيْبُونَ ذَاذَةً حُفْظَاءُ
لِحَقُوقِ الْأَوْطَانِ وَالْإِخْوَانِ
٧٤ - أَنْزَلُوا الْعِلْمَ مِنْ مَنَاطِ الثُّرَيَّا
فَتَعَالَوْا فِي كِفَّةِ الْمِيْزَانِ !
٧٥ - لَهُمُ السَّبْقُ فِي الْفَصَاحَةِ ، وَالْحِذْ
قُ . . فِكْمُ أَفْوَهٍ ، وَكَمْ سَحْبَانِ !
٧٦ - وَحِفَاظِ الْحُمَاةِ يَغْلِي صِلَاةً
وَغَوَارُ الْأَحَامِسِ الشُّجْعَانِ

* * *

٧٧ - أَيْنَ مَنِيٌّ لَدَى نَوَاحِيكَ بِالْأَمِّ
سِ وَجُوهُ الْأَمْثَلِ الْغُرَانِ ؟
٧٨ - أَشْرَقُوا فِيكَ ، بِالْفَقَاهَةِ وَالْعِ
سَلْمِ ، نُجُومًا ثَوَاقِبَ اللَّمَعَانِ
٧٩ - أَجَلُّوا اللَّيْلَ ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْغِيِّ
بِ كِرَامًا فِي جَنَّةِ الْغُفْرَانِ
٨٠ - مُسْتَشْيِبِينَ فِي مَقَاعِدِ صَدَقِ
لُطْفِ رَبِّ مُكْرَمٍ مَنَّانِ
٨١ - وَأَعَاشُوا طُيُوفَهُمْ فِي الْمَخِيْلَا
تِ ، وَذَكَرَاهُمْ لَدَى الْخُلُصَانِ
٨٢ - وَفَنُونًا يَخْلُدْنَ فِي خَلْدِ الدُّه
رِ رَطَابِ الْأَنْوَارِ وَالْأَفْنَانِ

(٦٩) استدرت : عدت عدوا سهلا متتابعا . - رغبة الأبطال : وسيرة الخطا ، وأصل الأبطال الحبال ، وتستعار لامتداد الشيء وطوله .

(٧٠) الرهو : الواسع . (٧١) غريضة : طرى .

(٧٥) الأفوه الأودي : هو الشاعر الحكيم القائل : « لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم » . وسحبان وائل : من باهلة خطيب يضرب به المثل في البيان ، كان إذا خطب يسيل عرقا ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ .

(٧٦) الغوار : الإغارة . - الأحامس : الأشداء .

(٧٧) الغران : البيض الأشراف . (٨١) الخلصان : الأصدقاء الخالصون .

(٨٢) الأنوار : الأزهار البيض ، واحدها نور ، بفتح فسكون . - الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن .

- ٨٣ - تتواری الأشباح ، أما المعاني
 ٨٤ - نل من المملك . . ليس ملكك إلا
 ٨٥ - قبضك الريح وامتلاكك ملكا
 ٨٦ - أنا أبكى أيامي البيض مرت
 ٨٧ - نجيبا ، أمائل وميامي
 ٨٨ - عوض الله لي وجوة كرام
 ٨٩ - وأرى في بيانهم لمحة الفصح
 ٩٠ - نغم هدى الأخلاف في منزل الفضة
 فبواد ، وليس منهم فاني
 ما تعاطيت من فعال حسان
 دون ملك الفعال ، مستويان !
 معهم مثل ضاحك الأقحوان
 ن وإخوان صحبة وأمان
 قد أرى فيهم شهاب الأوان
 في التاعا في زاهر العنقوان
 ل ، ونعمت خلافة الأقران

(٣)

- ٩١ - أنجبت مصر بالنوابغ . . قوما
 ٩٢ - مجدنا الزاهر الضحى من قديم
 ٩٣ - نحن في مطمح الحياة سواء
 ٩٤ - والذرا الشم عند مخضرة الأر
 ٩٥ - هن مرقى طماحنا والمساعي
 ٩٦ - كل بديل في الله يبذل للأو
 ٩٧ - البنون الأكباد ، والمال ، والمل
 ٩٨ - وإذا عز بالسياسة نيل ،
 بعد قوم ، وبانيا إثر بانى
 أزلى إلى أبيد الزمان
 ويد في يد على الخدثان
 ض ، وعز القطين والسلطان ا
 وعليها معاقد الأجفان
 طان ، حق على بنى الأوطان
 ك ، وغالى الأرواح والأبدان
 أدركته أسنة المران

* * *

- ٩٩ - أمتى ، والردي تغشاك عدوا
 ١٠٠ - عنف الغزو واستشاطا جنونا
 ورسا فيك ضاربا بجران
 واغتلى الحقد والزخوف دوانى

(٨٥) الفعال ، بفتح الفاء : العمل الحميد .

(٨٦) الأقحوان : البابونج الأبيض ، من أزهار الربيع .

(٨٩) عنقوان الشى : أوله ، وهو في عنقوان شبابه : أى في نشاطه وحدته .

(٩٤) قطين الوطن : أهله . (٩٨) المران : الرماح الصلبة اللدنة ، يرمز بها إلى القوة ، وليست مرادة لذاتها .

(٩٩) ضرب بجرانه : استقر في قراره .

- ١٥١- من يمين ومن شمال وفي القل
 ١٥٢- ومن البحرِ قاذفاتُ جحيمٍ
 ١٥٣- أوغُلُوا في البلادِ حَرْقًا وهَدْمًا
 ١٥٤- وُصِفَ الوَحْشُ . قلتُ : لا تظلموه ،
 ١٥٥- يَأْتِفُ الوَحْشُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِمْ
 ١٥٦- يَبْطِشُ الوَحْشُ إِذْ يَجُوعُ ، وَيَلْدُوِي

- بِ عَوَانٍ تُهَاجُ إِثْرَ عَوَانٍ
 ومن العجوة راجماتُ مبانِي
 وأحَالُوا نَضَارَةَ العُمَرَانِ
 فيه شيءٌ من عَفَّةٍ وَحَنَانٍ !
 قومٌ سَوُّوا صَيغُوا من الأَضْغَانِ
 ما به قَيْحٌ دَمْنَةٌ واضْطَغَانِ !

* * *

- ١٥٧- قد عرتكِ الأهوالُ من كلِّ فِجٍ
 ١٥٨- تتحدَّكِ أُمَّةٌ ووجُودًا
 ١٥٩- اللسانُ المُبِينُ ، والعِلْمُ ، والنَّا
 ١١٠- عُدَّةُ النَّصْرِ آلةُ القَدْعِ والقَهْرِ
 ١١١- ليسَ بَدءُ العُدْوَانِ دينُ الأَعَارِي
 ١١٢- عَيْبُنَا الحِلْمُ حينَ نَمْلِكُ ، والإِسْـ
 ١١٣- ولسانُ التَّارِيخِ يَشْهَدُ بالعَدْوِ
 ١١٤- كَتَّبِينِي - إِنْ اسْتَطَعْتَ - بنقلِ
 ١١٥- إِنْ هَذَا القُرْآنَ مَرَاةً مَحْيَا
 ١١٦- فسَلَامًا على العليِّ ، وقيامًا

- ناهشَاتِ دَوَائِي الأَسْنَانِ
 ودياراً ، فَأَيُّ ذَهْرٍ امْتَحَانِ ؟ !
 رُ ، وَشَدُّ الأَيْمَانِ بِالأَيْمَانِ
 رِ ، صَمَّانُ الأَمَانِ والإِيمَانِ
 بِ ، على أَنَّهُمْ لِيُوثُ طِعَانِ !
 سَجَاحُ عَنِ قَدْرَةٍ وَعَنِ إِمْكَانِ
 لِ ، وَأَكْبَرُ بَعْدَلِهِ مِنْ لِسَانِ !
 صَادِقِي ، يَا حَوَادِثَ الأَكْوَانِ
 نَا ، وَمَجْلَى الجَلالِ والرُّجْحَانِ
 بِالتَّحَايَا لِأُمَّةِ القُرْآنِ !

محمد بهجة الأثرى

عضو المجمع من العراق

- (١٥١) حرب عوان : قوتل فيها مرة بعد أخرى .
 (١٥٥) قوم سوء ، بالإضافة : يعملون عمل سوء ، بفتح السين ، مصدر : ساءه يسوره سوءا ، ويقال في القبح . -
 الأضغان : الأحقاد الشديدة .
 (١٥٦) الدمنة : الحقد المدمن للصدر ، ولا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدهر وقد دمن عليه .
 - الاضطغان : الانطواء على الأحقاد .
 (١٥٧) الفج : الطريق الواسع .
 (١١٢) الإسجاج : التسهيل والرفق ، ومن الأقوال العربية المأثورة : « ملكت فاسجج » أي أحسن المغفور تكريم .

الصحافة وتجديد اللغة

د. سنان عبد الله كنون

وقر

في أذهان الناس أن لغة الصحافة لغة ضعيفة ،

وأنه لا ينبغي لمن يجب أن يكون كلامه في المستوى المطلوب من الفصاحة العربية أن يتأثر أسلوب الصحفيين ، وإلا أصبح هدفا للنقد بأن كتابته من نمط ما يكتب في الصحف . ومنذ أن كتب الشيخ إبراهيم اليازجي مقالاته المعنونة بلغة الجرائد والناس يعتقدون أن كتاب الصحف من أردأ الناس لغة ، وأن على الأديب إذا أراد أن يبرز بين الكتاب ، مجانب ما يتردد في كتابات الصحفيين من ألفاظ وجمل ، تخل بجمال الأسلوب وفصاحة الדיباجة . وتابع اليازجي غيره ممن انتقدوا لغة الصحافة ، وزاد اعتقاد الناس بأن هذه اللغة تسفل إلى حد أنه يجب الحذر منها . وكان علينا أن نعتبر هذا النقد ظاهرة صحية ، وأنه تقويم لبعض ما يلتوى في أيدي بعض الصحفيين من أساليب وكلمات يجب أن ترد إلى الصواب ولا زائد ، وأن غالب الكتابة الصحفية لا بأس بها ، بل إنها مثال لتجديد اللغة والتوسع في دلالاتها وفتح آفاق

التعبير عما يجول في ذهن الكاتب من معان وأفكار ، وما يقع تحت بصره من مشاهد وأحداث . كيف ونحن نرى أن الصحافة المعتمد بها والتي يقرأها الجمهور الغفير من الناس ، لم تنزل تخضع في تحريرها لرئاسة بلغاء الكتاب وكبار الأدباء ، كأحمد لطفى السيد ، وعلى يوسف ، ومحمد حسين هيكل ، وأمين الرافعي ، وداود بركات ومحمد عبده ورشيد رضا ، وأحمد حسن الزيات ، ومحب الدين الخطيب ، والبشير الإبراهيمي وغيرهم من كبار الكتاب الذين لا يرقى الشك إلى ثقافتهم اللغوية ، فضلا عن يشارك في تحريرها والكتابة لها من أساتذة الأدب وعباقره المفكرين ، كطه حسين ، وعباس العقاد ، وأحمد أمين ، وزكي مبارك ، والمنفلوطي ، والبشرى ، والمازني ، والعريان ، وشكيب أرسلان ، وصادق الرافعي ، وسواهم .

وإذا كان من الخائر أن يقع في كلام أحد هؤلاء الأساطين ، أو من دونهم رتبة من محرري الصحف ، بعض الألفاظ أو العبارات الضعيفة ، فذلك هو ما يتوجه له النقد ويستوجب التصحيح ، على ما جاء

(*) ألقى البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م) .

في مقالات اليازجي وغيره ممن تصدوا
لهذا الباب من الكتابة اللغوية •

ولم يفتأ اللغويون وعلماء العربية يتبعون
ما يقع في كلام الناس - والناس هنا تعنى
الخواص - من اللحن والخطأ اللغوي ،
وينبهون على صوابه وتصحيحه ، ولم يقل
أحد أن ذلك موجب لتجنب التأثير بأسلوب
هذا الكاتب أو ذلك ، بله الحكم عليه
بضعف اللغة ورداءة الكتابة لخطئه في
لفظة أو لحنه في عبارة. ومن أول من نذكرهم
من المؤلفين في هذا الباب أبو القاسم
الحريري ، وكتابه « درة الخواص في أوام
الخواص » أشهر من أن يعرف به .

ومن المفارقات الغريبة أن الحريري ، الذي
تبع أوام الخواص ، لم يسلم ممن يتبع
أوامه في مقاماته التي تأتي في الطليعة من
الأعمال الإبداعية في أدبنا العربي وهو ابن
الخشب ، وإن انتصر له بعد ذلك ابن برى
على ما هو معروف .

ونتيجة هذه المفارقة أن الكلام ، منذ
تفتقت به الألسنة ، لم يزل يتعثر عليها فينحرف
عن مخرجه الصحيح أحيانا وينعكس ذلك
على رؤوس الأقلام فتسجل الخطأ من
حيث لا يشعر الكاتب وحينئذ يأتي المصحح
فيؤدى مهمته على الوجه المطلوب •

فالصواب هو الأصل والخطأ طارئ ،
وليس في أي إنتاج صحفي أو غيره ما يعكس

القضية ، حتى يجعلنا ننبه على تجنبه جملة
ونحذر منه كله ، فإن أفعال العقلاء تنزه
عن العبث ، والموضوع بحاله وهو لغة
الصحافة وكتابة الصحفيين ، فلنبق مرتبطين
به وفي دائرته الخاصة .

ولاني أعتقد أن أكبر تطور عرفته لغتنا
العربية في عصرنا الحاضر ، كان على يد
الصحفيين ومحرري الصحف ، فإن هذه
الطبقة من حملة الأقلام تواجه عملا راتبا
يتطلب منها إنتاجا يوميا متنوعا يملأ أنهر
الصحيفة على اختلاف صفحاتها من إخبارية
وسياسية وأدبية واجتماعية واقتصادية وغيرها ،
ومن ورائها آلة الطباعة التي لا ترحم وهي
كالغول لا يشبعها شيء ، فكلمها أطعمتها بما
تظن أن فيه الكفاية تقول هل من مزيد ،
وعمل من هذا القبيل ليس كعمل الجامعي
في تطلب المصطلح ولا كعمل الجمعي في
تخريج هذا المصطلح ، على روية في الأمر
وسعة من الوقت ، بل هو وحي اللحظة
وتفكير الآونة ، فإن أخطأ فله العذر ، وإن
أصاب فهو يستحق جزيل الشكر ، والواقع
أنه مصيب في غالب الأحيان ، وخطؤه
- إن كان - لانسبة بينه وبين صوابه الكثير
الغامر ، بدليل أنه لا يفطن له إلا الخبير
الماهر .

والميزة الكبرى لعمل الصحفيين ، في
تطوير لغتنا الضادية ، هي توسيع دائرة
دلالات الألفاظ وتحميلها من المعاني الجديدة

ما لم تكن تدل عليه من قبل ، بلا تكلف
ولا تحمل. فما يحق أن يطلق عليه تجديد بالمعنى
الوارد في الشرع للتجديد في الدين ،
فهو ليس نقض القواعد وهدم المعالم وإنكار
الشرائع وطمس الشعائر، بل المحافظة على
الأصول وتقديمها بما يجعلها تحيا بعد الدروس،
وتقبلها النفوس بتصديق وإيمان ، كذلك
التجديد في اللغة الذي نجده في عمل الصحافة
هو تطوير لها باحتضان ما جدد من المعاني
والأفكار من غير تبديل ولا تغيير في القواعد
والأحكام، فإننا نقرأ الصفحات المتوالية التي
تتطرق للموضوعات المختلفة، ونستفيد فائدة
جلى من قراءتنا، ولا نشعر بأى شيء من
الخروج عن المؤلف والمأنوس من الألفاظ
والتراكيب في معالجة الكاتب للموضوع
الذي قرأناه ، وتلك هي البراعة في الأداء
والمقدرة في التعبير التي أوجدتها الصحافة
ولغة الصحفيين .

ولنقارن هذا العمل العظيم، في عموم فائدته
وشمول معطيائه مع المحافظة التامة على القواعد
والأصول ببعض الأعمال المنسوبة للتجديد
والمرسومة بالإبداع في الميدان الأدبي وخاصة
منها ما يسمى بالشعر الحر، ولا سيما الرمزي
منه في مصطلح أصحابه ، إذ نرى الألفاظ
لا مدلول لها ، والمعاني دونها خرط القتاد ،
وأما الموسيقى الشعرية فعليها السلام ، ومع
ذلك فإن الدنيا قد صمت آذانها بالدعاية
حي تبث لهذا الشعر الحديد والعمل الإبداعي

الذي يتيه به قائلته ومن تبعهم من الهاوين ،
حتى صاروا يسمون الشعر العربي الأصيل
—إزراء عليه— بالشعر العمودي، ولا يهمننا
هنا في المقارنة إلا موضوع اللغة، فأى مكسب
استفادته العربية من هذا الإنتاج إلا تمزيق
شملها وتعمية معاني ألفاظها، وإبهام أغراضها،
وغموض ما كان واضحا من أساليبها ؟ . . .
إن العمل الصامت الخليل الذي قامت به
الصحافة العربية منذ إنشائها وتقوم به إلى
الآن في تجديد اللغة يزيد قيمة ويرتفع قدرا
بمقارنته بهذا العمل الأدبي المزعوم الذي
صحبتة هذه الضجة الدعائية ، ولم يكن له
من عطاء إلا الحلبه والضوضاء .

إن آلاف الألفاظ والتراكيب التي لانعرف
لها واضعا ولا صانعا والتي أصبحت من
صميم اللغة العربية وثروتها الواسعة التي
لا تعرف حدا ، هي من عمل رجال
الصحافة وابتكارهم ، إما بالترجمة من اللغات
الأجنبية، وإما باستعمال الحجاز والاستعارة ؛
توسعا في دلالات الكلمات، وإما بالوضع
الوحي الذي يجيء عفوا لحاظ ويكون مطابقا
للقواعد وأحكام اللغة من اشتقاق وتعريب
وغيرهما .

وإذا كانت الدعوى لاتصح إلا بالدليل،
فها أنا أعرض عليكم عشرات، بل مئات من
الألفاظ ذات الدلالة الحديدية التي لم تكن
لها من قبل ، وإنما استعملت فيها حديثا
على صفحات الجرائد ، وقد التقطتها من

من أحد المعاجم الفرنسية العربية ، وزدت عليها ما حضرني مما لم يذكره هذا المعجم ، وهو المسمى العضد اليمين للمحررين والمترجمين ، تأليف «ليون برشي» رئيس قسم الترجمة بتونس على عهد الحماية الفرنسية ، وهو مطبوع بالجزائر سنة ١٩٥٣ ، أي قبل ثلاثين سنة ، اعتمد فيه - كما قال - على الصحافة العربية ، مشرقية ، ومغربية ، لوقته. فكم حدث بعد ذلك من ألفاظ ؟ وقد راعيت في ذكر هذه الألفاظ والعبارات الترتيب المعجمي ، ولم أذكر منها إلا المستعمل المشترك بين الأقطار العربية والأكثر انتشارا من غيره ، وكذلك لم أذكر المصطلح العلمي ؛ لأن المؤلف ليس من أهله ، والمعجم أصلا غير موضوع له وها هي تلك الألفاظ :

علم الآثار ، أثرى أو عالم الآثار ، بعثة أثرية ، دار الآثار ، أدوات مكتبية ، أدوات الزينة ، مصدر مأذون ، الأوساط المأذونة ، مؤسسة ثقافية أو غيرها ، مؤسسات تأشير ، تأشيرة على جواز السفر ، إطار ، أطر بمعنى سلك الموظفين أو العمال ، عيد ألفي ، ذكرى ألفية ، وزارة ائتلافية ، استئناف القضايا ، محكمة الاستئناف ، مؤهل ، مؤهلات حرب أهلية ، آلة تصوير ، آلة كتابة أو كتابة .

بحث علمي أو أدبي ، قاضي البحث ، ملاححة بحرية ، وزير البحرية ، استبداد ، حكم استبدادي ، مستبد ، حكم ابتدائي ، محكمة ابتدائية ، مدرسة ابتدائية ، شهادة

ابتدائية ، مبادئ ، مبادئ القانون ، مبادرة ، بدل أتعاب ، بدل اشتراك ، مبررات ، برر العمل ، مبررات ، برقية ، أبرق ، مكتب البرق ، محكمة النقض والإبرام ، مباراة أدبية وغيرها ، وضعه على بساط البحث ، بصمة الأصابع ، بصمات ، بطاقة تعريف ، بطاقة بريد ، بطاقة زيارة ، بطولة رياضية وغيرها ، بعثة علمية أو عسكرية وغيرها ، بعد وأبعاد بالمعنى النسبي ، بلدية ، قرار بلدي ، بلاغ رسمي ، بلاغ حربي ، بيثة علمية أو حضارية ، بيان حقيقة .

متحف ، تحف فنية ، تيار كهربائي ، التيارات الفكرية والسياسية وغيرها ، ثقافة ، اللجنة الثقافية ، النخبة المثقفة ، ثلاجة ، مثلجات الثورة ، حركة ثورية ، ثوري ، ثائر ، الثورة الوطنية .

جبهة وطنية ، الجبايات ، نظام جبائي ، جدول أعمال ، بجرة قلم ، جريدة ، جرائد ، يرى بالعين المجردة ، منطقة مجردة من السلاح ، تجريدة عسكرية ، إجراءات إدارية أو قانونية ، مجرى الهواء ، مجلة ومجلات ، مجلس تأديبي ، مجلس النواب أو مجلس الأمة ، المجلس البلدي ، مجمع علمي أو لغوي ، مجامع ، بإجماع الأصوات ، جمعية رياضية وغيرها ، جمعية الأمم ، جامعة علمية ، جامعي ، المجتمع ، علم الاجتماع نظرة إجمالية ، جراحة التجميل ، الجماهير الشعبية .

التجنيد الإجبارى ، الخندى المجهول ،
الجنس ، علاقة جنسية ، الجنس اللطيف ،
ملاحة جوية ، الأرصاد الجوية ، النشرة
الجوية ، جواز السفر .

حبر على ورق ، احتج ، احتجاج بالمعنى
السياسى ، الحجر الصحى ، الحجر
الأساس ، الحجز على الأمتعة ، الحواجز
الحمركية ، الخط الحديدى ، الستار
الحديدى ، حادثة سير ، رئيس التحرير ،
محرف ، وحدة حرارية ، بالحرف الواحد ،
احتراف ، محترف (مقابل هاو) محروقات
سائلة أو جامدة ، محرك كهربائى ، حركة
فكرية ، نقطة حساسة ، حساسية ، محسوبة ،
فعله لحساب فلان أو على حسابه ، حصانة
سياسية أو نيابية ، محضر الجلسة ، محاضر ،
محاضرة ، القسم التحضيرى ، محطة وقود ،
محطة الإذاعة ، محطة السيارات ، الحفريات
الأثرية ، حفظ الصحة (علم) ، حافظة النقود ،
محافظة أوراق ، تحفظ أو فعله مع التحفظ ،
حافلة ركاب ، علم الحقوق ، كلية الحقوق ،
حقوقى ، قاضى التحقيق ، حقبة سياسية
حقبية يد ، محكمة مختلطة ، حكومى ، رئيس
الحكومة ، احتلال ، جيش الاحتلال ،
عهد الاحتلال ، تحليل طبي ، تحليل أدبى ،
الحوامض والحمضيات ، حملة عسكرية أو
صحافية أو انتخابية ، حماية أجنبية ، سلطات
الحماية ، محاماة ، محامى ، دول المحور ،
حوالة بريدية ، منطقة حياد ، دول عدم
الانحياز .

خبير ، وكالة إخبارية ، دائرة
الاستخبارات ، عمل تخريبى ، الخارج
(ماعد الوطن) وزارة الخارجية ، خريج
أو متخرج من إحدى الكليات ، اختزال
مختزل ، اختصاص ، الاختصاصات العلمية ،
تخصص علمى ، على طول الخط ، خطوط
المواصلات ، خطة عمل ، مخفر الشرطة ،
الخالدون (المجمعيون) الأخلاق (علم) شرطة
أخلاقية ، جمعية خيرية .

سياسة عدم التدخل ، وزارة الداخلية ،
حرب داخلية ، تدخل فى المناقشة ، التدخين ،
درجة علمية ، درجة الحرارة ، مدرجات
رياضية وجامعية ، مدرسة أدبية أو نقدية ،
رجال الدرك ، دركى ، الدستور ، دستورية
القوانين ، تدشين ، دعاية ، داعية ، مدع
عام ، مدفئة ، تدفئة عمومية ، الدفاع الوطنى ،
هيئة الدفاع (فى المحاكم) ، مدفعية ، سلاح
الدفاع ، مدمرة ، دورية عسكرية ، دورى
رياضى ، لعب دورا رئيسيا ، مدير ، إدارة ،
إدارى ، الدوائر المختصة ، مائدة مستديرة ،
ذخيرة حربية ، علم الادخار ، ذكرى
الأربعين ، مذكرة ، إذاعة ، مذيع ، مذيع .

رأس مالى ، رأس مالية ، رابطة قلمية
رابطة علمية ، التربية البدنية ، علم التربية ،
مرتب شهرى ، مراجع التحقيق والبحث ،
رخصة بمعنى العطلة ، رخصة بمعنى الترخيص
رد الفعل ، رداءة الطقس ، المرتزقة (جنود)
لرساليات تبشيرية ، مراسل صحفى ، رسم

توقفت الصحف عن الصدور، مصرف
(بنك) مصارف ، معاملة مصرفية
مصعد ، مصاعد ، ضرائب ، إضراب،
كرة المضرب ، ضغط الدم ، طبعة ،
طباعة ، مطبوعات .

طبقات الأرض (علم) ، حالة الطه اريئ
أطروحة ، مطعم ، مطاعم ، طاقم (أسنان
وغيرها) طائرة أو طائرة ، طيار ، مطار
طيران (شركة) مظلة شمس ، مظلة نزول،
المظليون (جنود)، مظاهرة، تظاهر ، ظاهرة
ظواهر ، عجلة سيارة ، عجلة نارية
معدات حربية وغيرها ، سنة إعدادية ، معدل
التنقيط ، معادلة ، عريضة ، عرض ،
معارضة ، معرض ، معروضات .

أحكام عرفية ، بطاقة تعريف ، وزارة
المعارف ، تعاضدية ، عضوفي جمعية
أعضاء ، اعتماد ، عميد ، عمدة ، الطبقة
العاملة ، قانون العمل ، عملية جراحية ، عمولة ،
عمالة عنصرية ، العناصر الأساسية (في أي
مركب) معهد ، معاهدة ، متعهد ، عهدة
عيادة طبية ، معبد ، عيار ناري ، أحييل على
المعاش ، الغازات السامة ، الغازات الحارقة ،
الغازات المسيلة للدموع ، مواد غذائية ،
تغذية ناقصة ، التغريب ، الغرفة التجارية
أو الفلاحية ، غرامة ، أغلبية نسبية أو مطلقة ،
غارة جوية ، غواص ، غواصة ، قانون
الغاب ، قطع غيار .

بمعنى ضريبة رسوم ، فن الرسم ، المراسم
الملكية أو الرئاسية ، أمر رسمي ، بنادق
رشاشة ، ترشيح لجائزة أو لانتخاب ، مرشح ،
الرصيف بمعنى الميناء ، الرصيف بمعنى
الزميل ، المرطبات ، آلة رافعة ، المرافعات
(في المحاكم) ، مركب رياضي ، مركبة ،
مركزية ولا مركزية ، مشروبات روحية ،
رياضة بدنية ، رياض الأطفال ، زائدة
دودية ، مزاد علني ، سابقة ، سوابق
أسبقية ، مسابقة ، إدارة التسجيل ، رسالة
مسجلة ، سجل ذهبي ، سحب القرعة ،
سحب كلمته ، سحب مبلغا ماليا من المصرف ،
أغلبية ساحقة ، سدّد دَيْنه ، تسديد الاشتراك ،
المسدس ، سر المهنة ، الأمراض السرية
إسعاف ، مستعجل ، سيارة إسعاف ،
إسعاف شتوي ، ساعي البريد ، سلة
المهملات ، سلم الوظيفة ، سماعة التلفون ،
السوق السوداء سوق خيرية ، مستوى أدبي أو
معيشي ، سيارة ، صحف سيارة .

الشئون الثقافية ، شنود جنسي ، تصرفات
شاذة ، مشروع تجاري وغيره ، مشاريع ،
سلطة تشريعية ، رجل الشارع ، المشروعية
مركب شرعي ، التشريعات الملكية أو
الرئاسية ، الاشتراكية ، الأشغال العمومية ،
الأشغال الشاقة ، وزارة الصحة ، التدابير
الصحية ، مصحة ، صحافة ، صحيفة ،
صحفي ، الصادرات والواردات ، التصدير
والإيراد ، أصدر أمرا ، أصدر صحيفة

مقالة افتتاحية ، مدينة مفتوحة ، فترة
انتقال ، استفتاء شعبي ، مواد متفجرة
حكم فردي ، تفرغ ، مفترق الطرق ، فصل
السُّلْط ، الفنون الحميلة ، فوضوية ، وزير
مفوض ، المفوضية ، حنلة استقبال ،
قاعة الاستقبالات ، تقرير ، تقارير ، مقرر ،
الأدب المقارن ، القانون المقارن ، قاص ،
قصصي ، قصة أو أقصوصة ، المقصلة ، قاطرة ،
قطار ، مقطورات ، قطعة بحرية ، قطاعي ،
مقاطعة ، إقطاعية ، كلمات متقاطعة ،
مقتطع ، تقاعد ، أحيل على التقاعد ، مقعد
الحكم ، استقلال تام ، استقلال داخلي ،
مستقل (غير منتم) ، انقلاب ، قلب نظام
الحكم ، التقاليد ، تقليدي ، إقلاع (الطائرة
أو مركب بحري) قلم حبر ، قلم رصاص ،
قلم المطبوعات ، قمع المظاهرات ، قمع
الغش ، قانون المطبوعات ، المقومات العامة ،
الرقم القياسي ، الاكتفاء الذاتي ، كلية ،
كليات ، الكواليس ، الكماليات ، تكميلي .
ملحق أسبوعي (في الصحافة) ملحق
عسكري ، ملحق ثقافي ، ملحمة (في الشعر)
شعر ملحمي ، ملازم (عسكري) ، كاتب
ملتزم ، لسان حال ، ملعب (للكرة)
ملاعب ، لغم وألغام ، باخرة لرفع الألغام ،
ملف ، لفافة بريدية ، اللفيف الأجنبي ،
لفت نظر ، تلقيح (ضد مرض ما) ، ملقن
(في المسرح) ، مكمّن الملقن ، ألفت الباخرة
مرساتها ، ألقى خطابا ، ألقى عليه القبض ،
ألقى نظرة ، إلى الملتقى ، ملاكمة ، ملاكم ،

قدم ملتصقا ، ملتصقات ، لوحة فنية ، لألحة ،
لوائح ، نسبة مئوية ، ذكرى سنوية ، فن
التمثيل ، ممثل وممثلون ، تمثيل سياسي ،
مادة ومواد ، مادية ، مادي ، مواد أولية ،
بين المد والجزر ، مادة الخلاف ، المدنية ،
مسئولية مدنية ، تمرين ، نظام المرور ،
ممرض ، تمريض ، تمرين وتمرين ،
تمرينات عسكرية أو رياضية ، متمرن ،
ماسح أحذية ، مسك الدفاتر ، إمساكية
رمضان ، جيش المشاة ، مصبل وأمصال ،
إمضاء ، الممضي أسفله ، صاحب الإمضاء
مطاط ، مادة مطاطة ، إمكانات وإمكانيات
موالح (للحمضيات) ، ملاح وملاحون ،
ملاحة بحرية أو جوية ، الملكية (نظام) ،
الملكية الخاصة ، الملكية الفردية ، ملاك ،
منحة دراسية ، منح ، المهن الحرة ،
تعليم مهني ، تموين ، بطاقة تموين ، مياه
إقليمية ، ميدان العمل ، ميدان بمعنى الساحة ،
امتياز (الجريدة أو غيرها) ، صاحب الامتياز ،
عدد ممتاز ، إنتاج أدبي أو صناعي أو فلاحي ،
إنتاج وطني أو محلي ، انتخاب ، معركة
انتخابية ، منتخب ومنتخب ، منتخبات
أدبية ، انتداب ، مندوب سام ، مندوب
فوق العادة ، مندوب الجريدة ، نادي وأندية ،
نزع السلاح ، تنازع البقاء ، تنازل عن العرش
أو عن أي حق ، نزل ، أعضاء التناسل ،
أمراض تناسلية ، النشر والناشئة ، نشيد ،
أناشيد ، نشيد وطني ، نشر ، نشرة ، نشرة
أخبار منشورات ، ناشر ، دار نشر ، نشاط

الديبلوماسية ، العصر الوسيط ، القرون
الوسطى ، موسوعة وموسوعات ، موسوعي ،
وسائل الراحة ، وسام وأوسمة ، موسم
الصيد ، وصفت طيبة ، مواصفات ، وصل
وتوصيل وإيصال ، وصولي ، وصولية ،
وصاية بمعنى انتداب سياسي ، أوضاع
اجتماعية وغيرها ، وضعية البلاد ، موضوع ،
موضوعي ، موضوعية ، وطن قومي ، وطنية ،
وطني ، موطن الضعف ، مواطن ، وظيفة ،
وظائف ، وظائف الأعضاء (علم) ، موظف ،
الوعي القومي أو الديني ، توعية ، توفير ،
صندوق التوفير ، اتفاقية ، التوقيت الصيبي ،
الوقود (للفظ) ، الأمر الواقع ، التوقيع ،
الموقع أدناه ، توقيف ، إيقاف ، موقف
سيارات ، مواقف مشرفة ، الوقاية المدنية ،
وكيل الحق العام ، وكالة أخبار ، توليد ،
دار أو مستشفى الولادة ، توليد القوة
الكهربائية ، مولدة .

حالة يأس ، اليابسة ، ميتم ، ينجت ،
اليد العاملة ، وقف مكتوف اليدين ،
الصنائع اليدوية ، يمين ، يسار (بمعنى
الاتجاه السياسي) يومية (أجره) ، يومية
الحائط ، والسلام عليكم .

عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب

أدبي واقتصادي وغيرهما ، نشل ، نشال ،
نصب تذكاري ، تنصيب ، منضدة ،
مناضد ، ناطحة السحاب ، منطاد ، مناظير ،
نظارة ونظارات ، قاعة انتظار ، مناظرة ،
منظمة ، منتظم دولي ، سلطة تنفيذية ،
لجنة تنفيذية ، نافذة ونوافذ ، علم النفس ،
طبيب نفسي ، حالة نفسية ، انتفاعي ،
نقابة عمال أو أطباء ، نقابي ، التنقيب عن
الآثار والمعادن ، نقد أدبي ، نقد بمعنى
العملة ، النظام النقدي ، مركب نقص ،
النقض والإبرام ، نقطة استفهام ، نقطة
نظام ، نقل ، وسائل النقل ، ممتلكات
منقولة ، نقالة ، نهضة أدبية وغيرها ونهوض ،
نوبة عصبية ، نيابة عامة ، هيئة نيابية ، تناول
الكلمة ، تناول الشاي ، هتف بحياته ،
الهاتف ، هتاف عظيم ، هدف وأهداف
(رياضي وسياسي) ، تهريب ، مهرب .
استهلاك ، مستهلك في مهمة ، مهمات ومهام
همزة وصل بين ، بنات الهوى ، هواية ، هاو ،
هواة ، هيئة سياسية ، هيئة نيابية ، توتر العلائق ،
ضرب على الوتر الحساس ، وجبة غذائية ،
وجبات ، وجهة نظر ، الواجهة الشعبية ،
واجهة القتال ، ودادية بمعنى جمعية ، مستودع
السيارات ، ورش عمل وأوراش ، موزع
البريد ، توزيع الجوائز ، ميزانية ، الأوساط



ابن سينا

مناقشة بعض ما قال في العين

للكبير حسن علي إبراهيم

واستخلاص البولينا من البروتين لتخرج عن طريق الكلبي مع البول، وغير ذلك كثير. ولم يخلق الله عشرين عضواً آخر بدل الكبد؛ ليؤدي كل عضو وظيفة واحدة، بل إن الكلبي، التي يظن الناس أنها تفرز البول وحسب، لها وظائف جمّة؛ منها تنظيم أملاح الدم كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم، والفسفور، والحفاظ على قلوية الدم البسيطة التي لولاها ما عاش الإنسان، كذلك تقوم الكلبي بتنظيم كمية الماء التي يحتفظ بها الجسم، فإذا قل شرب الماء قل البول، وإذا زاد حدث إدرار، وهي بذلك تحافظ على حجم الدم في الدورة الدموية، كذلك تنهى الكلبي مفعول بعض المراد الفعالة، التي تضر إذا استمرت في الدورة الدموية، مثل الحماضتين الذي إذا بقي أدى إلى قرح أو قروح بالمعدة وغير ذلك كثير.

ثم يعود ابن سينا إلى تشريح عضل الحفن فيقول: « وإن كان قد يمكن أن يكون الحفن

يقول ابن سينا في تشريح عضل الحفن: « وأما الحفن فلما كان الأسفل منه غير محتاج إلى الحركة؛ إذ الغرض يتأتى ويتم بحركة الأعلى وحده، فيكمل به التغميض والتحديد. وعناية الله تعالى مصروفة إلى تقليل الآلات ما أمكن». والكلام صحيح تماماً، ثم يقول ما معناه أن في التكثير من الآلات تكثير للآفات، وأعتقد أن هذا صحيح أيضاً؛ إذ نجد أن معظم الأعضاء تؤدي أكثر من وظيفة، فالعظام التي نراها صلبة تشد هيكل الجسم، تحوى داخلها النخاع الذي ينتج خلايا الدم الحيوية من كريات بيضاء وحمراء، والكبد يؤدي أكثر من عشرين وظيفة حيوية؛ أهمها إنتاج الصفراء اللازمة للهضم وللخلاص في نفس الوقت من نتاج تفتت الكريات الحمراء، وحفظ المواد السكرية على هيئة مولد الجلوكوز أو الجلايكوجين، ثم الرفع بالجلوكوز إلى الدورة الدموية ليعطى الجسم حاجته من الطاقة، كذلك التخلص من بعض الهرمونات والمواد الفعالة الضارة وبعض البكتريا،

(*) ألقى في الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين، يوم الثلاثاء (١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م).

الأعلى ساكناً والأسفل متحركاً، ولكن عناية الصانع مصروفة إلى تقريب الأفعال من مبادئها وإلى توجيه الأسباب إلى غاياتها على أعدل طريق وأقوم منهاج، والحنف الأعلى أقرب إلى منبت الأعصاب، والعصب إذا سلك إليه لم يحتاج إلى انعطاف أو انقلاب . هنا استعمل ابن سينا كثيراً من الفكر والمنطق، ولكنه منطق غير صحيح بالمرّة؛ لأن العصب الذي يفتح الحنف يأتي فعلاً في شبه استقامة من داخل الحجر، ولكن العصب الذي يغمض العين - وهو جزء من العصب الدماغى السابع - يأتي عن طريق شديد الالتواء، فهو يخرج من ثقب قق قاع الجمجمة ثم ينحرف ليمر بين فصى الغدة النكفية؛ ماراً تحت شحمة الأذن ثم ينحرف إلى أعلى ليصل إلى العين، ثم يقول ابن سينا: « ولما كان الحنف الأعلى يحتاج إلى حركتى الارتفاع عند فتح الطرف والانحدار عند التغميض، يحتاج إلى عضلة جاذبة إلى أسفل، لم يكن بد من أن يأنيها منحرفاً إلى أسفل ومرتفعاً إلى فوق .

وهنا يناقض ابن سينا ما قاله في أول كلامه عن العصب ويجعل الوصف أقرب إلى - الحقيقية التشريحية التي وصفها منذ قليل .

ثم يعود ويقول - متكلماً عن عضلة التغميض - : « فكان حينئذ لا يخلو إن كانت واحدة من أن تتصل إما بطرف الحنف وإما بوسط الحنف، ولو اتصلت بوسط الحنف لغطت الحدقة صاعدة إليه . »

ولو اتصلت بالطرف لم تتصل إلا بطرف واحد فلم يحسن انطباق الحنف على الاعتدال، بل كان يتورب فيشتد التغميض في الجهة التي تلاقى الوتر أولاً ويضعف في الجهة الأخرى، فلم يكن يستوى الانطباق، ثم يستطرد فيقول: « فلم يخلق عضلة واحدة، بل عضلتان ثابتتان من جهة الموقين يجذبان الحنف إلى أسفل جذباً متشابهاً . » هنا لجأ ابن سينا أيضاً إلى كثير من المنطق الحسن، ولكن فاته أن يعرف تشريح العضلة بدقة فالعضلة جزء من العضلة المحيطية أو الدائرية العينية orbicularis oculi والعضلة مثبتة حقاً عند الموقين برباطين دقيقين، يصلان إلى العظام لغرض التثبيت، ولكن هذه العضلة دائرية، أى تدور حول العينين وحول الحنفين وعليهما وتتصل بنفسها، ولا ين سينا عنده؛ لأن العضلة رقيقة جداً ولا تكاد ترى، وتكاد تكون مندحجة في جلد الحنف، وتشجج أو انقباض هذه العضلة يؤدي إلى التغميض، وكل منا لو وضع إصبعه على جفنه الأسفل وأغمض عينه، شعر بانطباق العضلة على الحنف الأسفل. ويبدو أن ابن سينا لم يقم بهذه التجربة البسيطة ولو فعل لما وقع في هذا الخطأ .

ثم يتكلم ابن سينا عن العضلة التي ترفع الحنف فيقول: « وأما فتح الحنف فقد كان تكفيه عضلة تأتي وسط الحنف فينسط طرف وترها على حرف الحنف، فإذا تشنجت فتتحت .

نسميها إجمالاً بالشبكية، وهذا يحدث بخارج الرطوبة الزجاجية أو ما نسميه أحياناً بالجسم الزجاجي ويطلق الأطباء الآن على هذا الجزء البصرى الحساس - أى الشبكية مع الأوعية الدموية التي تنفرع أمامها - قاع العين ويمكن فحص قاع العين باستعمال عدسات مناسبة. وعلى الشبكية تقع صورة الجسم المرئي التي ينقلها العصب البصرى بدوره إلى الإبصار فى المخ .

ثم يعود ابن سينا ويقول : « وقد ذكر غير جالنيوس أنهما ينفذان على التقاطع الصليبي من غير انعطاف » ، أما التفسيرات التي أعطاها لهذا الانعطاف فهي غير مقبولة وإن لم تخل من إعمال شديد للفكر . يقول ابن سينا : « وقد ذكر لوجود هذا التقاطع منازع ثلاث إحداها ليكون الروح السائبة إلى إحدى الحدقتين غير مجبوبة عن السيلان الأخرى إذا عرضت لها آفة ، ولذلك تصير كل واحدة من الحدقتين أذرى إبصاراً إذا أغمضت الأخرى وأصفي منها لو لحظت والأخرى لا تلاحظ » .

وهذا كلام غير مقبول بالمرّة فى وقتنا الحالى . ثم يستمر ابن سينا فيقول : « ولهذا ما تزيد الثقبة العينية اتساعاً إذا أغمضت الأخرى وذلك لقوة اندفاع الروح الباصر إليها » والملاحظة صحيحة ولكن تفسيرها غير مقبول ، ولست مستعداً للدخول فى أعماق التشريح والفسولوجيا لتفسير هذه الظاهرة

فتتصل بجرم شبيه بالعضروف منقرش تحت منبت الهدب « وهو هنا يصف العضلة الرافعة للجفن الأعلى levator polbebrae superioris ويقصد بالمادة شبه العضروفية ، الجزء الصلب من الجفن العلوي Torsus والوصف عامة صحيح إلى حد كبير ، وهذه العضلة أكثر وضوحاً فى التشريح عن العضلة الدائرية أما فى وصفه لتشريح العصب البصرى optic nerve فقد وقع منه خلط بينه وبين عصب الشم ، مع أنه يشير إلى أن الحلمة التي على العصب الأول هي للشم ، والعصب البصرى مستقل تماماً عن عصب الشم ، وهو ثانى الأعصاب الدماغية ، ويقول ابن سينا عن العصب البصرى : « وهو عظيم مجوف » والذي نعرفه أن العصب غير مجوف ، ثم يقول : « يتيامن النابت منهما يساراً ، ويتياسر النابت منهما يميناً ثم يلتقيان على تقاطع صليبي ، ثم ينفذ النابت يميناً إلى الحدقة اليمنى والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى ، وتتسع فوهاتهما حتى تشتمل على الرطوبة التي تسمى زجاجية ، وهذا وصف جيد إذا ذكرنا الزمن الذي كتب فيه ، ولكنه خاطئ بالنسبة لنا الآن ، فإن هذا التيامن والتياسر غير كامل فى التقاطع الصليبي . أما اتساع فوهة العصب لتشمل الرطوبة الزجاجية ، فهو تعريف بدائى شبكية لأن العصب البصرى ينغرس داخل العين ليكسوقاعها وجوانبها ، وتتصل بفروعه التي لا تخصى مخروطات وعصيات

ثم يستمر ابن سينا فيقول : « والثانية أن يكون للعينين مؤدى واحد ، يؤدى إلى شبح المبصر فيتحد هناك ويكون الإبصار بالعينين إبصاراً واحداً » ؛ وهذا الكلام غير مقبول أيضاً فالذى يحدد الصورة ، وهل ترى صورة أو صورتين ، هو نقطة سقوطها على الشبكية في العينين ، فإذا حدث حَوَلٌ ، يختلف مسقط الصورة ويبدو الشيء الواحد كأنه اثنان والدماغ هو الذى يجمع الصورتين فى النهاية ، حتى يراها ويفهمها الرأى ، والصورة لا تتجمع أبداً فى الملتقى الصليبي البصرى .

ثم يستمر ابن سينا فيقول : « والثالثة لى تستدعم كل عصبية بالأخرى وتستند إليها ، وتصير كأنها تنبث من قرب الحدقة » . وهذا الكلام غير مقبول أيضاً ، فلا تكاد توجد حركة داخل الجمجمة ، وإلا لجعل الخالق سبحانه وتعالى كل الأعصاب الدماغية تعتمد على ملتقى صليبي وهذا غير كائن .

ثم يصف ابن سينا بعد ذلك العصب الثالث الدماغى *occulomotor* ، وهو المحرك للعين ، على أنه العصب الثانى الدماغى ، وهذا خطأ وإن كانت ملاحظاته التشريحية عنه صحيحة إلى حد بعيد ولن أدخل فى هذا كى لا أطيل .

يصف ابن سينا المقلبة بأنها كرة شحمية بيضاء وهى ليست كذلك ثم يصف العنابية أو القرنية ويظن خطأ أن العنبة مثقوبة لمرور الضوء ، والضوء لا يحتاج إلى ثقب للمرور

من خلال القرنية لأنها شفافة ثم قال : إن هذا الثقب يتسع ويضيق ، وهذا الثقب فى الواقع يوجد فى القرنية *Iris* . أمام العدسة وهو حتماً يتسع ويضيق كما قال ، وهو يظن أن ألوان العين المختلفة تكون فى القرنية مع أن الألوان تكون فى القرنية ، ثم وصف الرطوبة البيضية وربما كان يعنى بها السائل الذى يملأ الغرفة الأمامية للعين ، ثم طبقة جليدية وغالباً كان يعنى بها عدسة العين ثم الرطوبة الزجاجية ، وما زلنا نسميها بنفس الاسم حتى اليوم ، وأحياناً نقول الجسم الزجاجى :

لقد ذكرت الكثير من أخطاء ابن سينا فأين أصاب ؟ لقد أصاب فى عدة مواضع بالغة الأهمية :

أولاً : أن صورة المرئى تظهر على سطح الطبقة الجليدية (كما تظهر على القرنية أيضاً) .

ثانياً : أنه أدرك أن الإبصار ينتج من شعاع ينطلق فى الجسم المرئى إلى العين لا العكس كما كان يظن الكثيرون ، وأدرك أن الرؤية لا تحتاج إلى زمن مهما كان الجسم بعيداً وبذلك تكلم دون أن يدرك عن السرعة العظيمة للضوء وربما يكون قد لاحظ ذلك فى وميض البرق الذى يرى فى هزيم الرعد الذى يصل بعده بزمن .

ثالثاً : آمن ابن سينا بأن المخ هو الذى يرى ويبصر لا العين وهذا قول صحيح مازال قائماً إلى يومنا هذا ، فإن العين التى أبدع الله سبحانه وتعالى خلقها وتركيبها ما هى إلا مجرد آلة تصوير لها عدسة تكون صورة المرئيات

على الشبكية، وتختلف عن آلة التصوير في أن عدسة العين مرنة تغير شكلها بحيث إذا كان المرئي قريباً زاد تكور العدسة وبالتالي تحدها وقوة جمعها للأشعة الضوئية حتى تسقط الصورة واضحة على الشبكية، وإذا كان الجسم بعيداً حدث العكس وهو قلة تكور العدسة. أما في آلة التصوير فإننا نبعد أو نقرب العدسة من الفيلم تبعاً لبعدها عن الشيء المراد تصويره، فالعين آلة فوتوغرافية تكون الصورة على الشبكية وتنتقل تيارات كهربوكيماوية خلال العصب البصري إلى مراكز الإبصار في المخ، فيدرك المخ الصورة، وإذا حدث تلف في هذا المكان من المخ فإن المريض لا يرى بالرغم من سلامة العين، فالعين إلا جهاز موصل للصورة إلى الدماغ :

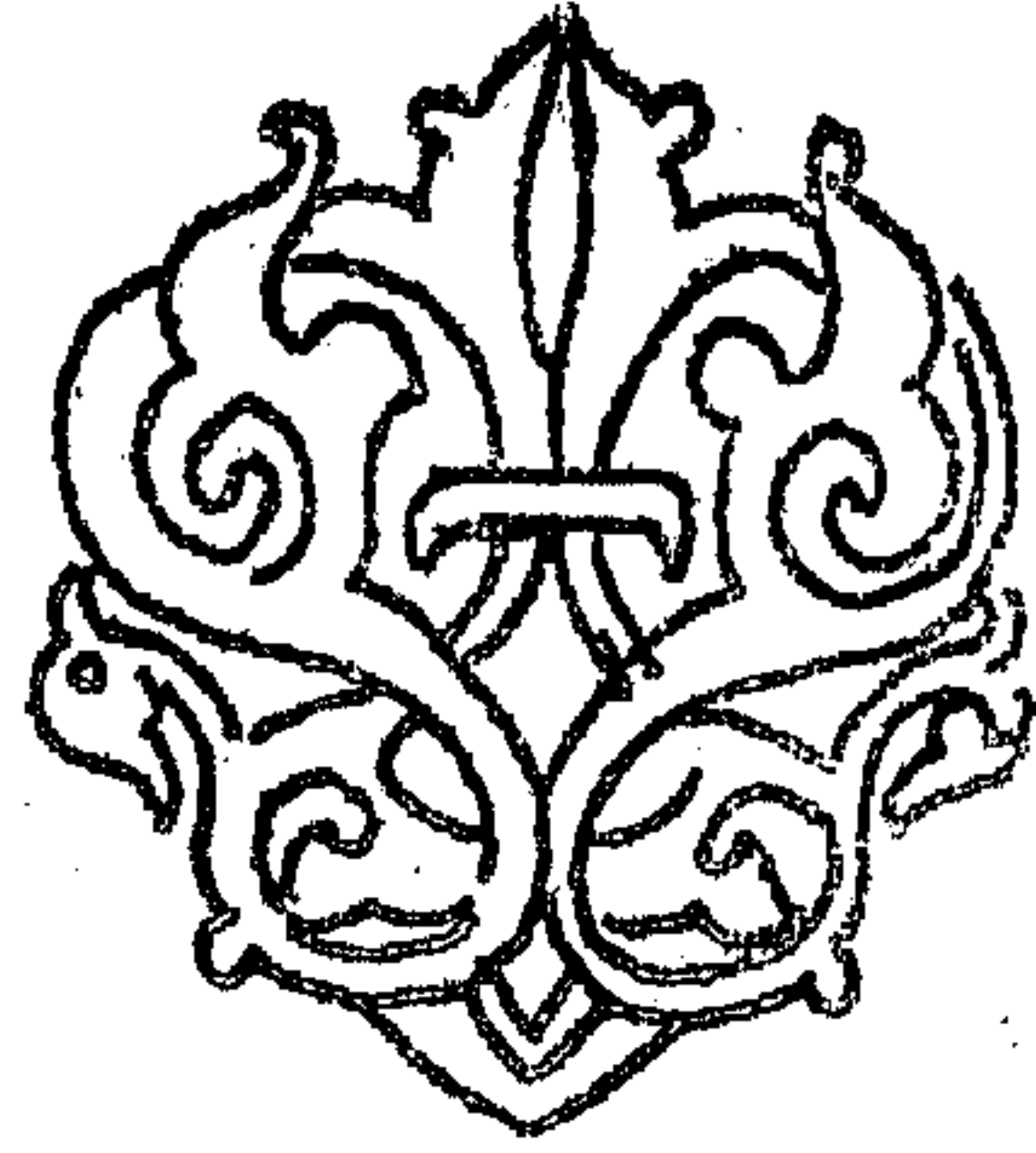
رابعاً : أدرك ابن سينا أن حجم الذي يرى يعتمد على الزاوية التي يلقها على العين ، فالشخص السائر بعيداً يلتقي زاوية صغيرة على العين فإذا اقترب كبرت الزاوية وبالتالي زاد حجمه. لماذا تبدو الأشياء البعيدة صغيرة؟

هذا سؤال وجهته لمدرس الرياضة، عندما كنت طالبا في المدرسة الحديوية فعجز عن الإجابة عنه وأجاب عنه ابن سينا منذ ألف سنة .

أيها السادة أشكر لكم حسن استماعكم لهذا الموضوع العلمي الخاف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن علي إبراهيم
عضو المجمع



لغة الصحافة في مصر منظور الصحافة في القرن الماضي لأستاذ محمد عبد الفتاح

على

الرغم من أن (الصحافة)
ظهرت في أول أمرها
في الصين، في القرن العاشر

قبل الميلاد، فإن الصحافة بمفهومها ومظهرها
الحديث لم تظهر إلا في القرن السادس عشر،
بعد اختراع الطباعة بواسطة جوتنبرج .

والصحافة العربية هي من حسنات القرن
التاسع عشر، وإن كانت أول صحيفة
عربية هي التي أنشأها نابليون في مصر سنة
١٧٩٩ أملا أن يوطد بها أركان حملته ...
ثم جاءت بعدها (الوقائع المصرية) التي
أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨، ويليها
(المبشر) التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر
سنة ١٨٤٧ فكانت الجريدة الثانية في العالم
العربي .

وقد عرف قدر «الصحافة» كثيرون
من العظماء والمفكرين والقادة والسياسيين
والأدباء والشعراء... فهذا هو البابا ليون الثالث

عشر يقول : (الصحف رسالة خالدة) .
وهذا بونابرت يقول : (الصحافة ركن من
أعظم الأركان التي تشيد عليها دعائم الحضارة
والعمران) وهذا تولستوى يقول :
(الجرائد نفير السلام، وصوت الأمة،
وسيف الحق القاطع، ومجيرة المظلوم،
وشكيمة الظالم.. فهي تهز عروش القياصرة،
وتدك معالم الظالمين ..) . وهذا فولتير
يقول : (الصحافة آلة يستحيل كسرها،
وستعمل على هدم العالم القديم، حتى
يتسنى لها أن تنشئ للدينا عالما جديدا...) .
وقد قدرها في عالمنا العربي اثنان من
نوابغ خريجي دار العلوم سنة ١٨٩٢ ومن
أوائل المشتغلين بالصحافة. حيث قالوا في
مجلتهما : «المنتقد» التي أصدرها شهرية
سنة ١٨٩٣، وهما : الشيخ أحمد الأزهرى
بك، ومصطفى الدمياطي .. : (إن نعمة
الجرائد على البلدان . لا تقل عما تشرف
به الإنسان من نعمة البيان . وإن كل بلاد

(*) أقيمت المحاضرة في الجلسة الثامنة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جادى الأولى
سنة ١٤٠٣ هـ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م) .

توفر حظها من هاته النعمة، تكون أسمى وأرقى من التي لم تنل حظا يدرك هذه النعمة) ونذكر لأنطون الحميل باشا-رئيس تحرير «الأهرام»، وأحد أعضاء مجمعنا الراحلين - قوله عن الصحافة: (إنها شجرة الحقيقة يفرد على أفنانها الكتاب الصادقون). وقد عدها أمير الشعراء أحمد شوقي آية هذه العصور الحديثة في قوله من قصيدة، يحيي بها نقابة الصحفيين في عيدها الأول: لسكل زمان مضى آية وآية هذا الزمان الصحف لسان البلاد ونبض الـ عباد، وكهف الحقوق وحرب الخيف و «الجريدة» هي بعينها «الصحيفة» . . . إلا أن الكونت رشيد الدحداح اللبناني أول من استعمل كلمة (صحيفة) لجريدة (برجيس باريس) العربية التي أصدرها في فرنسا سنة ١٨٥٨ وتابعه الناس أول الأمر، ثم جاء بعد ذلك بسنوات، اللغوي فارس الشدياق فأثر كلمة (جريدة) ودار من أجل ذلك نقاش طويل انتهى إلى أن جاء الشيخ إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فأسمى مجلة (الطيب) باسم: (مجلة) وكذلك فعل في مجلتيه: (البيان) و(الضياء) اللتين أصدرهما بمصر سنة ١٨٩٧ و سنة ١٨٩٨ على التوالي. ومن ذلك الحين أطلق اسم (الجريدة) على الصحيفة اليومية الإخبارية السياسية واسم (المجلة) على الصحيفة الدورية: أسبوعية كانت أم شهرية أم دورية .

ومن المناسب هنا أن نذكر أن الشيخ رفاعة آثر إطلاق كلمة (الوقائع) على الصحيفة اليومية، ومن هنا جاءت تسمية (الوقائع المصرية) التي عهد إليه بإصدارها وتحريرها، ولكن الدكتور لويس صابونجي اللبناني وصاحب مجلة (النحلة) التي أصدرها بلندن، استعمل لفظة (نشرة) في مقابل كلمة (جورنال) الفرنسية بمعنى الجريدة، كما استعمل إخواننا الجزائريون في القرن الماضي عبارة: (الورقة الخبرية) وهي ترجمة حرفية لعبارة Newo Paper الإنجليزية .

ومن اللطيف أيضا أن الصحافيين والقراء كانوا قبل الثورة العربية لا يفرقون في الاستعمال بين (جريدة) و (مجلة) إلى أن جاء إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فوضع حدا قاطعا للتمييز بينهما حين أصدر مجلاته الطيب والبيان والضياء .
والصحافة - عموما - أنواع، فمنها الصحافة السياسية، والصحافة الأدبية، والصحافة العلمية، والصحافة الدينية، والصحافة الفكاهية، والصحافة النقدية، وقد تختص صحيفة أو مجلة بنوع واحد لا تعدوه إلى غيره، كما قد تجمع واحدة بين أن تكون علمية أدبية ثقافية، كما ظهر ذلك واضحا في مجلات المقتطف والحلال في القرن الماضي، والرسالة والثقافة في القرن العشرين .

المآثم ، وأسأل دمع المداد كالديم . وصريره
أبدى زفير الحزن والألم ، حزنا على حضرة
المعصومة ، والدرة المعدومة فرع الأصل
الأصفي ، منبع الخود الأخفى ، وهى التى
كانت الإسكندرية متشرفة بها ، ومكسوة
ثوب شرف بها ... »

وقد بلغ من سلطان (العامية) فى لغة
الصحافة أنها لم تكتف باستعمالها فى النصف
الأول من القرن التاسع عشر ، بل امتد
أثرها حتى قبيل الثورة العراقية بعام واحد ،
حين أصدر السيد عبد الله نديم سنة ١٨٨١
جريدته (التنكيت والتبكيث) فخص قسمها
غير قليل من صفحاتها باللغة العامية
ولعله رأى بحكم روحه الثورية أن يمد مجال
انتشار كتاباته إلى العوام ليبلغهم صوت
الثائر الممهّد لثورة عراقى . وقد كان
النديم يجمع فى كتاباته بين الفصحى والعامية .
وتعد كتاباته الصحفية بالفصحى نموذجا
للبيان العربى المشرق الخطابى المؤثر .
وإن كان يؤثر السجع ويحشو إخباراته
بالمحسنات اللفظية الكثيرة التى لم تخرج عن
روح العصر ومزاجه .

وإذا اغتفرنا لعبد الله نديم التجاهل للغة
العامية تحقيقا لهدف سياسى جليل ، فإننا
لا ننسى له حبه للغة العربية الفصحى ،
واهتمامه بها وإشادته بقيمتها حين كتب فى
مقال صحافى له بعنوان «إضاعة اللغة تسليم

ولقد كانت لغة الصحافة - أول ظهور
الصحف والمجلات فى القرن الماضى -
تابعة للغة العامة التى كان يكتب بها الناس
أو يتخاطبون فهى لغة هابطة بلغت
أدنى درجات الضعف والهبوط التى
وصلت إليها الآداب العربية عامة . وكان
الكتاب والمحروون يحشون عباراتهم بالألفاظ
تركية ، أو أجنبية كثيرة ، أو عامية مما
يلفظه العوام . ولم يكن هناك تخرج من ذلك ،
أو لم يكن هناك تنبه لخطره على سلامة اللسان
والبيان العربى . وقد دخلت الألفاظ الأجنبية
المعربة إلى لغة الصحافة - كما دخلت إلى
لغة الكتابة والتأليف - بلا ضابط . بل
كان رائد فى الصحافة والفكر مثل رفاة
رافع يلجأ إلى إدخال الألفاظ الأعجمية
بطريق (التعريب) ، بالإضافة إلى جهوده
التى لا تنكر فى ميدان (الترجمة) . فصرنا
نجد فى لغة (الوقائع المصرية) مثل هذه
العبارات : افتتاح «برلمنتو» إنكلترة .
و «فاميلية» الحضرة الفخيمة . وشهر
«زانويه» أى يناير ، و «بولوتيقمة» الخارجية
أى السياسة الخارجية .

واجتمع مع غزو لغة الصحافة بلغة
الأجانب ولغة العوام ، غزو آخر من هبوط
الأسلوب وركاكته وازدحام العبارات
بالمحسنات البديعية ، كالذى نجده فى نعى ابنة
إمام على المنشور بالوقائع سنة ١٢٤٦ هـ
١٨٣٠ م . حيث يقول : « إن الكاتب
حزين ، حتى إن قلمه انغمس بمداد

للذات « حيث يقول فيه : « أيها الناطق بالضاد : بم تستبدل لغتك وما لها من مثل . وإلى من تركها وأنت لها كفيل ؟ وما الذي استحسنته في غيرها واستعجبت مقابله فيها ؟ وأي شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما ؟ لبيك أيها الأخ الشقيق ، وإن لم نحمل في بطن واحدة ، اللغة سر الحياة ، والحد الفارق بين الإنسان والبهيم . وهي التي بها جذبت قلب أمك ، واستعطفت جانب أبيك ، وتملكت فكر أخيك ، واستملت صاحبك ، وألفت جارك ، وتعارفت مع مواطنك ، فهي أنت إن كنت لا تدري من أنت . وهي وطنك إن لم تعرف ما الوطن » ٥

ويبدو أن سلطان العامية في لغة الصحافة في ذلك العهد من القرن الماضي كان قويا ، وتيارها كان مندفعاً متدفقاً . وبلغت فيها النكبة أن صحفاً غير قليلة قد بدأت تصدر باللغة العامية وتتميز بها ، ووجدت من جمهوره من القراء إقبالا عليها ، وغراما بها ، مثل جريدة « أبو نظارة » التي أصدرها في باريس اليهودي الإيطالي المصري يعقوب صنوع ، والتنكيث والتبكيث التي أصدرها عبد الله نديم في مصر سنة ١٨٨١ م ، والسيف التي أصدرها حسون وحسين على سنة ١٩١٠ والمسامير التي أصدرها

السيد عارف سنة ١٩٠٩ وحجارة منيبي ، التي أصدرها محمد توفيق ١٨٩٩ .

ولم تكتف اللغة العامية بهذا الغزو الصحافي حتى قامت في سنة ١٨٩٣ حملة شديدة على الفصحى ، ودفاع شديد عن العامية قام به المهندس الإنجليزي مستر « ويلكوكس » مفتش الري بمصر ، وسجله على صفحات مجلة (الأزهر) التي شاركه في إصدارها الشيخ أحمد الأزهرى (١)

ولقد حرصت بعض الصحف في مصر على تخصيص جماعة من الأزهريين ليتولوا مراجعة الأخبار والمقالات قبل طبعها ، وتصحيح أخطائها النحوية واللغوية ، وذلك حرصاً على أن تظهر لغة الصحيفة أو المجلة نحالية مما يعيها من شوائب الخطأ اللغوي . وهوؤلاء المصححون للغة التحرير هم غير المصححين الآخرين الذين يتولون تصحيح تجارب المطبعة مما وقع فيها من هفوات الجمع وعثراته .

وأخطاء تجارب المطبعة في الصحافة والصحف لا تقل عنها في الكتب المطبوعة . فالخطأ هنا قائم كما هو قائم هناك . ولا يكاد يسلم كتاب عربي من خطأ مطبعي ، كما لا تسلم صحيفة أو مجلة من ذلك . وعلى حين لا تتجاوز أخطاء المطبعة في بعض الكتب بضعة

(١) وكانما صح في اللغة العربية وخصوصاً يومئذ حتى من أبنائها - تول زميلنا الصديق العلامة عبد الله بن كنون من قصيدة عنونها : « خصوم العربية » :

جهلوا فناصبوا العداة ومن الجهل ما يكون بلاء

أخطاء أو تطبيعات - كما نسميها اليوم - فإنها قد تبلغ في بعض الكتب بضع عشرات أو مئات على حسب حظ المطبعة من عناية المصححين وتنهمهم :

ولا تخلو الكتب المطبوعة في أواخرها من جدول لتصحيح ما صدر من أخطاء مطبعية فيها ، على حين لا تهتم الصحيفة - وخاصة اليومية - بتصحيح ما يقع فيها من تطبيع . وقد وقعت في ذلك الباب لطائف وطرائف يتندر بها الصحفيون حين يقتضى المقام . . فمن ذلك ما وقع في صحيفة يومية سيارة حين روت في أخبارها نبأ عودة أحد الزعماء إلى بيته في موكب حافل فقالت : (وما بلغ دولته بيت الأمة حتى علا الصهيل) والمقصود طبعاً : حتى علا التهليل . وقال أحد الزعماء في خطبة سياسية له : (واصغوا إلى صوت الضمير) ، فجاءت بها المطبعة هكذا : (... إلى صوت الحمير) . وجاء في عنوان خبر صحافي : (الفرنسيون يضيقون الحناق على البصل المراكشي) وصوابها طبعاً : (البطل المراكشي) ، ونشرت صحيفة سيارة نبأ عن مروءة أحد المشايخ وهمته ، فعلمت على الخبر قائلة : (وأنا تثني على عمه فضيلته) . فحرفت الهاء إلى العين . . . وفي العقد الرابع من قرننا هذا قامت حركة تدعو إلى إنصاف رجال القضاء وسرعة ترقيةاتهم ، فكتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام يناصر الحركة قائلاً : (يجب تعرية القضاة) وهو تحريف

لعبارة (يجب ترقية القضاة) . وفي العام نفسه قامت حركة لإدخال عنصر الشباب في القضاء بعد أن كان وقفاً على الشيوخ ، فنشرت الأهرام خبراً عنوانه : «تجريد ثياب القضاة» وهو تحريف مطبعي عن عبارة (تجديد شباب القضاة) . ونشر أحد محرري الجريدة نعي شخصية كريمة وجاء فيها : (توفى إلى رحمة الله فلان ، أسكنه الله فسيح جناته) . وعلق «موضب» الجريدة على هامش الخبر بالنشر (إن كان له مكان) فجاء منفذ الحروف وجمع هذه التعليقة بعد الخبر مباشرة . فصدر في الصحيفة مطبوعاً هكذا : (توفى إلى رحمة الله فلان أسكنه الله فسيح جناته ، إن كان له مكان) . ولطابع الصحف وطابعها في هذا الباب طرائف لا تنهى :

وحين تخلصت لغة الصحافة المصرية من الزخارف اللفظية . والمحسنات البديعية قبل الثورة العراقية بقليل فإنها ظلت محتفظة بالسجع الذي كان مستملحاً عند الكتاب والقراء على السواء . وكان للسجع - حتى المتكلف - أثر كبير في نفوس القراء ، وسلطان كبير على نفوس الصحفيين ، ففي عدد من الوقائع المصرية جاء هذا الخبر سنة ١٨٦٥ : (إن أناساً من اللثام ، سفلة الأنام ، ارتضوا بالخزي وارتكاب الآثام فاستبدلوا الاشتغال بأنواع الكسب الحلال بالاشتغال بالحرام والعار ، والدوران في القرى والأمصار . وكلما صادفوا أناساً

على فطرتهم وحسن نياتهم ، تحيلوا على اصطبيادهم
بتحليلاتهم ، وعملوا طرق الخديعة والحيل في سلب
أموالهم ، بعد سلب عقولهم بإحدى المغيبات
المشهورة بين الناس بالتاتورة ، فيضعونها
في شيء من المأكولات ، ويطعمونها أصحاب
العقول الناقصة بدون شعور ، وبعد الحصول
على مهامهم يفرون . .) ولم يكتب «الوقائع
المصرية» التخلص من هذا السجع البارد
المتكلف إلا حين تولى تحريرها الشيخ محمد
عبده سنة ١٨٨٠ - أي قبيل الثورة العربية
بعامين - ففي عهد هذا الإمام المفكر الرائد
تخلصت لغة الصحافة جملة وفي «الوقائع»
خاصة من بقايا المحسنات البديعية ، ومن
السجع جملة ، وأصبحت الكتابة مرسلة
طليقة من تلك القيود اللفظية التي كانت تجنى
على المعنى وتجعله ناقص الأداء السليم .
واستعاض الشيخ محمد عبده عن السجع
بالازدواج أو الترادف الصوتي ، وهو نوع
من السجع لا تلتزم فيه تقفية أو آخر الحمل ،
بل يلتزم فيه توازن بين الحمل بدون تشابه
أو آخر الألفاظ .

ومن الإنصاف للتاريخ والحق أن نقول
إن الشيخ أحمد فارس الشدياق قد سبق
الشيخ محمد عبده في التخلص من السجع
منذ القرن الماضي حتى يومنا هذا . فحين
أصدر الشدياق مجلته «الجوانب» سنة ١٨٦١ في
الآستانة ، اتخذ فيها الأسلوب المرسل سواء
في الأخبار الصحفية أو المقالات . وبهذا
انقادت له كثير من المعاني وموضوعات

العلم والفكر التي كانت لغة السجع تضييق
عليها . وحين كان الشدياق يسجع فإنه
كان يتخذ ذلك في المقال الأدبي والعاطفي .
أما مقالات السياسة والعلم والأخبار فقد
تحرر فيها من قيود السجع والزخرف
اللفظي جملة .

ولا ننسى فضل الشيخ إبراهيم اليازجي
في هذا الميدان ، فهو صحافي لغوي عريق
في مجلاته : الطيب البيروتية ، والبيان
والضياء المصريتين . وكان الثلاثة ، الصحفيين
الكبار : أحد فارس الشدياق ، وإبراهيم
اليازجي ، والشيخ محمد عبده ، كانوا على
ميعاد في تخليص لغة الصحافة - بل لغة
الكتابة والإنشاء عامة - من السجع وبقية
الزخارف والمحسنات .

ولعل مثالا واحدا من مقالات الشيخ
محمد عبده الصحافية في (الوقائع المصرية)
سنة ١٨٨٠ يبين لنا أسلوبه الصحفي المرسل
المتحرر من القيود ، السهل العبارة ، الخالي
من اللفظ الغريب الخاف ، الداخلى إلى عقول
القراء من أيسر الأبواب وأسهلها . فهو يقول
من مقال سياسى عنوانه (خطأ العقلاء) :
(إننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية
في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة
في الانتخابات العمومية لرؤساء جمهوريتها
وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ،
ونعرف مقدار السعادة التي نالها الأهالي من
تلك الحالة . ونعلم أن هذه السعادة إنما

أنت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم ؛ لأنهم أرباب الانتخابات ، وإنما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس هم نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لأنفسهم وتتشوق النفوس الحرة أن تكون على مثل هذه الحالة الخلية .

لكننا لا نستحسن أن تكون تلك الحالة بعينها لأفغانستان مثلا ، حال كونها على ما نعهد من الخشونة . فإنه لو فوض أمر المصالح إلى رأى الأهلى ، لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لا يرى سواها . فلا يمكن الاتفاق على نظام عام . ولو طلب منهم أن ينتجوا مائة نائب مثلا لرأيت كل شخص ينتخب صاحبا له أو نسيا أو قريبا .

وأين هذا الأسلوب الصحافى المرسل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٠ فى «الوقائع المصرية» من أسلوبه المسجوع المتكلف المزخرف الموشى . الذى كتبه فى جريدة الأهرام سنة ١٨٧٦ تقریظا لها ، وترحيبا بصدورها ، حيث يقول : (إنه لمسا ظهر لدى كل قاص ودان واشهر بين بنى نوع الإنسان ، أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك ؛ إذ كانت قد اختلفت بتربية العلوم ، وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم ، وانفردت بالبراعة

فى الضائع والابتكار فى أنواع البدائع فكان أبناء العالم إذ ذاك ينتدون نداها ويستجدون جداها ، يستمطرون من الغيث قطرا ، ويستمدون من المحيط نهرا ، فكان التمدن فيها كهلا ، حين كان عندها طفلا . وما زالت كذلك حتى زها فيها التمدن ولا عجب ؛ إذ رأى الطالبين تنسل إليه من كل حدب وأن ملوك الأرض خدام عتبه ، وتيجان الكيانين تحت قبضته ، فاستكبر واعتلى ، ولكرؤوس الراحة اجتلى . !

ولغة الصحافة المصرية فى عهد الثورة العرابية هى حسنة من حسنات ذلك العهد الذى كان يتأجج بالشعور الوطنى ، والعاطفة القومية وقد وجدت تلك الثورة فى جماعة من الصحافيين - من أمثال أديب إسحاق ، وعبد الله نديم ، ومحمد عبده ، وإبراهيم اللقانى - لسانها المعبر عن آمالها وآلامها . وتمتاز لغة ذلك العهد بالأسلوب الخطابى الذى يعتمد على إثارة الشعور ، وإلهاب العواطف ؛ وذلك باستخدام الألفاظ الطنانة الرنانة التى تترك فى النفوس أعمق الآثار ، وتهى الناس لقبول التغيرات والتطورات التى تتطلبها مبادئ تلك الثورة . ونسوق هنا نموذجا من مقالات «أديب إسحاق» الصحفية التى قصد بها فضح نظام الحكومة والحكام فى مصر ، تمهيدا للثورة التى قام بها أحمد عرابى ومحمود سائى البارودى وغيرهما من أحرار الضباط ، الذين ثاروا على الخديو وعلى

حكومة الاستبداد ، حيث يقول : (فسلكى
أن أكشف حقائق الأمور، ملتزماً جانب
التصريح متجافياً عن التعريض والتلميح ،
وأن أجلو مبادئ الحرية ، وآراء ذوى
النقد ، وأن أبين ما يظهره البحث من
عواقب الحوادث أو مقاصد أهل الحل
والعقد ، وأن أوضح معائب اللصوص
الذين نسميهم اصطلاحاً : أولى الأمر ،
ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهمياً : أمناء
الأمة ، ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً :
ولاة النظام ، وأن أعين واجبات الإنسان
الشرقى بالنسبة إلى نفسه وإلى قومه وإلى
بلادهم، وما يقابل تلك الواجبات من الحقوق،
وقصدى أن أثير ببقية الحمية الشرقية .
وأهيج فضالة الدم العربى ، وأرفع الغشاوة
عن أعين الساذجين ، وأحيى الغيرة فى قلوب
العارفين ، ليعلم قومى أن لهم حقاً مساوياً
فيلتمسوه ومالاً منهبوا فيطلبوه) .

ويمتاز «إبراهيم اللقانى» ، من بين الأربعة
الذين ذكرناهم ، بأن أسلوب كتابته الصحافية
على قوته وتأثيره فى النفوس - كان يخلو تماماً
من كل زخرف أو حلية لفظية أو مبالغة أو
إغراق فى التشبيهات والأوصاف ، أو
تقعر فى الألفاظ ، وكان يميل إلى عمق الفهم
والقدرة على التحليل ، ومخاطبة العقل والمنطق
بدلاً من استجداء العاطفة .

فن مقال صحفى له فى جريدة (مرآة
الشرق) كتبه سنة ١٨٧٩ - أى قبل الثورة
العربية بثلاثة أعوام - تراها يقول : (هذا

سر ما نراه فى هذه الأيام من الفتنة والحوادث
العظيمة الناشئة عن حركة الحواطر فى البلاد
الواقعة تحت رق الاستعباد ، فلا يحسب الناظر
إليها ، المتهيب منها ، أنها ناتجة من فساد الأخلاق
ورداعة الطباع وسفالة النفوس ، مستدلاً على ذلك
بما يرتكبه أهلها من المنكرات كالقتل
بالاغتيال ، والأسر بالاحتياط ، كلا !
وإنما هى نتيجة استبداد الأمراء ، وعسف
الرؤساء ، وظلم الزعماء ، فإن هذه القواسم
تنصب على قوة الحرية الكامنة فى صدمة
الأفراد ، فيحصل لها الضغط ، فتندفع من
بعده ، فتخرج بشدة اندفاعها عن مركزها
الطبيعى ، وتفضى بصاحبها إلى الإفراط .
وبناء عليه فما القتل وما الأسر وما الفتنة
وما الثورات إلا نتائج الاستبداد المترتبة
عليه لزوماً ووجوباً . . .) .

ويجرتنا الحديث عن سهولة الألفاظ فى
لغة الصحافة فى القرن الماضى ، لدى مدرسة
جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ،
إلى الحديث عن التقعر والتشدد والإغراب
فى اختيار الألفاظ عند بعض الكتاب ،
حتى من الشيخ محمد عبده نفسه ، والسيد
رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومحررها ،
فقد كان الشيخ الإمام ، فى أول أمره وبداية
عهده بالصحافة ، محرراً بالوقائع المصرية ، يميل
إلى الإغراب فى الألفاظ على نحو ما كان
يفعل الكتاب المتشددون ؛ إظهاراً للتفاحص
والمعرفة باللغة . ولقد تأثر رشيد رضا - وهو

يمثل لغة الصحافة الدينية - بأستاذه وصنفيه الشيخ محمد عبده، الذي كان يستعمل أولاً ألفاظاً غريبة معجمية، مثل: الذبذب للذب، الثوب، والقسطل للغبار، والذملقاني للسريع في الكلام. والمثثث بمعنى المتفلسف والمناهدة بمعنى المدافعة، والجهام للسحاب غير الممطر، ثم عدل عن ذلك وآثر الألفاظ السهلة، واللغة البسيطة كما آثر التخلص من السجع ومن المحسنات :

وبعد الثورة العربية ببضع سنوات - وبالتحديد سنة ١٨٨٩ - أصدر الشيخ علي يوسف صحيفة «المؤيد» فطلعت على الناس بأسلوب جديد في التحرير الصحفي، وفي لغة الصحافة: وكانت بذلك معلماً من معالم الطريق. وامتاز أسلوب علي يوسف بقوة الحجاج، والجدل، والتعويل على المنطق والإتيان بالأدلة المقنعة، وأصبح المقدمات المفضية إلى أصبح النتائج، مع الاعتماد على البساطة والسهولة، والاستشهاد بالواقع المحسوس لا البعيد المتخيل والإتيان بالألفاظ على قدر المعاني في غير زيادة أو نقصان، فليس هناك مبالغة ولا إغراق ولا حشو ولا نقص ولا إخلال، مع القدرة على النقد الزيه البناء، والإكثار من التكرار؛ لتأكيد المعاني في نفوس القراء. وهو - على شدته وقسوته في نقد خصومه من رجال الاستعمار والسياسيين - لا يسف ولا يتبدل ولا مهبط إلى مستوى العوام :

ولعل إيراد بعض فقرات من مقاله - الذي كتبه تعليقا على حفلة وداع اللورد كرومر التي أقيمت بدار الأوبرا سنة ١٩٠٧ عقب إبعاده عن مصر بسبب أحداث دنشواي يكشف لنا بوضوح عن لغة ذلك الرائد الصحفي العظيم الذي كانت كتاباته تهز العالم كله ما بين مشرق ومغرب، فهو يقول :

« أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظهرة سياسية لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا، ولكنه انقلاب - بما جرى فيه - مظهرا عدائيا من اللورد لم ير الراءون، ولم يرو الراوون مثله في مقام وداع كهذا المقام. دعنا من كون رئيس الاحتفال - يريد مصطفى فهمي باشا - أخطأ في أنه لم يكن المتكلم الأول وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال ورئيس وزارة معا يقدم عليه سواه في الكلام. . . ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيبا من كلامه في احتفال كهذا. . . ودعنا من زعمه أنه يمثل مع الحكومة في موقفه - السواد الأعظم من الأمة المصرية، والسواد الأعظم يخالفه في الرأي والقول. . . »

دعنا من كل هذا، وانظر إلى خطبة اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته الأخيرة وخاتمة أعماله في مصر، فبينما كانت الأمة المصرية واقفة موقف الأمل، منتظرة من ذلك الراحل العظيم، والشيخ الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الإسلامية بما مضى عليها من الحمود الأبدى

ونحو الأمة المصرية بما وصفها به من العقم
السرمدى - بينما هي ترجو من جنابه أن
يغتم هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح
التي جرحها ، ويضمم الكلوم التي فتحتها
في جسمها بما تقدم و بما أراد أن يجعل
وطنتها أعجوبة بين الوطنيات ، وجامعتها
كشكولا بين الجامعات . وبينما كان سمو
أمير البلاد يتعطف ويتلطف ويبالغ في إكرام
الراحل عند رحيته ، متناسيا الحزازات السياسية
التي طالما كان اللورد مهاجما فيها غير عادل
ولا متلطف بينما كان هذا ، إذا
بيركان البروقراطية - التي نشأ عليها اللورد
ومارسها كل حياته ، حتى برز فيها (١) أكثر
من كل مبرز في تواريخ الحكومات المطلقة -
قد انفجرت نيرانه ، وقذف بلطاه على
الأحياء والأموات .

وإذا كان « المؤيد » يمثل الصحافة المصرية
في العقد الأخير من القرن التاسع عشر
والعقد الأول من القرن العشرين ، فإن
هناك صحفا ثلاثة في أوائل القرن العشرين
تمثل اتجاهات واضحة في لغة الصحافة :
بالإضافة إلى اتجاهاتها السياسية التي ليست
موضوع حديث في هذا المقام وهذه الصحف
هي (الجريدة) التي كان يرأس تحريرها
أحمد لطفي السيد ، وقد أنشأها حزب
الأمة سنة ١٩٠٧ لتكون لسان حاله :

وجريدة « الأخبار » التي أصدرها أمين
الرافعي سنة ١٩٢٠ ، وجريدة « البلاغ » التي
أصدرها عبد القادر حمزة سنة ١٩٢٣ . لقد
امتاز لطفي السيد بلغة سهلة مبسطة مرسلة
الأسلوب ، لا تقعر فيها ولا تعقيد وقد حاكها
كثير من الصحفيين في ذلك العهد ، وعدوها
نموذجا للغة الصحافة . ولن أضيع وقتكم بذكر
نماذج منها ، ويكفي الرجوع إلى كتاب :
« تأملات » و « المنتخبات » التي جمعها صديقنا
المجتمعي القديم إسماعيل مظهر لنبين ملامح
الأسلوب الصحافي عند لطفي السيد . أما أمين
الرافعي فقد تميزت لغته الصحافية بما تميزت
به لغة لطفي السيد ، ويزيد عليه حرارة الإيمان
بالعقيدة التي يدين بها ، وصراحة في مناقشة
خصومه ، ووضوح العرض للموضوع
في مقالاته . وكذلك كان عبد القادر حمزة
في مقالاته في (الأهالي) أولا . وفي (البلاغ)
أخيرا . ويتميز أسلوبه الصحافي بالاعتدال
والاتزان والواقعية والحد ، وعفة القلم
والتفكير المنطقي ، وتركه يعبر عن أسلوبه
الصحافي بقوله : (لم يجر قلمنا بما يثقل
على النفس ، ويستكره في السمع ، أو
ينبو عن الذوق ، لأن غايتنا الإصلاح
لا الإيلام وطريقتنا هي الإقناع لا الإقذاع
وليس في أسلوب التناول الذي توخينا ما يمكن
أن يشكومنه أدق الناس إحساسا ، وأرقهم

(١) ويلاحظ في أسلوب علي يوسف طول الجمل عنده طولاً ملحوظاً ، والبعد ما بين المبتدأ والخبر ، أو الشرط
والجواب ، أو بينا الظرفية وجوابها .

شعوراً . . . إذ لا جفوة في العبارة ، ولا عنف في اللفظ ، ولا إغلاظ في القول ، ولا شيء غير الموضوع . . .) .

على أن ذكرنا لهذه الصحف الثلاث وهؤلاء الصحفيين الثلاثة لا ينبغي أن ينسبنا أسماء كثيرة، تعد لغتهم نموذجاً في لغة الصحافة المصرية من أمثال العلامة محمد فريد وجدى في (الدستور) وأحمد حافظ عوض عضو مجمعنا الراحل في (المنبر) و(كوكب الشرق) ومحمد مسعود في (المنبر) ، وخليل ثابت في (المقطم) ، وداود بركات وأنطون الجميل في (الأهرام) ، وعبد الحميد حمدى في (المنبر) و(السفور) ، ود . محمد حسين هيكل في (السياسة) و(السياسة الأسبوعية) وإبراهيم المازنى في (الأسبوع) ، ومحب الدين الخطيب في (الفتح) ، وعباس العقاد في (البلاغ) و(الدستور) ، دياب - في (الجهاد) وغيرها .

على أن ذكرنا لهؤلاء الأعلام في العقود الأربعة من هذا القرن العشرين لن يصرفنا عن الإشادة بقلم في الصحافة المصرية، تميز بأسلوب جديد منفرد، كان هو المبتدع له ، وحذا حذوه كثيرون من تلاميذه وهو المرحوم - بلدينا من المنصورة -

الأستاذ محمد التابعى ، وقد كتب عنه في الخمسينيات من هذا القرن أحد تلاميذه يصف أسلوبه قائلاً: (مدرسة التابعى الصحفية لها أثرها في تاريخ الصحافة : لقد حرر أسلوب الصحافة الساخرة من الأسجاع والمترادفات ، فهو الذى أدخل اللغة الكاريكاتورية في الصحافة : بضعة خطوط سريعة تعبر كأنها لوحة فنية رائعة . كلمة واحدة تلتصق بشخصية السياسى وتحوله من رجل وقور إلى مسخرة . لقد كانت لغة الصحافة قبل ذلك أشبه بنفساتين السيدات في الماضى مليئة بالذبول ، فجعل محمد التابعى لغة الصحافة بسيطة . . .) .

ومن تلاميذ مدرسة التابعى في الأسلوب : الشقيقان مصطفى أمين وعلى أمين - رحمه الله - وإحسان عبد القدوس ، ومحمد حسين هيكل : وقد تميزت لغة الصحافة منذ نشأتها ببعض الأساليب التى انفردت بها عن لغة الكتابة حتى لتكاد تنادى على نفسها بأنها لغة الجرائد والمجلات ، وقد تسرب بعضها من اللغة التركية : فقولهم في تشریف الرجال : (عطو فتلو أفندى حضر تلى) ، وقولهم في معرض الأخبار والأبناء والنعي والحفلات وغيرها : أنسنا بلقاء الوجيه الأمثل - مات فلان مبكيا عليه من الجميع - استأثرت رحمة الله بالمبكى عليه - على أثر داء لم ينجح فيه نطس الأطباء - فأكل المدعوون هنيئاً وشربوا مريئاً - سبق فذكرنا في عدد

فأنت - كنا أول من أذاع هذا الخبر - سيدنا
فهرست الكمال : وعنوان الهلال (وصفا
لجمال الدين الأفغانى) - البقية تأتي - سابق
للاحق (إذا كان للمقال بقية ستأتى) :

ومن العبارات التى تدخل فى روع القراء
توثيق الأخبار ، وأنها لا يرقى إليها الشك ،
قولهم فى لغة الصحافة : علمنا من المصادر
العليمة - ومن دوائر الحل والربط - وممن
بيدهم مقاليد الأمور : وقد يكون محرر
الخبر أو مخبر الجريدة نقله عن ساعى أحد
الوزراء ، أو تلقفه من موظف صغير جدا
فى الوزارة - وقد وفق الصحافى البارع
فكرى أباظة رحمه الله إلى إلغاء هذه
العبارات من قاموس لغة الصحافة ،
واستعاض عنها بقوله أخبرتنا جاسوستنا
الحسنة . . . والمؤدى فى الحالىين
واحد . . . وهو أنه ليست هناك مصادر عليمة
ولا دوائر الحل والربط ، ولا حتى جاسوسة
حسنة . . . ولكنه اجتهاد من الصحفى المحتمل
لتلقف الأخبار وتصيدها من الأفواه :

ولم تقف اللغة جامدة أمام تطور الصحافة
وظهور أنواعها ، من صحافة سياسية ،
وصحافة علمية وصحافة أدبية ، وصحافة دينية ،
وصحافة فكاهية نقدية . . . فتطورت اللغة فى هذه
الأنواع الصحفية حتى تلائم أهدافها ،
وتوافق أغراضها . . . وتحولت لغة النقاش
والحوار والجدل السياسى إلى لغة خاصة
فى الصحف والمجلات السياسية والحزبية ،

كالذى حدث بين صحف اللواء ،
والمؤيد ، والجريدة ، والأهالى والبلاغ
والسياسة التى أصدرها حزب الأحرار
الدستوريين . كما تحولت اللغة فى مجلات
«المقتطف» و«الهلال» ، «والعربى» ، التى
رأس تحريرها المرحوم د. أحمد زكى - عضو
مجمعنا الراحل - إلى لغة العلم التى كان يكتب
بها أمثال د. يعقوب صروف ، و د. :
حسن كمال ، وفؤاد صروف ، وعاطف البرقوقى
وكذلك تحولت اللغة - فى مجلات (الهلال)
و(رعمسيس) و(البيان) لعبد الرحمن البرقوقى
و(الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، عضو
مجمعنا الراحل ، و(الثقافة) لأحمد أمين
أمين ، عضو مجمعنا الراحل ، و(الحديد) لمحمد
حسن نائل المرصنى ، و(الزهور) لأنطون
الحميل ، عضو مجمعنا الراحل - إلى لغة الأدب
التي يميزها التألق ، وحسن السبك ،
وصحة العبارة ، والترسل ، والوضوح
والنقاء . كما ظهرت فى مجلة (المنار)
الدينية ومجلة (الأزهر) لغة تعبر عن أغراض
الدين وحكمته وآفاقه الإنسانية ببيان عال ،
وأسلوب مشرق تجلى فى مقالات : رشيد
رضا ، ومحمد فريد وجدى ، وغيرهما :

أما صحف الفكاهة والنقد والسخرية فقد
ظهرت فيها لغة خاصة متميزة تعبر عن هذه
المعاني أصدق وأحلى تعبير : وقد ظهرت
فى هذا الميدان أسماء لامعة ، كان الجمهور
يقبل على قراءتها ، ويتلقى نتائجها بشغف

عظيم من أمثال سليم سرقيس صاحب مجلة «سرقيس» الدائمة الصيت ، وحسين شفيق المصري الذي كان فيه اقتدار عظيم على الجمع بين لغة الحد ولغة الهزل ، فلا تحس أن هذا الكاتب الهازل هو ذلك الكاتب الجاد ، وسليمان فوزي صاحب الكشكول وهو أستاذ في هذا الباب . وزميلنا الجمعي الراحل إبراهيم عبد القادر المازني الذي ارتفع أسلوبه النقدي اللاذع إلى كفة تداني لغة البلغاء من كتاب العصر العباسي :

ولم تعش الصحافة بمعزل عن اللغة ، ولا عاشت اللغة بمعزل عنها ، فقد كان من الصحفيين من يناصر اللغة ويدعو لها في حمس كبير ، ويجعلها من مقومات الذاتية للأمم كما رأينا من قبل عند عبد الله نديم في مقاله : (إضاعة اللغة تسليم للذات) الذي كتبه قبيل الثورة العراقية . وكان من رجال الصحافة اللغويين من رصد قلمه ، ووقف نشاطه على تصحيح الأوهام والأخطاء اللغوية التي يقع فيها الصحفيون والكاتب ، من أمثال إبراهيم اليازجي ، وأسعد داغر ، ونجيب شاهين ، والأب أنستاس الكرملي - عضو مجتمعتنا الراحل - وقد تمخضت هذه التصويبات اللغوية عن كتاب (لغة الجرائد) لإبراهيم اليازجي ، و(تذكرة الكاتب) لأسعد داغر . ووجدنا في هذا الباب اهتماما أكثر من اللغويين بلغة الصحافة خاصة واللغة العربية عامة ، فقام العلامة اليازجي بإنشاء مجلة

الطيب في الشام ، والبيان والضياء في مصر ، وكاد يجعل تلك المجالات وقفا على الدراسات اللغوية . كما قام الأب أنستاس الكرملي بإصدار مجلة (لغة العرب) التي كان لها فضل أي فضل في خدمة اللغة العربية .

بقي أن نشير - ونحن في معرض الحديث عن لغة الصحافة - إلى ظهور تعبيرات وألفاظ خاصة في زماننا هذا يراد بها تجنب استعمال الألفاظ اللغوية الأصلية للمعاني ووضع تعبيرات تكون أخف وقعا على مسامع الجماهير والقراء ، مع أنها تدل على المعاني الأصلية بطريقة ملطفة ومخففة . وقد تكون تلك العبارات من وضع الجهات المسؤولة أو من إيجاءاتها ، كما قد تكون من وضع الصحافة نفسها . : وذلك مثل : (تحريرك الأسعار) ويقصدون زيادتها ، و (الرأي الآخر) ويقصدون المعارضة ، و (المتحفظ عليهم) ويقصدون المقبوض عليهم و (النكسة) ويقصدون الهزيمة ، و (السلبات) ويقصدون الأخطاء ، و (التجاوزات) ويقصدون الجرائم ، و (ترشيد الاستهلاك) ويقصدون نقصه وتقليله و (الدعم) ويقصدون الإعانة . وهذا باب من البيان الذي لا يخفى على حس المواطنين وفطنهم . . .

سادتي :

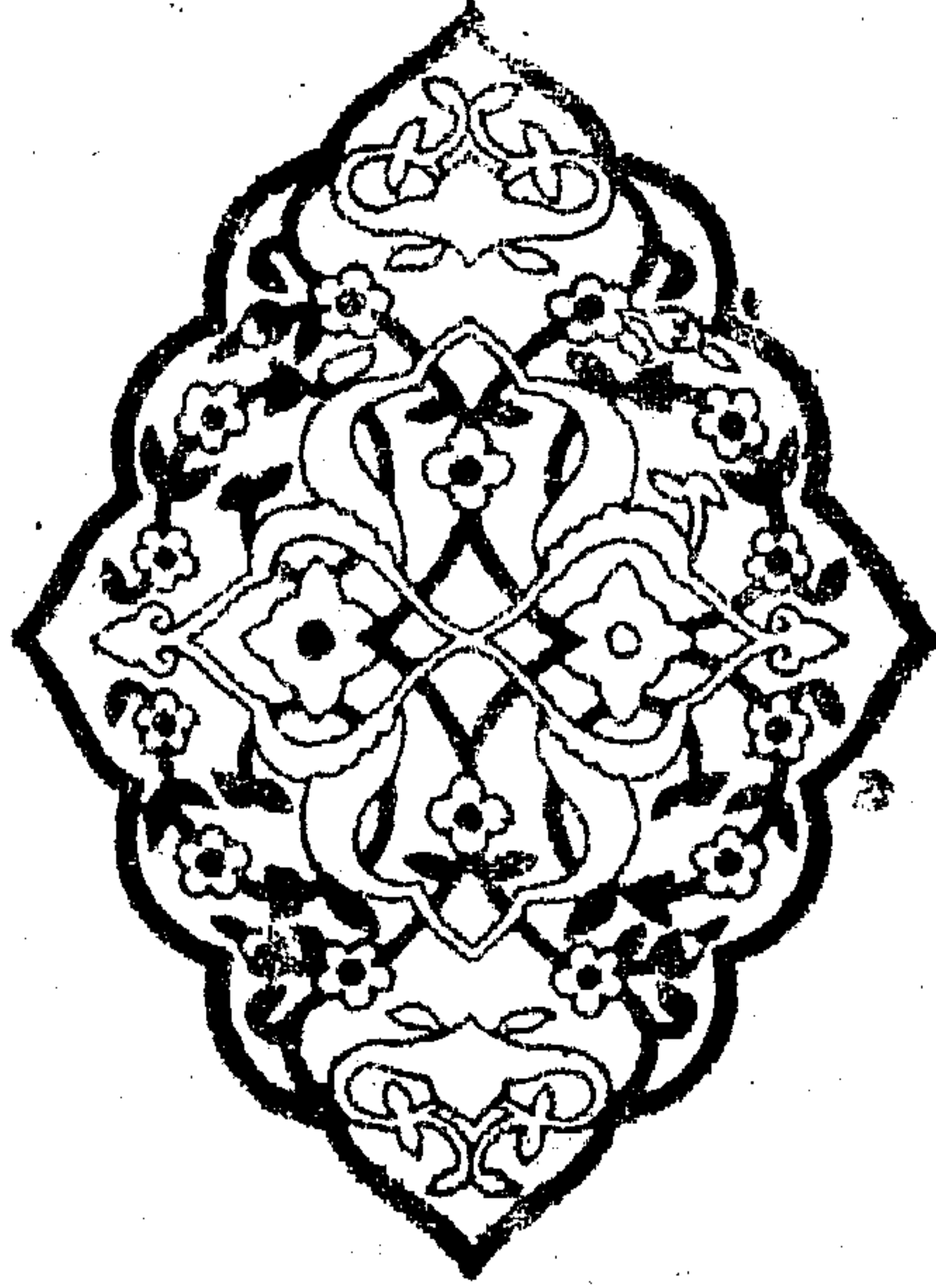
أخشى أن يكون تيار الصحافة - وهي بحر متلاطم ، بل محيط لا ساحل له - قد جرفني بما فاتني معه تقدير الوقت ؛ وبما أحاذر أن أكون أطلت عليكم فأملتكم .

ولهذا أبادر إلى الختام إشفاقا عليكم ، وحرصا على وقتكم ... ولكن لا بد من فكاكة تتصل بموضوع اللغة ، مادنا في معرض المحاضرة عن لغة الصحافة . وندع الصحافي الفكه ، الساخر ، الخفيف الظل ؛ فكري أباطة يقول في مذكراته الرشيقة :

« كتبت عن رجل كبير ، فقلت إنه يزحف نحو المجد ، ونحو القمة بسرعة ... فطلبني بالتلفون ، وكلمني ثائرا غاضبا من كلمة (يزحف) قائلا : أتراني طفلا صغيرا ؟ وهل هذا يليق ؟ قلت له بكل هدوء : سل أحد اللغويين عن معنى «يزحف» في هذه العبارة . وكلمني من فضلك بعد خمس دقائق ؟ وبعد خمس دقائق كلمني قائلا : شكرا يا فكري ! اللغويين يقولوا إن يزحف دي كويسة » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد الفنى حسن
عضو المجمع



الضدقات والغواص

للأستاذ جمال محمد أحمد

أقلقتني هذه السنوات العشر التي كثرت
عندنا فيها الصحف التي إليها أشير .

قلتي على اللغة العربية، من هذه الشهرية
والفصلية والحوليات والأسبوعيات في
الصحف اليومية، متعددة أسبابه، وترتبط
أحيانا بعضهم ببعض. إنها تكتب في «القضايا العامة»
كما يقولون، وللمستنيرين من خواص العوام :
هؤلاء على قلة أعدادهم الآن هم الأعلون
أصحاب القرار وهيئة المستقبل . كتابات
هذه الصحف تمسهم على النحو الذي تمس
الصحافة اليومية زيدا وعبيدا ، لا يسألون
كثيرا في خاطرهم أن بيد الخواص، أهل
الذكر ، هؤلاء حياتهم الأفضل ، الأقل
غلظة، وإن كانوا يتساءلون حين يرون غلوا
في الإطراء أو زلفي للضلال . مثلهم ومثل
المستنيرين على زماننا مثل الناس مع الشيخ
حافظ القرآن في زمان مضى ، إليه يطمثون
ويرجعون .

وبديعة تروق العين هذه الصحف . تأخذ
بقسط طيب من علوم وفنون الطباعة الحديثة،
والتصو والرسم والإخراج ومزج الألوان ،

عالج قضية اللغة العربية
في الصحافة اليومية ،
أكثرنا
وقتنا ما من أيام حياته ، بعضنا
كتب الكتب ، والعهد غير بعيد بالمرحوم
عبد اللطيف حمزة . وطيب ونافع هذا ، لنمض
فيه ما بلغنا الغاية كلها بعد . لكنني أبعو إلى ؛
أن نعطي قسطا من بالنا للشهرية والفصلية
والحوليات : أزعم أن هنا قضية تستأهل
الجهد ، على مقدار لغة الصحافة اليومية . أنا
أقول أكثر . تكتب هذه الصحف بعربية
يستغلق المعنى معها ، وفي بعض الأحيان
لا يسلم لك بعض الكاتبين فيها حذقة في
فروع المعرفة التي راحوا لها جامعات أوروبا
والولايات المتحدة ، وما هم كذلك في
الذي كان من أمر اللغة العربية . يسوقون لنا
آراء أهايتها الاستعمال ، وأذها الابتدال
بلغة مستفهمة ثرثارة . بعضهم يريد ليأخذ
بيدنا للجديد في العلوم والآداب والفنون،
فلا نفلح في أن نفلح طلاسما يقولون،
لا نعرف بأي لحن يحبون أن يروودوا بنا
الطريق . لو أردت لمضيت أحصى الذي

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة من مؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٧ من جمادى الأولى

سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٨٣ م) .

ولا ترهق - كثيرا - طائفة الناس التي تصدر لهم خواص العوام ، الجماعة المستنيرة بيننا . هؤلاء لا يثنيهم رهق مالي ، فلكل صحيفة من هذه الصحف ، ممول كفاها كل شيء «بهمها» : حكومة ، جماعة ، واحد من أهل الثراء . الولاية على أيامنا كثير . سبب أخير من أسباب القلق - لا آخر - أذكره : تذبذب هذه الصحف ، أن القائمين على شؤونها حذقة ، دربوا على وسائل الإغراء في الولايات المتحدة وأوروبا ، مثلا يدعون واحدا أو اثنين من أعلام الفكر العربي الذين وجدوا سبيلهم لعقول وقلوب جمهرة الناس والخواص ؛ لأنهم نذروا ذواتهم للفكر سنين - ليركوهم يكتبون ، وباسمهم تروج هذه الصحف . جنب هؤلاء الأعلام أقلام لا تفيد الفكر العربي كثيرا ، يحسنون اللغة العربية . بعض هذه الكتابات تهجر كلاما غير بعيد أن يوحى لقارئه - إن كان ممن لا يحذرون - أن العربية عسرة . إنه أمام «قضايا عامة» كما قال له الدعاة لهذه الصحف ، وما كان ينبغي لها أن تستعصى عليه وهو الذي يحياها ويعرف أطرافها منها لو لم تكن هذه اللغة العسيرة العاجزة عن عبء الذي يجد في العلوم والآداب كل صباح . ينصرف عنها قانطا للتأفة الذي يسليه عن الحد الجهم الذي لا يستطيعه . خطيئة أن يصرف المستنيرين أشباه هذا الذي افترضته عن الفكر الجديد ؛ لأنه يجيئهم مخلوط اللغة ، قلق المفردات متعثر الأسلوب :

تنفق هذه الصحف جهدا لنعرف قدرا علوم وفنون هذا العصر : نحمد لهم هذا ونثنى عليه ، ونعرف أن علوم وفنون هذا العصر تشقت وأضحت أشطارا ، لكل شطر من الجمع الكثير مفردات جديدة ، تشق على اللغات التي يتكلم بها الناس في أوطان هذه العلوم الجديدة والفنون والآداب ، وكل هذه الأوطان في أوروبا الآن بشقيها الشرقي والغربي والولايات المتحدة ، وهي أوطان تعينها الجذور الإغريقية وأحيانا اللاتينية والسلافية ، فلا تلقى مشقة يستحيل عليها أن تعلوها ، تخترع المفردات الجديدة والصياغات والأساليب ، تصور بها العقل الجديد والرؤية الجديدة . نعرف للكاتبين العالميين في هذه الصحف بهذا : لكننا نكره أن يذهبوا المذاهب في تمزيق اللغة : إذن يمزقون عقولنا العربي ، تخذل اللغة الفكر : إن لم نقل لهم هذا بصوت يسمعونه ويتدبرون الذي يقول ، فما هذه أول مرة يلتقي العقل العربي بالعقول الأخرى تعينه لغته الكثيرة الصدقات : إنا لا نعرف الذي كان يقوله الآخرون عن كتابات شيخنا العطار ومبارك والطهطاوي على قسوة ذلك الذي يكون بين المعاصرين من منافرة ، لكن الذي نراه اليوم - في أضعاف كلامهم حين نقرأه - أنهم كانوا استجابة بليغة لحاجات في نفوسهم ونفوس الناس ؛ لذا ، ما حاجهم أحد في

رؤيتهم ، لكننا نريد لنحجج هداة هذه الأيام ، بالعطف كله والحب .

وهذه والله تبعة . من أجدر بحملها أكثر من أخلاف حفنى ناصف وإخوته هنا ، وأخلاف الأمير أرسلان فى الشام، والكرملى فى العراق، واليازجى فى لبنان، والسراج فى السودان ؟ هذا اللقاء بين اللغة العربية وعلوم العصر ما عدا أن يكون حلقة فى سلسلة اللقاءات ، بدأت فى القرن الثامن على أيام هارون وشارلمان، والعربية كفاء لها الآن كما كانت كفاء لها آنذاك، كل الذى يحيق بنا من قهر وخيبات ، كان قدر منه غير قليل يحيق بالأقدمين وما قعد بهم الذهن الخالق المبدع . بعيد ألا تكون حالنا المقهورة بضعا من حالهم . أجبنا على رعاية الكتاتيب العلماء فى أسبوعيات الثقافة فى الصحف اليومية، فى الشهرريات وفى الحوليات؟ ولن نستطيع هذه الرعاية إن لم نأخذ بقسوة بعض ما يتمتمون به، يغمغمون ، بصرفون المستنيرين عن الحديد فى رأيهم، بلغتهم التى لا تبين، ولا يذيعون فى الذى يكتبون مفردات المعاجم التى صدرت عن المجمع . يستحيل على المجمع شأنه شأن أى مجمع فى أى مكان—أن يرفد لغة العلوم والآداب والفنون بالذى ينحتون ويشتقون ويجيزون ويترجمون ويعربون ويروحون من بعد يذيعون : لجان المجمع ما خذلت أهدافها . فقط انظر للمعاجم التى صدرت عنه، وقابل الذى تراه فيها بالذى

يكتب الكتاتيبون : لا أعرف واحدا من هؤلاء انتفع كثيرا بالذى جهدتم فى اللجان—ياأخى مذكور—له، ولا أعرف واحدا—أى واحد— أعطى العربية المعاصرة كلمة من صنعه ، ودأب اللغات الحية أن تنمو بأقلام أهلها القادرين، ولا أعرف واحدا—أى واحد— أعاد للحياة كلمة غابت زمانا ، حين غاب فكرها الذى فى ثناياها تحمله، كالذى يصنع كتاب أوربا وكتاب الأمريكتين، فهم يعيدون للحياة كلمات أنسيها الناس ، بعضهم يخترع المواقف فى رواياته اختراعا ، لا تعبر عنها غير تلكم المفردات ، جديرة بالموقف ، جديرة بحياة ثانية إن كانت قد أنسيت، أو نشأة أولى، إن كان مما أنشأ الكتاتيب . ستذكرون «أنتونى بيرجس» فى «قوى أرضية» حين أقول هذا كم من المفردات يبعث حيا، وكم من الصيغ اختراعا يخترع ، وكان قريبا من هذا الذى يفعل الروائى بيرجس ، فعل لطفى السيد على أيامه ، ما قنع للعربية أن تعجز عن الآراء القادمة على أيامه ، ترجم كلمة «لبرال» بالحرين، أبى كلمة الأحرار، وكانت تجرى على ألسنة الخطباء وأقلام الكتاتيب : كان يكتب عن الحرين لا الأحرار ، وما قدر لهذه اللفظة الأصح أن تغالب أختها السارية . وستذكرون كم سعى لطفى ليعيد للعربية قدراتها بأسلوبه الذى كان به يكتب ودعوته المباشرة للغة صحيحة دقيقة يسيرة .

نحن الذين ربينا على رسالة الزيات وثقافة أحمد أمين ، نأسى على الذين في عمرنا حينذاك . محارون في الذي تصدر المطابع من صحف أشتات في الوجهة، منابعها تتنافر لا تلتقى ، الفكر فيها والرؤى تبعاً لهذا ، لا جامعة بينها تجمع العقول والأفئدة . لغاتها كذلك لا تهمل من مورد . لكل صحيفة مورد، وتقول إنه يتفق والذي تعالج من «قضايا عامة» . لا يجب أحداً أن يسرف ويقول إن كل فرد من شبابنا هذه الأيام أمة كان للرسالة منحي وأسلوب ، وللثقافة كذلك ، وكانتنا مع ذلك تصنعان فكراً في الوطن العربي متقاربا، يفهم بعضهم عن بعض . الآن تشتت الفكر ، لا تجد الذي يربط بين الشباب ، إلا حين يلتقون : أطباء ومهندسين وبياطرة ، ويعود الشتات حين يفرغون من حديث المهنة . أمن أجل هذا يارب عزف الأثرون - ذكاء منهم - عن الذي في أسبوعيات وفصليات وحوليات زمانهم لنظائرها التي تصدر في عواصم أوروبا ؟ أعرف يقينا أن كثيرين ممن تيسر لهم في البيت روايات «دكتور» و«بازاك» يؤثرونها على الذي يجدون في هذه الصحف ، إن ألح الآباء على قراءات في العربية، يؤثرون الروائع ، المعاصرة ، حديث الأربعاء وثلاثية نجيب والعبقریات .

أنا لا أسوق هذا الذي كان من أمرنا أباهي الذين أتوا بعد الرسالة والثقافة : أسوقه لعل الذكرى تنفع المؤمنين . أذكرنا

(١) الأجل : عظيم البان .

جماعات صغيرة تدرع الطريق بين «كلية غردون» ، حيث «جامعة الخرطوم» الآن ، على النيل الأزرق ، لمحطة السكة الحديد ، صوب الجنوب حيث هي الآن أميالا من النيل بعيدة، نرقب قطار الشمال، هناك يجيئنا بالرسالة والثقافة والبلاغ والجهاد . يحمل طرودها «زكى بطليموس» على عربة نتابعها معه . يصل بها حانوته في المحطة الوسطى أميالا أخرى من محطة السكة الحديد وسط المدينة حيث يلتقي عندها ، ترام أم درمان من غرب النيل الأبيض بترام الخرطوم بحري ، صوب الشمال من النيل الأزرق، وكان بطليموس رجل خير ، نكاد من فرط خيره أن نراه جميلا رغم بطنه الأثجل^(١) وعنقه الأسطع^(٢) وقصره . تكاد تخفيه عنا ما في دكانه من حلاوة وتبغ ودخان : لا يلح على واحد منا إن لم يكن يملك ذلك اليوم ثمن كل الذي يريده . وما كان في هذه الصحف ما يجهدنا ، حتى تلکم اللغة الدقيقة التي كان يكتب بها عبدالقادر حمزة في مواضع عصية كقاعدة الذهب التي اضطرت إلى هجرها أوروبا . ما كنا ننشد البلاغة عنده ، كما ننشدها عند دياب في جهاده، وعند الزيات ، الذي كان بعضنا يحفظ بعض افتتاحيته، كتلك التي كتب عن تركيا أتاتورك أو التي كتب عن ابنه رجاء . ما كان ينشد أحدا هذا عند عبدالقادر حمزة ، لكنه كان يقرأ عموديه مترسلا مأخوذاً بمنطقه ،

(٢) الأسطع : طويل العنق .

لا تفقه الكثير منه ، إنه خارج تجاربك ، لكنه يمضى بك ، لا يضجرك بعلمه الأوفر ؛ لن تجد مكانا لصحف هذا الزمان في قلوب أبناء هذا الزمان، وهي قلوب وعقول أكثر علما ودراية من عقولنا ذاك الزمان، في أعمارهم الآن . يشفع لها كما قلت أنها تريد لتأخذ بيد العقل العربي للجديد الآن في موكب الحضارة البشرية ، كما فعل الأولون أول القرن ووسطه ، كما فعل العطار في الأول وطه في الوسط ، بعبارة أوضح ، أزعم أنهم لا يحققون كثيرا مما يريدون ، لا أغالى ، إذا قلت : إنهم في بعض الأحيان يؤذون .

هذه دعوى عريضة ، سأسوق بيناتها من نماذج عكفت عليها أسبوعي الماضي حين تسلمت دعوة أخى وأخيكم المهدي ، أميننا العام ، ولن تكون بالطبع غير نماذج تشير للذي أدعو إلى أن نبين جزعنا منها ، نبحت عن سبيل أرشد من هذه السبيل التي يطرق الكاتيون العلماء الآن فقط . أكبر من اللوم يقع عليهم . ما عندي كثير . ما أخذه على الشباب أنهم يلهثون وراء المعرفة ، كالذي لهثنا نحن في الخرطوم زمان قطر الشمال : يأتون الآن جماعات من مدن السودان الصغيرة وقراها ، يرجون المجلس القومي للآداب والفنون أن يعينهم على إنشاء المكتبات في أنديةهم ، وعلى إرسال من يحدثهم في الآداب والفنون من أساتذة وكتاب ، ويقول لي إخوتي ، إن هذه هي عين حال الشباب عندهم ، لا تختلف .

لن تكون كثيرة نماذجي التي أختار ، سيحدها جهلي بالقضايا التي تتصل بالحديد المدهل في العلوم . تخرج بشرا من نوع في زجاجة ، وآخر سويا من أنبوبة ، وورود بوسائل الرجال والنساء السموات ، تهز إيماننا بالذي عرف عن السبع الطباق . يسعى بعضنا يريد ليبقى علينا ذلك الإيمان هذه وغيرها - من شئون الحديد - جوف الحديد ، لن تمسها نماذجي . تمس نماذجي الإنسانية ، كما يعبرون هذه السنين ، يترجمون كلمة ما في تاريخ فكرنا بما يقابلها من جذور في تاريخ نشأتها ، بمظهرها الحديث ، بحسبونها تتصل بالإنسان وما هي كذلك . واحدة من التعبيرات التي يجب الواحد للخواص - الذين يتصدون لتاريخ فكرنا وفكر أوربا - أن يعوا أنهما تاريخان لا يلتقيان في كثير . لكل شريعة وقصد ، ولغة التي تعبر عنهما مذاق ونحو وتاريخ .

الحديث الحديد عن الحديد يدور عن قضايا :

- ١ - الاستشراق .
- ٢ - التكنولوجيا .
- ٣ - السياسة .
- ٤ - التراث والأصالة .
- ٥ - التطور والإنسان .

وهذه فختارات رابطتها الواثقة في ذهني أتي رأيتها مرات قبل أن أعزم أن أدير الحديث حولها . وأراها الآن مرصودة في

مفكرتي كلما انعمت فيها النظر : ما كنت غالبا حين زعمت لنفسى ، ثم لأصفيائي من بعد ، أن اللغة تحمل القضايا مخلوطة شائبة لا تصلنا نحن الذين نرقبها والأنفاس منا برقاب بعضها ممسكة لأن لغتها شائبة

الاستشراق هذه الأيام موضع حوار ، ولا أظنه يستعصى على كثيرين معناه ، لكن واحدا من الكتابين العلماء أخذ على نفسه أن يعلمنا فكتب بحثا طوله ١٢٠٠٠ كلمة وأوصانا بخمسة عشر كتابا في الفرنسية والإنجليزية ، أعانته على عوننا في حديث «عصب الاستشراق» قال في بدئه إنه سيرينا «صورة أدق للاستشراق» فتبعناه ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، قال : « ليس الاستشراق إلا عملية توزيع لإدراك سياسى جيد على نصوص فنية ، أكاديمية ، اقتصادية ، فوسولوجية ، تاريخية أو نحوية . فالاستشراق تفصيل لا نهاية له ، لالتميز المبدئى الثنائى : غرب ، شرق ، فحسب بل لسلسلة من المصالح...» أنا أعرف ياسادى أنا أمام جد ، لكنى عاجز عن أن أقاوم تذكيركم بالتوحيدى يصور لأهل زمانه الصاحب بن عباد يتفيقه - صورة تحاور المتصوفة : روى عنه قال : «ورأيت يناظر أبا الفرج البغدادى الصوفى وكان فى أذنه وقر من وساوس الصوفية وخطراتهم فقال له : يا أبا الفرج إذا كانت البيئونة مشعورا بها فى عرصه الحق حيث لا عبادة للخلق ، ولا أمان للجلل والدق ، بطنت وسائل المعرفة بحقائق المراد ، واشتبهت

أعلام الحال فى تثبيت الإشارة وبقيت العبارة على ألف الألف وعادة المتألف ، فأجابه أبو الفرج : لا ثبات لمناسب البيئونة . نهايات الاتحاد لزوال شرائط رسوم الخلق عند تصافى الأرواح بحقائق الحق ، قال ابن عباد : ما أنكر تلاشى المناسب فى نهايات الاتحاد إذا سطعت أنوار الحقيقة بالاتقاد وإنما جررت الكلام إلى غاية تزلق فيها الأفهام ولو لا الحال التى امتحنى الحق بها ، وسجنى على غرائبها وعجائبها فى عرض صوادقها وكواذبها مما هو مردود إليه ، ومتوكل فيه عليه لشققت معك جلاباب صدر قد حشى ودائع ، وفتحت لك أبواب خزائن قد جمعت فيها بدائع ، ولكنى بما ترانى أذبذب عليه مأخوذ ، وبما تسمعنى أدندن حوله مجذوذ وإلى الله المشتكى فهو الغاية والمنهى » .

عفوكم سادى ، ما أطلت لأنكم لم تقفوا عند هذه الصورة فى الإمتاع والمؤانسة ، لكنى ما عرفت أن أقف حتى أتيت للملاذ الأول . لذت به . هو «الغاية والمنهى» ولا أحب لنا أن ننسى هذه الصورة فهى جديرة بالذى نقلت عن حديث «عصب الاستشراق» وبالذى سأقف عنده فى الأحاديث الأخرى . والتكنولوجيا كالأستشراق تحظى بعناية تستحقها بالطبع ، وأحب لنا أن نقف عند «دراسة قدمت لمؤتمر غرف التجارة والزراعة والصناعة للبلاد العربية» قبل سنتين .

تحدثت الدراسة عن « نقل التكنولوجيا في الوطن العربي: مفهومه ومشاكله وتوجيهه » وما عندي شك في أن صاحب الدراسة يعرف الذي درسه في معاهد أوروبا والولايات المتحدة ، ولا يعرف الطريق للعقول والقلوب التي يريد لها أن تنتفع بعلمه وتعمل به فتجد نفسها بعد قليل مع الحديد-جوف الحديد - في موكب الحضارة البشرية . كتب نحو ٧٠٠٠ كلمة ، ورسم أربعة عشرة جدولا ، ورسم كثيرا ، وأتانا بمداول أرقام كثيرة .

وأوصانا بكتب نقرأها ، اختلط على حسابها . ما في وسعك أن تخصصها للخطاب بينها وبين غيرها من هذه الجداول وأرقامها والرسوم . تلك عقبة أخرى في العوائق بين العلماء الكاتبين من المحدثين . ونحن بصدد وسيلتهم إلينا ، بصدد اللغة ، مفرداتها وأسلوبها ، يبدو لنا الدارس لهذه القضية التي قلت من حقها أن تشغل البال ، يقول :

« على الرغم من أن آدم سميث وضع في القرن الثامن عشر تظورا ديناميكيا لدور التكنولوجيا في إحداث التطور التقني فما زال العديد من المشتغلين بهذه القضية ينظرون لأمر نقل التكنولوجيا ، كما يجري اليوم ، باعتبارها سلعة مقايضة عادية ، ضمن فسيفساء السلع العديدة التي تتحرك بها التجارة الدولية ويحكمها تفسير الاقتصاديين السويديين (هكشر - أو هليه) لمبدأ الأفضلية النسبية

وهو مبدأ أرسى قواعده ، بعد آدم سميث ، الاقتصادي الإنجليزي ريكاردو في القرن التاسع عشر . وتبقى هذه النظرة الاقتصادية سائدة رغم تقلص نسب التعادل في عمليات نقل التكنولوجيا واتجاه الموردين إلى بيع الدراية الفنية إلى أن توصل المرادى البعيدة من عملية النقل بأهداف المدى القريب . »

عفوكم ثانية . نقلت فقرة كاملة من مدخل الحديث ، وقرأت الفقرة على مهل ، ما وقفت عند « لا تقربوا الصلاة » ، أتممت ، ما أعجلتكم عن الذي قال الكاتب العالم . ربما فقه أحدكم مالم أفقعه ، والله لا أقول هذا تواضعا ، ما عندي ما أتواضع له في ، وسعى أن أمضي في حديث الكاتب عن « مشاكل نقل التكنولوجيا » . لن يفقه عنه حتى العارفون . نسمع من حين لحين أن أهل المهنة الواحدة والحرفة لا يكتبون للناس كلهم ، يكتبون لبعض ، وأخاف ألا يكون صحيحا حين نسعى لنطبق هذه الفكرة الأوربية على أهل المهنة الواحدة عندنا والحرفة . تحدثنا صاحب هذه الدراسة ، ويحدث بالطبع من يعرفون ، وأخاف ألا يصل لغاية من هاتين الغايتين ، يقول عن مفهوم النمو الاقتصادي ومعنى التنمية المرتكزة على التكنولوجيا :

« كانت الفلسفة الاقتصادية السائدة وما زالت في بعض الدوائر ، تنظر إلى قضية التنمية باعتبارها عملية انتشار وتكوين

ثم من خلال ادخار من الدخل القوي المنتج على هيئة تكوين رأس المال الثابت مع زيادة في المخزون وفي فائض ميزان التجارة الخارجية، يؤدي بدوره إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي في المستقبل . وجاء « شوميتز » يصحح هذا المفهوم ، وقال : إن مثل هذا الاكتناز يشكل نمو اقتصاديا وليس تنمية ، وإن إحداث مثل هذه التنمية يتطلب زيادة في الكفاءة الإنتاجية .

لن أكمل الفقرة ، لأحسب أنها تزيدك علما عن النمو الاقتصادي . وسائر الفقرات من هذا النهج . ثرثار عقيم ، حتى حين يعفيلك من مفرداته الأوربية التي يحسب أنها تشرح كلامه . إن التكنولوجيا ليست سلعة قابلة للتبادل ؛ إذ هي قبل أي شيء آخر علم وخبرة في فنون الإنتاج الصناعي والزراعي الحديث ، من هنا يأتي الالتباس في أذهان الكثيرين بأن التكنولوجيا في الجوهر نشاط علمي تنظيمي ، ينقل المجتمع من أساليب إنتاج تقليدي إلى أساليب إنتاج حديثة ولا أهمية هنا للشكل الخارجي القانوني لهذا النشاط من ناحية النظام السياسي الحضاري به في المجتمع ، فسواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا أم مبنيا على قيم التراث الخصوصية ، فالمهم هو جوهر الممارسة من ناحية تكريسها في أمور العلم والتنظيم الحديثة . هذا كاتب آخر في الاقتصاد لا يرهقك بمفردات وعبارات أوربية تقفز

لعينك في كل سطر ، لكنه لا يكاد يقرب من الوضوح الذي عالج به الأمر « بهاء الدين » قبل أسابيع مضت في أربعة أو خمسة من أعمدته في الأهرام . أقعد صاحبنا ذلك هزال الفكرة في ذهنه . أعان « بهاء الدين » ذهنه الأصني . راح للبحر صاحبنا ما سأل الغواص عن صدقاته .

وحاذر أخى أن تظن الكتاب في هذه الأسبوعيات - التي أدير الحديث حول الذي تكتب - والشهريات والفصليات لا يحتاجون دفعنا إياهم دفعا أن يروحوا إلى البحر يسألون الغواص عن صدقاته في شئون التاريخ والسياسة ، لأننا من سادة هذا الفرع من فروع المعرفة والزمان طفل ، لا نحتاج إلا أن نبعث بعض مفرداتنا في هذه الشئون وبعض التعابير من ناحية وإلا فوقفات دقيقات عند الذي ينشئه الأوربيون هذه الأيام منها ، بعضها لا كلها ، بعضها ذاك الذي يجمعنا وإياهم في الأصول البشرية القديمة لا الذي يتصل بتاريخهم . نقف عندهم وننخذ غداء لعقلنا العربي يوقظه من خدّره . ونخدّره ، لا أعتذر حين أقول ثانية بين تاريخنا وتاريخهم خلاف ، تنمو لغاتهم ، تلي الحديد عليها ، على نحو لا يصلح دائما لنا ، نأخذ غير ناقلين إياه لأنه يمتع ذهننا وهو غير ذمهم . اللهم لا بغضاء ولا حقد . جهد منا لنكون نحن نحن ، ننمو على نسق . نبذعه نحن من قديمنا إن تيسر ، ومن

جديدنا إذ كدحنا أكثر وانتفعنا بالذي نملك
من مواهب . ما كنت لأقول هذه
الأوليات لو لم تكن هذه الأقلام الكدودة
الخيرة تقول لنا في الذي تقول أشباه ما
قال صاحب، له في قلبي مكان . يقول في
حديث له أسماه «احتجاب مصر وإطلالة
على المستقبل»، وهو مصرى على اسم مصر
حريص ، يقول : لقد اجتمعت النزعة
(الأيدولوجية) من جميع الأشكال في عصرنا
الحديث على تزيف وتشويه وضع
مشكلتنا القومية ؛ فمنذ الحسرة الأخير
من القرن التاسع كان ينظر دائماً إلى وضع
مشكلة العرب في التاريخ في ضوء الديالكتيك
بين مختلف الحضارات في الشرق والغرب .
وقد كان ذلك هو معنى الحملة المضادة
للصليبيين بعشرة قرون للمملكة القدس التي أنشئت
في قلب المشرق العربي ، لمنع أى إمكانية
لتوحيد أراضيه حول مصر في عهد صلاح
الدين ، وقد كان ذلك ولا يزال هو معنى
الاستعمار والإمبريالية التقليدية في القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر وهذا قبل كل
شئ هو معنى الإمبريالية الصهيونية العنصرية
والتوسعية والعسكرية في منطقتنا وفي
أيامنا هذه ، ويمكن القول بالطبع أن
«الإمبريالية» - باعتبارها مقومة نظرية -
ترتبط بالتجارب الحياتية لمجتمعات دول
مثل فيتنام وموزمبيق وشيلي والبرازيل ،
بطريقة مماثلة . وهي ترتبط دون شك

وفي كثير من النواحي ، ولكن في إطار
نظري بحث ، المهم هو قراءة تاريخ تحول
العالم منذ نزوع الغرب إلى السيطرة في القرن
الخامس عشر إلى إيماننا هذه بالأبعاد العامة
والواسعة لهذا التحول ، ومن ثم يصبح
من الأيسر ، دون شك فهم وإدراك دلالة
المنطقة الحضارية العربية الإسلامية في ديالكتيك
الحضارات ، باعتبارها عملية ديالكتيكية مستمرة
ذات أبعاد تاريخية وشاملة ، وقد تكون
صاحبة التأثير التشكيلي الأقوى في تركيب
ميزان القوى في المدى الطويل لعصرنا
الحديث .

سيدي ، نقلت لك فقرة كاملة لثري
معنى أن التوحيدي حين أغلظ على ابن عباد ،
لو بعث حيا اليوم ، لما احتاج أن يجهد قلمه ،
يخترع تلكم العبارة التي أتينا عليها قبل حين .
ولست معنيا بتهافت الفكرة . نقرأ تاريخ
تحول العالم من القرن الخامس عشر إلى يومنا
هذا لنذكر ونفهم دلالة المنطقة الحضارية
في ديالكتيك الحضارات بعد أن قرأنا نحو
٨٠٠٠ كلمة في بحثه الذي استند على ١٢
مصدراً يعرفنا بها تعريفاً كلما وقف عند
واحد منها ، وبعضها من تصنيفه هو بالعربية
أحياناً وبالإنجليزية أحياناً أخرى وبالفرنسية
أحياناً ثالثة .

دعني وأنا بصدد الكتابة باللغات الأوربية
أقول لك إن صاحب الحديث عن احتجاب
مصر كتبه بالإنجليزية تنافس هذه العربية .

أنا عاشرت هذه اللغة سنين وجدته
لا أفقه الذى يريد صديقى الطيب بهذه العبارة :
إني أذن غير فطن . إن كنت ذاك ، فأين
النطن الذى يفهم عن صديقى مساق فكرة
تحمل له مفردات تكاد لا تنطق وصياغة
تهز اهتزاز من به دساتير : « زار » . تلمح
بضعاً هنا وبضعاً هناك بعد ثانية . ولا
تلقى الأقطار . تراها وحدة تنبئ .

وقبل أن أروح أضع بين يديك نماذجى
الأخر التى وعدت ، أحب لنا أن نقف
لحظة مع الترجمة ، لأن بعض هذه الصحف
أوقفت نفسها عليها . عرفت بحق أنا
كغيرنا من الناس ، نحتاجها كل عصر ودهر
نظل بها على الآخرين ، كما أطلت من
قبل أيامنا الزهر فى عهد هارون والمأمون ،
وأطلوا علينا ينقلون عنا ابن سينا وابن حزم
والفارابى . طيب هذا . طيب أن ينقلوا
لنا الذى يرى الآخرون .

لكن تعالوا معى لترجمة فى صحيفة من
صحف أيامنا شرعت منذ سنتين
ترجم لئسا ما تختار من كتابات فى
صحف أوربا وأمريكا . سترون معى أن
العلاء الكاتبين الذين يترجمون لهذه الصحف
لا يعرفون غير ألفاظ مسخوطة فى العربية .

وأسوق البيئة على ما أقول مرة ثانية ،
ولا يعينى ما يقولون ، وإن كنت
أرى أنهم حين يتحدثون إلينا لا يقضون
وقتنا كافياً يعلمون ، يقرءون صدرا من الكتاب
لا الكتاب أجمعه ، لا يعينى هذا إلا قليلاً .
تعينى لغة الترجمة .

أنقل لكم عن حديث عنوانه « تحولات
الإسلام فى أفريقيا السوداء » كلمة تحولات
تبدو هنا بلغة عربية واجفة الأوصال
لا تؤدى بالطبع إلا لفكر شبيه بها يكاد ألا
يكون له أوصال : « يشكل أتباع الإسلام
فى الصحارى الجنوبية مليوناً من الرعايا
فى الوقت الحاضر ، (يعنى مايو ١٩٨١)
أى عشرين مرة أكثر من العربية السعودية [!]
إلا أن تلك الكتلة الهائلة من المؤمنين ، الذين
من الفئة المتوسطة فى القارة ، غالباً ما ينظر
إليها - بتعجرف - عقائديون شتى ، مستشرقون
أو علماء بالإسلاميات وسواد المسلمين
فى سائر أنحاء العالم . وقد تجد ذاك الاحتقار
فى نماذج تكونت فى العصر الذى كان فيه
السود الجنوبيون يشكلون غالبية الطبقة
المستعبدة الشرقية والغربية ، وهو يندرج
فى جملة من الآراء المسبقة الهدف ، منها تهميش
أفريقيا الجنوب صحراوية » . فقرة كاملة ،
لا يعينى فيها الخلط فى الفكر ولا الإبهام
فى الحقائق .

لا ، سادتي ، لا أحسب أحدا في هذه الطائفة من الذين يترجمون لنا منهم النصيحة ، لكني أحسب أنهم عجلون على مكان في موكب الذكاء العربي ومن يدري ربما كان بعضهم يريد ليثاب على كلامه هذا بمال مبدول على أيامنا هذه للقادرين وللغاوين ، لا تمييز . لن نحسن صنعا إن سكتنا ، وإن كنت لا أعرف على التحقيق ما الذي نفعل كيلا يحيق بنا سوء الذي يكتب هؤلاء ويترجمون . وأنا لا لأظلم حين أقول إن الأقلام التي تكتب هذه النماذج ، والعقول التي وراءها ، لا يمكن لها أن تعجزنا بالذي قد تقول عن دراساتها في المعاهد والجامعات في أوروبا وأمريكا ، هناك ما يحملنا على الظن بأنهم أخذوا من تلك المعاهد والجامعات ما استطاعت أن تعطيه لهم من معارف ، وعادوا يحملونها في عقولهم وقلوبهم ، يحبون أن يأخذوا بيدنا للجديد في جوف الحديد ، كما قلت . صرفتهم العجلة الالهة ، واحسرتاه ، أن يذكروا أن في بحر حافظ إبراهيم صدقات تعينهم على حمل هذا الذي يحبون لنا . إن سألو الغواص عن تلكم الصدقات . أكثرهم ما سأله .

لن أمضي في هذه النماذج ، أرجو أن أكون سقت الذي يكفي ، لأدلل على دعواي ، لكني أختم حديثي بظاهرة ، أضعها جنب هذه الظواهر التي إليها أشير ، لتعمل الذي نستطيع كيلا تضيع بيننا ، فتفسد الجهود المتأنية التي ينفقها المنذرون أنفسهم للغة .

الظاهرة التي أراها ، وأدعو إلى أن نأبأها ، هي جهود بعضهم لإصلاح - أو تجديد العربية من خارج فقهاء وخارج مناخها وتاريخها . على القربي القرية بين اللغة الإنجليزية واللغات الأقدم : اللاتينية واليونانية ، يقول لنا واحد من ثقافة دارسيها : « يستحيل على لغة ، أية لغة ؛ أن تنمو نموا ينطق بحاجات أهلها في زمانهم الذي يحبونه ، إن فرضت على تلك اللغة فرضا ، قدرات لغة أخرى أولغات وإن كانت أسرة تلك اللغات فاتنة » . يجب أن نصف الإنجليزية بنموها هي من جوفها ، مفرداتها ، صياغة تلك المفردات ، أسلوبها مذاقها ، والإنجليزية لغة كثيرة التعقيد ، ما ينبغي لدارسيها والكاتبين بها أن يجلبوا لها تعقيدات أخرى من اللاتينية ، يرجون أن نراها بعيون تلك اللغة ، وما عيونها هي أقل حدة . تلك عيون لها طرائقها ، وللإنجليزية عيون ذات طرائق ، وهي مع هذا لا تنكر أن بينها وبين اللاتينية وغيرها من اللغات مشابهة ، ننسى أكثر الأحيان أنها افتراض لا واقع ، على الدارسين أن يقفوا طويلا عندها ، يكتشفون الصحيح من تلكم الافتراضات والباطل .

على علمائنا الكتاب هؤلاء أن تفتنهم الكتابات الأوربية فلا يقرؤنها ضوءاً ينير عقولهم ، ويعدها لتكون أكثر اقتداراً على العيش مع لغتهم الأصل وانتقاعاً بأصولها وبالذي خبرته عبر السنين . يحدثنا واحد من هؤلاء حديثاً عن «اتهام نظرية شومسكى» ويبدو لي من دعوته الجامعة التي ينتمى إليها أنه يأخذ من المنبع نفسه؛ أى كتب شومسكى وتلامذته المكتوبة بالإنجليزية؛ ذلك لأن في صفوفها توليديين . وليكن هذا مرامه من بحثه ، لكنه مرام بعيد بعداً تماماً يريد أن يحدثنا عن «النمو التوليدى» فى فقرة من فقراته الأولى ، يقول : تشهد بداية عام ١٩٧٧ على ظهور أول كتاب لشومسكى ، فى هذه الفترة الزمنية استطاع شومسكى أن يركز قواعد نظريته الألسنية التي أسماها بالنحو التوليدى .

هذا التركيز قد تم بواسطة نقد ذاتى متواصل لتطوير النظرية حتى تصير علماً ، فالفرق شاسع بين فكرة استقلال النحو الموجودة بكتاب هياكل نحوية وفكرة وجوب

تلاحم المركب المعنوى بالمركب النحوى الموجودة بكتاب مظاهر من النظرية النحوية .

لكن فرضية شومسكى لا يمكن إثبات نجاحها إلا بعد درس كل اللغات الإنسانية . ولذا عرفت الألسنية التحويلية بأهمها فرضية استنتاجية خلافاً لطريقة الهيكلية التي هى استقرائية استنتاجية . وهذه كأخواتها فقرة كاملة لا أعرف إن كان أحدنا أدرك ماذا يريد لتلك الجامعة أن تعمل بشومسكية هذا . لكن أكثرهم يطلبون إلينا الذى لا نستطيع . وإن أحببنا أن نسمع كلامهم . أتذكرون ذلك الذى طلب إلينا أن نقرأ التاريخ البشرى كاه بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين لنذكر ديكالكتيك «احتجاب مصر»؟ صاحبنا هذا أكثر إيماناً بقدراتنا ، يطلب إلينا أن نعرف كل اللغات الإنسانية لندخل النحو التوليدى فى جامعاتنا .

جمال محمود أحمد

عضو المجمع المراسل من السودان



التعبير العلمي ولغة العلم

للكبير ابراهيم ابراهيم

ما تستخدمه العامة من بسطاء وجهلاء ،
ويتميزون عنهم في جزالة العبارة وحسن
السبك ، ولذا كانت لغة الخاصة غريبة على
العامة ، وإن لم تخرج عما ورد بالمعجم ،
لساناً وقلماً .

أما أهل المهنة الواحدة والعلماء ، فإنهم
في محيطهم العلمي الزاخر وحياتهم العلمية
المتطورة ، كثيراً ما يخرجون اللفظ عن
معناه اللغوي الأصيل ، فيستخدمون الفعل
مجازاً والاسم كناية ، للتعبير عما يدور في
فلكهم من أسباب ومسببات ، ويعين
في خلداهم من أفكار وتصورات ،
وما يجري حولهم من ظواهر وتفاعلات ،
وما يحتاجون إليه من عدة ووسيلة ،
وآلة ونيبطة ، إلى غير ذلك ، من فعل
ورد فعل ، وسكون وحركة ، واتزان
وابتكار وتشديد ، وكشف جديد ، من
أسرار الكون والحياة ، ما شاء الله أن
يعرفوا . ومن ثم نشأت لغة العلم وما إليها
من رموز وأشكال ومصطلحات وتعبير
علمي .

مرجعا أو بحثاً علمياً في
غير تخصصك وأقرأ فيه
فقرة أو اثنتين ، ثم سل
نفسك عما فهمت مما قرأت . فإن كنت لم تفهم
بعد ، فارجع البصر إلى الكتاب مرة أخرى
وأقرأ ما سبق لك أن قرأت ، لعلك تكون
في هذه الكرة أكثر حظاً منك في سابقتها .
ولكنك على الأرجح سوف تدرك قصورك
عن فهم المعنى ؛ كانه أو بعضه على الأقل .

ذلك أن العبرة هنا ليست بفهم المفردات
من أفعال وأسماء ، على نحو ما جاء ذكره
في المعجمات اللغوية ، وهي والله الحمد
زاخرة بالشرح والتفصيل ، وذكر أبواب
النحو والصرف والمصادر والمشتقات وكذلك
الجموع إلى غير ذلك ، مما يكفي الناس في
المحادثة والمراسلة ، والتعبير عما يريدون
ويشعرون .

إلا أن لغتهم تختلف ، رفعة وضعه
وغزارة وقلة ، باختلاف عقولهم وثقافتهم .
فالخاصة من أدباء وخطباء وشعراء ،
يستخدمون من المفردات والألفاظ أضعاف

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة من مؤتمر
الدورة التاسعة والأربعين (السبت ٢٠ من جادى الأولى
سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٨٣ م) .

وهي لغة تشترك مع النثر في بلاغة المعنى ودقة التعبير ، وتترك له بلاغة المبنى وسحر البيان . إذ أنها لغة المختصر المفيد والسهل الممتنع ، في وضوح وصراحة ، وأمانة ودقة . كما أنها تشترك مع الشعر في التناسق والخيال ، وتختلف عنه في البعد عن المبالغة والغواية ، وفي الاستمساك بالحقيقة وواقع الأمور . ولعل أكبر اختلاف بين لغة الأدب ولغة العلم يتمثل في أن الأولى أكثر وطنية وقومية وتعلقا بالتراث ، في حين أن لغة العلم أقرب إلى الدولية والعالمية ، فهي لا تعرف الحدود الجغرافية ، ولا تعترف بالأصول و قدسية القديم ، بل تعيش في تطور مستمر ، وفقا لما تكشف عنه البحوث من أسرار ، وما تجود به القرينة من تجديد وابتكار . ولذا كانت كنوز الأدب في إحياء القديم ، وثروة العلم في الكشف عن الجديد .

وإن شئت فقل إن الأدب غواص يطلب اللآلئ من الأصداف ، أما العلم فببناء يصنع الدرر بإذن الله . أو أن الأديب ناسك يقصد خلق الله ، ويعبده بصلاته ونسكه ، أما العالم فيعبد الله بالبحث عن الحقيقة والاختراع ، وإتقان العمل والإبداع مؤمنا بأن إبراز قدرة المخلوق برهان على قدرة الخالق . وما الفرق بين الأديب والعالم . إلا كالفرق بين الصمت وبين الكلام ، أو بين السكون وبين الحركة ، وكل ميسر لما خلق له .

وإنك لترى الأديب في أدبه سائرا بظهوره ، ناظرا إلى الماضي وما قد سلف . وترى العالم في علمه سائرا بصدره ، متطلعا إلى المستقبل وما سوف يخلف . ولذلك كانت المعاجم اللغوية جامدة ، ترجع في فحواها إلى ما سبق ، وفي فتحها إلى الأوائل .

أما المعاجم العلمية ففي زيادة مطردة ، تضيف أسماء جديدة لمسميات ومخترعات ، وتقتبس من غيرها من اللغات تعريبا وتوليدا وتزيد من التعبيرات والمصطلحات ، لتفي بالحاجة المتطورة إلى مزيد من الدقة والشرح .

وهي فوق ذلك تستعين بالأشكال إلى جانب الأقوال ، وأبرز ما يكون ذلك في مجال الهندسة ومحيط المهندسين ، وما إليهم من مهنيين وحرفيين . فالرسم هو اللغة الدولية للهندسة وأهناها والشكل الواحد يغني عن صفحات من الكلام . كما يستعين المهندس بالرموز ، وفي ذلك إيجاز وإعجاز . ويستخدم الأرقام والأعداد ، في بيان الأبعاد ، طلبا للتحديد والتحديد في الكم والمقاس . ولولا كل هذه الوسائل لما أمكن للمهندس أن يعبر . عما يريد في محيط فكره وعمله . ولو أنه اقتصر على حروف الهجاء والألفاظ ، كما هو الحال في لغة الأدب ، لأعيته الحيلة ، وسدت أمامه السبل .

ولا يفوتنا ، ونحن في صدد الكلام عن لغة العلم والتعبير العلمي ، أن نذكر

أثنا نستخدم في واقعنا لغة عامية ، تقرب أو تبعد عن العربية الصحيحة وفقا لثقافة المتحدث ، ودرجة تمكنه من قواعد النحو والصرف والبيان . وهي لغة منطوقة لا مكتوبة ، وتختلف من بلد إلى بلد . ولذا فإننا نركن ما أمكن إلى العربية الصحيحة في الكتابة بيننا ، وفي التفاهم مع غيرنا من الناطقين بالعربية . وفي ذلك مشقة لا يعرفها أبناء الدول الغربية ، الذين يكادون يتكلمون كما يكتبون بلغة سليمة .

ولاسيلا لنا إلى تخطي هذه العقبة إلا العناية بتدريس العربية في المدارس ومعاهد التعليم ، والنهوض بما يطبع وينشر ، وينداع في الصحافة ووسائل الإعلام ، ولا شك أن انتشار التعليم ورفع مستوى الثقافة كفيلا بالتغلب على هذه الصعوبة حتى تصبح لغة الخطاب هي لغة الكتاب . ثم نرفع هذه اللغة المشتركة بعد ذلك إلى مصاف الفصحى . فيتحد اللسان مع القلم في البلد الواحد ، ثم في جميع البلدان الناطقة بالعربية إن شاء الله .

وإلى جانب هذه القضية الأدبية ، تقوم قضية علمية ، تتعلق بالمفردات والمصطلحات وأسلوب التعبير العلمي . فنحن في نهضتنا أخرج إلى مواكبة الغرب في علمه الحديث ، لنستقي منه حتى نضاهيه ، ثم بعد ذلك نعطيه . وليس أدل على ذلك من

البعثات العلمية ، التي توفد إلى الخارج لتستزيد ، وتتمرس على البحث وتفيد ، ثم تعود ناقلة إلينا الطريف والجديد . ولا جناح علينا في ذلك ، فهذا ما حدث وما يحدث بين البلاد الغربية ، بل وبين الجامعات والمصانع في البلد الواحد والبلدان المختلفة . ولكن الصعوبة التي تعترضنا هي نقل هذه المصطلحات إلى اللغة العربية .

وهي صعوبة لا تعن للدول الغربية ، لأنها سارت موكب العلم الحديث من بدايته ، ولم تتخلف عن ركبها ، وإنما تفاوتت سرعاتها تبعا لتقدم كل منها في هذا المضمار . وكان من شأن ذلك ، أن دخلت المصطلحات والتعبيرات العلمية تدريجيا في اللغات الغربية .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن جميع هذه اللغات ، تمت بصلة إلى اللاتينية ، أدركنا أن صيغة هذه المصطلحات تكاد تتقارب في جميع تلك البلدان . ذلك أن العلوم جميعا كانت إلى عهد ليس ببعيد تكتب وتدرس باللاتينية في كل مكان . ثم بدأت حركة الترجمة تباعا في بلد بعد آخر . ولا تزال آثار اللاتينية باقية في مواقع كثيرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسماء التي أعطيت للعناصر والمواد ، ثم العدد والآلات ، ومن بعد ذلك للمنتجات ،

ترجع إلى اللاتينية وتتركب منها ، ومن أجل ذلك تقاربت التعبيرات العلمية في اللغات الحديثة لدرجة كبيرة ، حتى إن البعض لم يجد صعوبة في فهم مصطلحات البعض الآخر ، على اختلاف لغاتهم ، وانحصرت الصعوبة في فهم اللغة الأجنبية ذاتها ، من حيث قرنها أو بمعناها عن لغته الأصلية .

ولكن الأمر يختلف عندنا تماما . فلغتنا أصيلة ، ولا تمت إلى اللاتينية بصلة ما ، بل إنها بالنسبة إلى لغات البلدان المتاخمة مورد ومعين ، كما هي حال اللاتينية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية .

فهل ننقل مصطلحاتهم العلمية على علاقاتها ، ونستخدمها كما هي في تعبيراتنا العلمية ؛ أو أننا نرجع إلى معانيها ، فنترجمها إلى لغتنا ، ونستخدم هذه الترجمة كبديل للمصطلح الأجنبي ؟ لا جرم أن لكل من الطريقتين مآلها وما عليها .

فإن كانت الأولى ، فلا شك أن الكلمة الأجنبية ستظل غريبة عن بيئتها الجديدة ، ولو عوملت منا معاملة الكلمة العربية نحواً و صرفاً ، من حيث الشكل والاشتقاق . ولكن استخدام هذه الكلمات في كتبنا العلمية سوف يفتح لنا أبواب المراجع الأجنبية في شيء من اليسر . أما إذا كانت الثانية ، فسوف لا يكون هناك نشاز في كتبنا العلمية العربية ، ولكن ورود

المراجع الأجنبية سيصبح صعب المنهل علينا ، أو في شيء من العسر .

والواقع أن تعريب المصطلح العلمي الأجنبي ، في وقتنا الحاضر ، قد بدأ بالمجهود الفردي ، على أيدي نفر من أهل العلم والأدب ، لسد حاجة المدارس والباحث على السواء .

ولذلك جاءت هذه المحاولات متباينة لاختلاف الأسلوب والدار . فحمل الشيء الواحد عدة أسماء ، والعمل الواحد جملة تعبيرات ، تستحسن في مكان ، وتستهجن في غيره ومنها ما قلدر له البقاء ، كما أن منها ما وثد يوم ولد .

وإلى جانب جهود المترجمين والمؤلفين انتشر العديد من المصطلحات والتعابير بين المهنيين والحرفيين في تعاملهم مع الحاليات الأجنبية ومع زملائهم من الأجانب المستوطنين . ولا تزال آثار هذه المحاولات المعربة والحرفة ، باقية إلى الآن متوطدة الأركان ، بين الصانع والتاجر ، وبين المهندس والعامل ، وسارية على ألسنة غيرهم من الناس .

ولقد قام لفيف من الناشرين وبعض الهيئات بجمع هذا الشتات في معجمات ، كما ضمها البعض قواميس اللغة ، في مصر وغيرها من البلدان الناطقة بالعربية . وأصاب بعض هذه الجهود نجاحاً ورواجاً ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « معجم

المصطلحات الطبية » للدكتور محمد شرف
رحمه الله ، « ومعجم المصطلحات الفنية »
الذي تبنت فكرته القوات المسلحة ،
والذي عكف على إخراجها نخبة من المهندسين
ونفر من العلميين ، نذكر منهم الأستاذ
مصطفى نظيف رحمه الله .

ثم بدا لنا أن ترك الأمر للجهود المبعثرة ،
فيه عبث باللغة وضرب بالعلم إلا يحسن
السكوت عنها . فعنى مجمع اللغة العربية
يقضية التعريب إلى جانب عنايته بشئون
اللغة ، وضم إلى عضويته عددا من
أهل العلم من المهنيين ، وشكلت منهم
ومن أعضائه اللغويين ، مع نفر من
الخبراء ، عدة لجان للعلوم المختلفة ،
وعهد إليها اختيار المصطلح العلمي
الصحيح المقابل للأجنبي في المعجمات
العلمية ، وتعريفه بما يكفى للدلالة عليه ،
لعرضه على مجلس المجمع للموافقة ،
ثم على المؤتمر السنوي للاعتماد ، ويضم
هذا المؤتمر أعضاء المجمع من المصريين
ونخبة صالحة من العرب والمستشرقين .

هذا وتسير اللجان حثيثا على نهج
قويم ، جادة في طلب المصطلح العلمي
الصالح ، مسترشدة بما يجرى على السنة

أهل الصنعة ، ومهتدية بما وصل إليها من
التراث القديم ، ومستأنسة بما ورد في
المعاجم الحديثة ، وما ألف وترجم ونشر
في الوقت الحاضر ، لتستخلص أحسنه
سبكا وأقربه قصدا . فقد يكون العرف
لخارى خيرا فتبقي عليه ، إلا أن يكون
ركيكا أو ذا عوج لغوى . وقد تجد
في النصوص القديمة مصطلحا وافيا
بالغرض ، أو تعبيراً كافيا ، فتبعته
من جديد . أو تلمس في جهود المحدثين
ما أصاب الهدف فتقره وهكذا . فإن
لم تجد بين أيديها ما يقابل المصطلح
الأجنبي تماما ، ويؤدى معناه ، عمدت
إلى التعريب والتوليد ، أو أخذت المصطلح
الأجنبي ، كما هو ، إن لم تجد بدا من ذلك ،
وألفته شائعا ومستساغا ، وقد حدث ذلك
كثيرا في مثل الكيمياء ووحدات المقاس
والمعايرة .

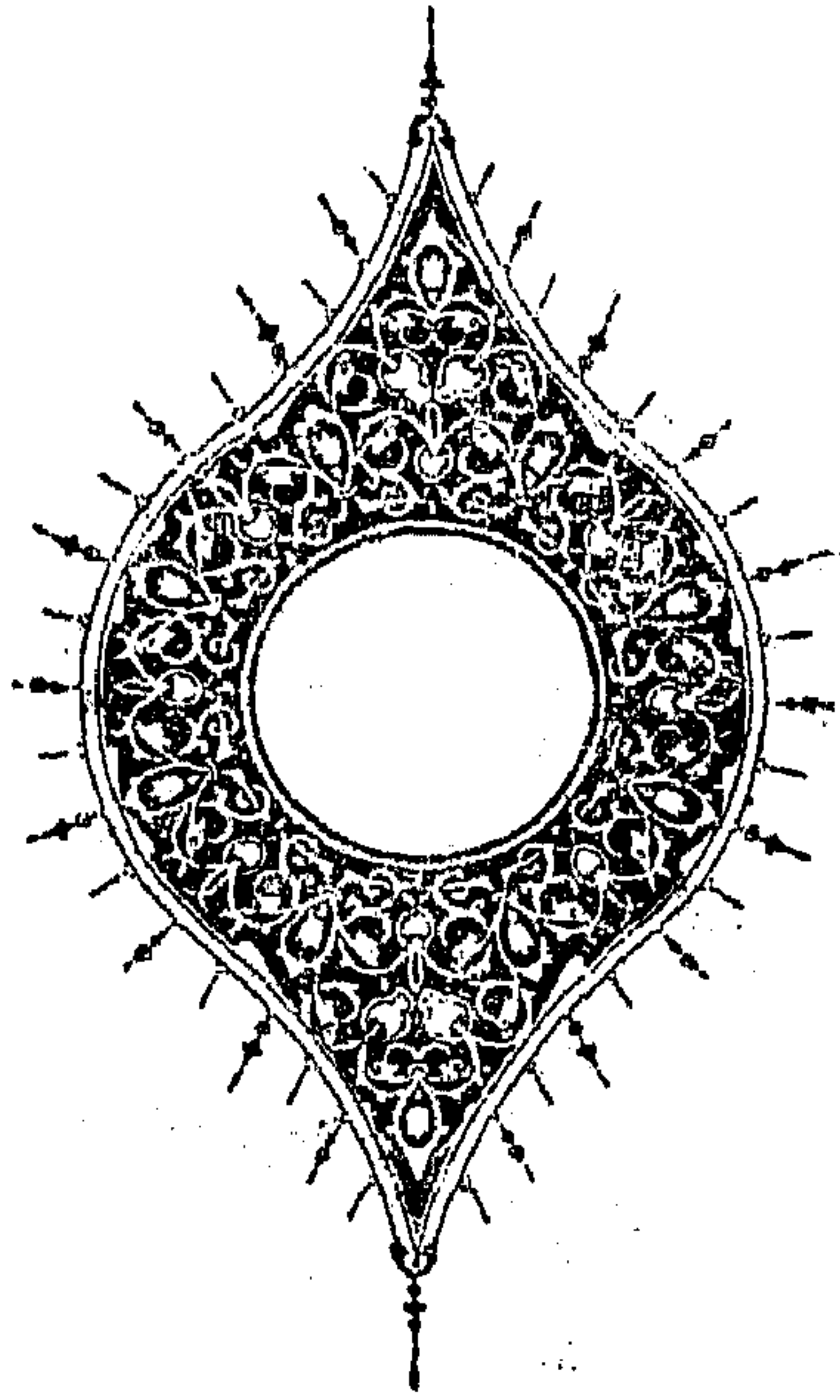
والجمع جاد في طبع ما وصلت إليه
لجانه ، وأقره مجلسه . ولا شك أن
اعتماد المؤتمر السنوي هو من سبيل
النشر في محيط العربية الفسيح ،
والاستشراق أيضا . والفيصل الأخير
هو أن يشيع المصطلح بين أهل الذكر
وأن يعيش بين الناس . ولا سبيل إلى ذلك

إلا باستعماله في التأليف والترجمة ، وفي
المحاضرات والندوات العلمية .
ونحن في مجتمعنا وبيئتنا نؤمن برسالتنا
ونجد في السير على الدرب ، ونأمل
أن نجد من أهل العلم والمهنة تعاوناً صادقاً
وموازرة ، لا في مصر فحسب ، بل
في محيط العربية الرحب ، ومجامع اللغة
في بلدانها ، والهيئات العاملة على التعريب
والترجمة والتأليف فيها .

ونسأل الله تعالى العون والمشورة ، حتى
نجمع الشمل على لغة فصيحة واحدة ،
لساناً وقلماً ، وندرس العلم بمصطلح
موحد فنُسَدِلِ الستار على الخليط السائد
الآن من العربية العامية والمصطلح الأجنبي .
والله من وراء القصد ، وهو
ولى التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

أبراهيم الدمرداش
عضو المجمع



المصطلح العلمي في التعريب

للدكتور عبد العظيم مصطفى صابر

والكشف عن أسرارهِ ، قد دفعهم للبحث
وأعانهم عليه ، والآيات القرآنية في ذلك
كثيرة منها :

« أَوَّلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » .
(الأعراف ١٨٥)

« قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ . . . » .
(يونس ١٠١)

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ »
(العنكبوت ٢٠)

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . . . وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ . . . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ » .

(الفاسية ١٧ - ٢٠)

السيد الرئيس
الأساتذة الأجلاء
سيداتى وسادتى

لقد تكلم في موضوع تعليم العلوم ،
وتدريسها باللغة العربية الكثيرون ممن
يبدؤوني علماء وتبحراً في اللغة وتطبيقاتها ،
وأدلوا بأراءٍ سديدة ، وخطط محبوبة
محكمة ، واقتراحات بناءة ، فليس هناك
من جديد أطرقه إلا ما قد يعنى لى من
بعض ملاحظات أقولها بالاختصار .

لورجنا إلى أول عهد النهضة العربية
لوجدنا أن العلوم وتعلمها وتدريسها كانت
بالنسبة إلى العرب شيئاً جديداً طارئاً ، بل
ربما كانت من الطلاس ، لكن القرآن
الكريم والدين الإسلامى الحنيف ، وما جاء
به مما يحثهم ، بل يأمهم بالسعى إلى طلب
العلم والمعرفة وتفهم نواميس الكون ،

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر المجتمع في دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

« أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ » .

(ق ٦)

« فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ
خَفِيَ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْنِهَا . . . »

(الروم ٥٠)

ومن الآية التاسعة والتسعين من سورة
الأنعام قوله تبارك وتعالى :

« انظُرُوا إِلَى اللَّهِ إِثْمَرَ إِذَا أَثْمَرَ
وَيَنْعَمَ . . . »

(الأنعام ٩٩)

فسعيًا وراء ذلك واستجابة لأوامره
سبحانه وتعالى ، اتجه العرب والمسلمون
إلى طلب العلم والمعرفة والعمل على نشر
العلوم وتطويرها ، واضطروا في أول الأمر
أن يلجأوا إلى من سبقوهم إلى هذا الباب ،
وعهدوا إلى غيرهم - ممن هم على بينة -
باللغات الأخرى من النساطرة والنصارى
 وغيرهم - لترجمة ما هو مدون في كتب
العلم باللغات الإغريقية والفارسية والهندية
والتبثية

ولما كان لسان هؤلاء المترجمين غير العربية
فقد أدخلوا في ترجماتهم كثيرًا من الألفاظ

والمصطلحات المعربة ، ولكن من خلفهم
من العلماء الذين يجيدون العربية
والمتحمسين لها ، مثل البيروني وكثير
غيره ، قد استعملوا ألفاظًا عربية سليمة ، بل
ابتدعوا منها الكثير ، لتسمية ما استعملوه
من الأجهزة والأدوات ، وما استكشفوه
من الأسرار والعمليات ، وما توصلوا إليه
من معلومات .

فقالوا في الأدوات التي استعملوها في

دراساتهم : « بوظقة » وتعرف بالإنكليزية

الآن (crucible) ، والإنبيق (alembic)

تحريفًا من العربية) ، والقمع (funnel)

أما للعمليات التي كانوا يجرونها في تحضير

الأدوية وتجهيزها ، فقد وضعوا الألفاظ

العربية فقالوا : « التكليل » ويطلق عليه

الآن (calcination) و « التصويل »

و « الغسسل » للتنقية (elutration) ،

والتبخير (evaporation) ،

و « التصعيد » (sublimation) ،

والبسورة (crystallization) والاجساد

(solidification) ، والعقد

(congealing) والتقطير (distillation)

واشتقاقاتها ، ما يستجيب إلى ما يريدون إطلاقه من أسماء ومسميات على الأجهزة والأدوات والعمليات ، ولم يعيوا أن يجعلوا اللغة العربية لغة علم وتعليم ، فكتبوا وألقوا في جميع فروع العلوم بلغة عربية سليمة وافية ، وتذخر مؤلفاتهم هذه بالمصطلحات العلمية العربية الدقيقة الدلالة لما وضعت له في وصف النباتات وأجزائها ، والأدوية وأشكالها وخواصها وطرق تحضيرها ، والأمراض وأعراضها وعلاماتها وعلاجاتها ، والكيمياء وعملياتها وأجهزتها .

فعاينا أن نتتبع هذه المراجع ونستخرج منها المصطلحات ونهيئها للاستعانة بها في تعريب العلوم وتدريسها سيداتي وسادتي

إن العرب في عهد نهضتهم طوعوا اللغة العربية في خدمة العلم وتطويره وتقديمه مع أنهم بدأوا هم أنفسهم من فراغ عربي ، ولذا قد جهل الآن من يقول : إن اللغة العربية لا تصلح لتعليم العلوم أو تقصر في ذلك ، فاللغة العربية من أغنى اللغات ألفاظا إلى جانب ما لهذه الألفاظ من اشتقاقات تبلغ ستة عشر للفظ الواحد .

والترشيح (filtration) والاستخلاص (extraction) والغريلة أو النخل (sifting) ، والحل (dissolution) والتحليل ، وكلها عمليات كانوا هم مبتدعيها ومستكشفيها ، أما للمستحضرات الصيدلانية وأشكالها فأطلقوا : الحبوب (pills) ، والأقراص (tablets) ، والطلاء (paint) ، والنطول (spray) ، والشراب (syrup) تحريفًا من العربية (والسفوف والغرغرة والمرهم والمروخ (linament) والذرور (dusting powder) ، والمنقوع (infusion) والمغلي (decoction)

والفرازج (pessaries) وغير ذلك كثير مما ابتدعوه لاختراعاتهم واستكشافاتهم . كما أنهم استعملوا ألفاظًا اشتقوها لتدل على معان خاصة في تجاربهم العملية فقالوا مثلًا : « طرحة » للدلالة على الأجسام والأدوات المعاونة التي تحذف أوزانها في العمليات التقديرية الكمية الوزنية وهي ما يطلق عليها الآن بالإنكليزية tared التي ربما تكون محرفة من الكلمة العربية المذكورة .

ومن ذلك نجد أن علماء العرب لم يعجزوا أن يجدوا في العربية من ألفاظها

وقد قيل : إن باللغة العربية نحو ثلاثة ملايين مفرد^(١) ، فهي إذن لغة مطاوعة ، يمكن أن يصاغ من المادة الواحدة كلمات مشتقة كثيرة للدلالة على المعاني الخاصة التي نريدها بكل دقة .

سيداتي وسادتي

إن عدم إدخال اللغة العربية للتدريس في جامعاتنا لهو قصور من علمائنا ، العلميين منهم واللغويين ، إذ لو كنا أخذنا الأمر جدياً من أول نشأة جامعاتنا ، واستعنا بالمجهودات الكبيرة التي يبذلها مجمع اللغة العربية والهيئات الأخرى ، وكذلك الأفراد ، واستغل مؤلفونا وكتابنا وأساتذتنا جامعاتنا ما وضع من المصطلحات بدلاً من تهاوننا وتهاملنا ، لو كنا فعلنا كل ذلك لكان حالنا من تدريس العلوم على غير ما هو عليه الآن ، ولاستغنينا عن اللغات الأجنبية التي لا يجيدها طلابنا فتعوقهم أمام استيعاب العلوم بالتحقق والتعمق اللازمين .

حضرات السادة والسيدات
عندما أخذ الإفرنجية عن العرب علومهم وحضارتهم نمت لديهم تلك العلوم وذلك لأنهم بدأوا بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية أولاً ثم إلى لغاتهم القومية بعد ذلك ، ثم تزيدوا شيئاً فشيئاً ، وتخصصوا وتفوقوا وكفتمهم لغاتهم أول الأمر - بما يريدون ، ولكن - وقد طفرت المعرفة بالعلوم طفرات واسعة بالاستكشافات الحديثة المتجددة ، والتي أصبحت لا حصر لها - عجزت هذه اللغات القومية أن تتسائر هذا التقدم في وضع المصطلحات للمعاني المستحدثة ، فلجأوا إلى اللغتين : اللاتينية والإغريقية ، وعمدوا إلى النحت والتركيب المزجي وإضافة السابقات ، واللاحقات ، وما أكثرها في هاتين اللغتين ، واستغلوا ذلك في سبك ألفاظ جديدة ، وصياغة مصطلحات مستحدثة للمعاني المستجدة ، ومع ذلك فإن كثيراً من هذه المصطلحات العلمية الأجنبية لتقصر عن الدلالة على ما وضعت له من معانٍ دلالة

(١) معدل الاشتقاق من المادة الواحدة ستة عشر لفظاً ، أي أنه يمكن أن يكون في اللغة العربية ما يؤول على ثمانية وأربعين مليون لفظ ، بينما لا تحتوي اللغة الإنجليزية مثلاً إلا على ستة عشر ألفاً ، وتحتوي الفرنسية على عشرين ألفاً ، وكل من الطليانية والأسبانية نحو عشرين ألفاً .

الأجنبي ولو أنه لا يتفق مع ترجمته .
أما المصطلح (Brownian movement)

وهو يدل على حركة موضعية دائمة للجسيمات في الموائع ، أطلق نسبة إلى أول من لاحظ هذه الحركة ووصفها ؛ لأنه لا يوجد في اللغة الأجنبية لفظ يناسب ذلك المعنى .

ولكن في اللغة العربية يوجد لفظ يمكن أن يدل دلالة تامة على هذه الحركة ، إذ يمكن أن نسميها « حركة مَوْرِيَّة » من مادة مار يَمور مَوْرًا ، أي اضطرب وتحرك جيئةً وذهاباً في موضعه^(١) وقد وردت في القرآن بمعناها المطلوب ، فقال عز وجل في سورة الملك :

« آمَنَّا بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ » ، وفي سورة
الطور : « يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاوَاتُ مَوْرًا » .

ومن الأمثلة الأخرى المصطلح (midrib) وهو مركب من لفظين (rib, mid) وقد ترجم بالعرق الوسطى وذلك لورقة

دقيقة ، لذلك يجب أن نكون دائماً حاذرين ومتأنين ، وأن لا نأخذ بمبدأ ترجمة المصطلحات على علته ، بل يجب أن نتعرف أولاً على مدلول المصطلح وتعريفه وفكرة وضعه ، ثم الاجتهاد في اختيار أنسب لفظه عربي له حتى ولو كان المصطلح العربي المختار يختلف قليلاً عن المصطلح الأجنبي أو غريباً على السامع ، علماً بأن جميع المصطلحات الأجنبية المعربة تكون أشد غرابة من المصطلحات العربية ، فإذا أخذنا مثلاً المصطلح (sympodium) وترجمتها الحرفية : « متحد الأقدام » ، لا تتفق والمعنى الذي أطلق عليه ؛ فالمقصود به ساق النبات أو محوره الذي يتكون من سلسلة من الأجزاء أو السلاميات التي ليست من أصل واحد ، بل إن كلاً منها يقف نموه ، ثم يليه الجزء التالي من نمو أحد فروعها الجانبية ، فيظهر الجميع على امتداد واحد كساق واحدة ، فترجمة المصطلح تضلنا ، وعليه كان المصطلح العربي - وهو « ساق كاذبة » أو « محور كاذب » - أدل معنى ، وأصلح من المصطلح

(١) هذا ويجب أن نبتدئ عن ذكر أسماء الأشخاص في المصطلحات العلمية ، وإذا اُزِمَ وجب أن يكون ثنائياً ، وقد قررت المحافل الدولية مؤخراً عدم وضع مصطلحات بأسماء الأشخاص .

النسب وهذه الترجمة - وإن كانت سليمة ودالة ومستساغة - ليست أكثر دقة ولا أساس من كلمة « العير » التي ورد ذكرها في المعاجم والمراجع العربية دالة على المصطلح نفسه ، ولو أن هذا اللفظ في الظاهر غريب علينا ، إلا أننا سنعتاده بالاستعمال كما أنه لفظ عربي واحد يسهل النسب إليه والاشتقاق منه والتصريف فيه أكثر من التعامل مع مصطلح من كلمتين ، أما من جهة الغرابة ، فلا بد أن نذكر أن المصطلحات الأجنبية كلها غريبة على الأسماع حتى على أهل هذه اللغات أنفسهم .

لكل ذلك يجب أن نداوم على انتقاء المصطلح العربي الصميم ما أمكن ، وننبذ ما ليس بعربي سليم ، واستبعاد ما لا يتفق والذوق العربي .

فقولنا للمصطلحين (ultra violet rays)

و (infra red rays) الأشعة فوق

البنفسجية والأشعة تحت الحمراء

باستعمال ظرفي المكان « فوق » ،

و « تحت » يخرجنا عن المقصود أصلاً

من (infra, ultra) ويجب تصحيح ذلك

افنقول : « الأشعة فوق البنفسجية » ، و « الأشعة دون الحمراء » وهذا أدل للمعنى . وهنا يجب التنويه كذلك على أن المسابقات أي البادئات (prefixes) ، واللاحقات (suffixes) في المصطلحات الأجنبية تختلف معانيها باختلاف ما اتصل به ، فمثلاً السابقة (sub-) تعنى في مدلول المصطلح إما على التصغير كما في (subgenus) مثلاً فيكون بالعربية « جُنَيْس » ، وإما بمعنى شبه كما في (subglobular) شبه كروي ، وإما بمعنى تحت كما في (subterranean) أي تحت أرضي ، وإما بمعنى دون كما في (submicronic) أي دون مجهرى . وهناك الكثير والكثير جداً من هذه الملاحظات للتدليل على أننا يجب أن نكون حاذرين في انتهاج مبدأ الترجمة على علته دون التمعن في مدلول المصطلح .

سيداتي وسادتي

إن المقومات التي وجدت ، وما قام به مجمع اللغة العربية ، والمجتهدون من الأفراد ، وما قدموه ليثبتوا للناس جميعاً أن لغتنا العربية قادرة على اقتحام أسوار

المعارضات الجامعية وشرق طريقها إلى الكليات لتعليم العلوم باللغة العربية وجعل التدريس عربي اللسان ، والعمل على تأليف المراجع لهذه العلوم بالعربية والتدليل بها في الأبحاث العلمية . ولا أدل على ذلك من أنه أمكن إصدار دستور الأدوية المصري باللغة العربية وهو يقع في نحو (١٦٥٠) ألف وستائة وخمسين صحيفة ، ويشتمل على النواحي العلمية من صيدلية وطبية وطبيعية وكيهيمائية مستعملاً المصطلحات العربية الخاصة بكل من هذه النواحي .

فليكن هذا الدستور هداية وحافزاً لكل المتخصصين أن يدلى كل بدلوه في مجال التأليف بالعربية في التخصصات

المختلفة ، وأن يداوموا على تطوير اللغة العلمية وإثرائها لمواكبة التقدم العلمي ، وكفانا ما فات ، ولتكن النية صادقة ، فإن تصدق النية يصبح الأمر سهلاً غير ممتنع ويعُدُّ للغة العربية تقدمها ومكانتها الأولى في العلوم .

وفقنا الله إلى ما فيه الخير والصلاح وأدعو الله العلي القدير أن يمنحنا القوة على تحمل مسئولياتنا ، والهداية لما فيه السداد إنه سميع مجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العظيم حفي صابر
الخير بالمجمع



لغة الصحافة في الأردن د. سواز شيخ إبراهيم القطان

وكان في الفترة التي أمضاها في العقبة ومعان قد أسس أول جريدة اسمها «الحق يعلو» كانت تطبع على الجلاتين .

ولما استقرت البلاد وهدأت انتهى عهد الحكومات المحلية وأخذت السلطة تتركز في يديه ، وأما الإنجليز فلم يفعلوا شيئاً ، لاسلباً ولا إيجاباً .

في سنة ١٩٢٣ أنشأت الحكومة الأردنية أول جريدة وهي « الشرق العربي » وكانت الجريدة الرسمية الناطقة باسم الحكومة ، كان يشرف عليها الأديب والشاعر المعروف محمد الشريق وكانت لغتها سليمة ، وكان يكتب فيها عدد من الكتاب والأدباء والمعلمين .

جاء في افتتاحية السنة الثالثة ، العدد ١٠٦ تاريخ ١٠ ذو القعدة ١٣٤٣ مايلي :

« تستقبل هذه الصحيفة سنّها الثالثة بأمل ، داعية إلى خير العمل ، مستبقة ما ينفع العرب شعيباً وحكوماً ، وينهض بقوميتهم الحديثة علمياً وأدبياً وسياسياً واجتماعياً جهداً المستطاع . ونحن لاندعي العصمة والكمال ، فيما نخطه قلمنا أو يظمنن إليه شعورنا وتفكيرنا ، بل ندعي

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، حصلت

عنا

في بلاد الشام بلبلة في الحكم ، وذلك طبقاً لمعاهدة « سايكس بيكو » فقسمت بلاد الشام « سورية » أربعة أقسام : سورية الحالية احتلها الفرنسيون ، ولبنان كذلك ، وفلسطين : احتلها الإنجليز .

وبقيت سورية الجنوبية الشرقية ، التي أطلق عليها فيما بعد « شرق الأردن » ، بقيت في شبه فوضى فتألفت فيها ثلاث حكومات في الكرك ، وفي السلط ، وفي أربد ، كان يدير شؤونها أحد رجال الإدارة بالتعاون مع مجلس استشاري ، أعضاؤه من وجوه المنطقة وأعيانها وكان يمثل بريطانيا لدى كل حكومة من هذه الحكومات معتمد بريطاني لم تحدد صلاحياته كل التحديد في تلك الفترة القصيرة .

وفي هذه الفترة جاء الأمير عبد الله بن الحسين من الحجاز إلى العقبة ، ثم إلى معان وبعد مشاورات ومحاورات مع زعماء البلاد ووجهها قرر المسير إلى عمان ، فبلغها يوم الأربعاء ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٢١ .

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٥٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) .

الإيمان ، والإيمان القومي الخالص الذي يدفع
الدعاة من حملة الأقلام إلى التقاط الحكمة ، أين
وجدت ، فيبتدون بهديها ويقررون مبادئها
بتضحية وثبات حتى إذا أخطأوا الطريقة ،
وزلت بهم قدم الحقيقة ، كان لهم من إخلاصهم
ما يقيل العثار ، ويشفع ليلهم بنهار الخ . . .

وفيها مقالات في التاريخ ، وما قاله ياقوت
عن «الأردن» وبعض الأنظمة والقوانين وأخبار
تنقل «الأمير» وأخبار متفرقة : مثلاً : «وقع
زلزال شديد في اليابان» وأصدرت الحكومة
المصرية بلاغاً بعدم الحج في هذا العام .

« عطلت في سورية جريدة المفيد ، وبريد
الشرق » الشاعر :

إنما سمى الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما
لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد
معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه
أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو
نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف
معنى إلى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر
عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل
الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير . . .
العمدة :

وتجد رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب ؛
وأقوال لابن المتفح ، وفقرات من العمدة
مترجمة عن خصائص الأدب ومقالات متنوعة
عن الهند ، ودياناتها والفلسفة عند العرب
وبعض القصائد للشاعر الشريفي .

ومن الأخبار : دعا جلالة ملك بريطانيا
والملكة ، زيور باشا إلى حفلة شاي ملكية .
أقام المستأجرون في بيروت مظاهرة ضد
أرباب الأملاك وقع فيها قتلى وجرحى .
زار سورية أمير الشعراء أحمد شوقي بك
فاحتفت البلاد بقدمه .

وفي مطلع افتتاحية العدد ١١٣ ، ١٣ صفر
١٣٤٤ ، ١ / ٩ / ١٩٢٥ بعنوان «الانقلاب
الصحيح» .

مر على هذا الشرق العربي تطورات كثيرة
في هذا الربع الأول من القرن الحاضر ،
فقد دالت فيه دول ، وراجت سياسات
مختلفة ، وظهرت انقلابات عديدة ، ومرت
بهذه الأضغاع العربية أمم كثيرة ، شرقية
وغربية ، واختلف على منابرها أحرار وعبدان
ولكن رغم هذه التطورات والانقلابات مازلنا
نتعثر في مفاوز الحرمان ، شاعرين بحاجتنا إلى
الانقلاب الصحيح ، ولما تطلع شمس المشرق
فتخرجنا من الظلمات إلى النور ، أو قلمع
ناره الهادية ، وقد عسعس الليل وضل الحادي
وحار الدليل .

أما هذا الانقلاب فما أحسب فواعله في غير
نفسية الأمة وعقليتها وإرادتها ، لاني تصاريف
الأدهار ، وأيدي الأغيار بل ما أتمثله واضح
الفجر إلا بغلبة التربية والعلم ، وتوجيه النفس
إلى تقديس الغاية المشتركة في الأمة ، وإعداد
وسائل القوة الحديثة تأييداً لمطمحها الأقدس
الخ .

وإننا لانزال نحس نفس الإحساس، ونتجرع المرارة ونتمنى الأمانى نفسها، ولا نزال حائرين لا ندري أين نتجه .

وجاء في ختامها : « نعم حينما تتبدل عقلية الحاكم منا فيخفف من خيالاته وخطرسه ، ويذهب إلى أنه أمين مصالح الأمة لاسيدها المطلق الذى يتصرف بروحها وحقها أى شاء .

وحينما تتبدل عقلية الأمة فتخفف من عبادة الأقوياء، وتشعر بوجودها شعوراً صحيحاً ؛ مدركة معنى حاكميتها ، وكيف أن مصلحتها فى النزول على حكم الغاية المشتركة ، والوازع الذى يكفل صيانة أجمعها مادياً وأدبياً .

نعم حينما يشعر أغنياؤنا أن للأمة حقاً فى أموالهم ، متذوقين حلاوة هذا الحق ، وحينما يوقن حكامنا أن للأمة حقاً فى حاكميتهم متذوقين حلاوة هذا اليقين .

وحينما تشعر الأمة أنها سيدة أمرها وأمينة مصالحها، متذوقة حلاوة هذه السيادة والأمانة، أذن يا أخى أذان الفجر ، فجر السعادة القومية ، فجر الانقلاب الصحيح الثابت .

إن هذا الكلام الذى طرح منذ ستين عاماً لا يزال مطروحاً الآن . ولا نزال تائهين حيارى ، لا ندري أين نتجه ، ولا نملك من أمرنا شيئاً .

وأرجو المعذرة من هذا الشطط ، والاستطراد .

وتتابعنا الصحف : جرائد ومجلات ، فكان من الزواد الأوائل أستاذنا الأستاذ محمود الكرمي : أنشأ جريدة الشريعة صدر منها أعداد قليلة .

ثم أنشئت جريدة الأردن، أنشأها الأستاذ خليل نصر، ولا تزال تصدر إلى الآن وهى من أقدم الجرائد ، ولكنها جريدة محدودة لغتها ليست بمستوى «الشرق العربى» ولا «الشريعة» .

ثم صدرت عدة صحف منها « جريدة الوفاء» للمرحوم الأستاذ صبحى زيد الكيلانى وكانت لغتها جيدة ، الأستاذ صبحى كان أزهرياً ، ومن المعلمين المتمكنين ، درس مدة لا بأس بها فى مدارس الحكومة ، ثم اشتغل فى الصحافة إلى أن توفاه الله .

وصدرت مجلة « الحكمة » للأستاذ الكبير الشاعر الشيخ نديم الملاح ، فكانت ممتازة فى ماتحويه من مقالات علمية وأدبية بلغة سليمة وإخراج جيد ، وكان يكتب فيها عدد من الأساتذة فى اللغة والتاريخ والأدب والسياسة وغير ذلك ودامت نحو ستين على ما أذكر ثم احتجبت لأمر مادية .

ومن الجرائد التى ظهرت ، جريدة «الجزيرة» للأستاذ تيسير ظبيان، وكان كتلة من النشاط فى التعليم والكشافة والنواحي الاجتماعية، ودامت فترة طويلة ، ثم تحولت إلى مجلة باسم «الشريعة» ولا زالت تصدر بعد وفاته بحرها، ويشرف عليها أبنائه .

الإجمال لا بأس بها ، وأحياناً نجد فيها بعض الضعف .

فنن التعابير التي تظهر مخالفة للأصول مثلاً :

١ - « صادق الحاكم العسكري على قرار المحكمة » .

٢ - « رضخ فلان للضغوط » .

٣ - « من شجب الشعب الفلسطيني للروابط » .

٤ - « أمن له الشيء وتأمين الأخبار إلى أهلها » .

٥ - « دعت لجنة شئون المهنة إلى كما ودعت اللجنة المحامين المتدربين » .

٦ - « باشر بكذا بإجراء مسح . . . » .

٧ - « معروض للبيع قصر في كذا . . . » .

٨ - « قام معالي الوزير بزيارة إلى السيد كما استقبل رئيس المجلس في مكتبه فلانا » .

٩ - « تجرى الاستعدادات في مكتب كذا لتأمين اشتراك الأعضاء . . . » .

١٠ - « أعلن هنا رسمياً أمس أن وزارة الخارجية اللبنانية قد أبلغت أن المبعوث الرئاسي الأمريكي سيصل إلى فلسطين المحتلة غداً . . . » .

١١ - « بحث مدير زراعة محافظة كذا مع المسؤولين إجراءات تنفيذ تعليمات وزارة الزراعة وأكد المدير ضرورة تنفيذ هذه التعليمات . . . » .

وظهرت في أواخر الأربعينيات جريدة « النسر » لصاحبها المحامي صبحي القطب ، ودامت فترة ، كانت من الجرائد الرصينة ، بلغة جيدة تعالج إلى جانب السياسة والاجتماع الأدب والتاريخ وعدداً من الموضوعات ثم احتجبت .

وتتابعت الصحف والمجلات فكانت جريدة الحوادث وعليها مسحة يسارية ، وجريدة الشعب وجريدة الدفاع ، وجريدة فلسطين ، وعدد من المجلات ، الميثاق لصاحبها المرحوم شفيق رشيدات ، وكل هذه الصحف احتجبت .

وفي مطلع السبعين أنشأت الدولة جريدة الرأي ، وعينت لها مجلساً من عدد من الكتاب والمستولين ، وجهازها بمطبعة حديثة ، واستمرت مدة ثم تخلت عنها الدولة إلى عدد من الصحفيين يديرونها ، وكذلك تحولت جريدة فلسطين إلى جريدة الدستور لعدد من الكتاب ، وأنشئت حديثاً جريدة « صوت الشعب » ، أيضاً لا تقل عنهما ، وهذه الصحف الثلاثة اليوم هي الصحف الرئيسية في الأردن .

وهناك صحف أسبوعية : اللواء ، حسن التل ، وأخبار الأسبوع ، وجريدة الصحفي ، وغيرها .

وتصدر وزارة الأوقاف مجلة شهرية باسم « هدى الإسلام » وأخرى « الإسراء » .

ووزارة الإعلام تصدر مجلة شهرية باسم « أفكار » . ولغة هذه الجرائد على وجه

١٢ - « صحيح أن العالم لا يزال ينقسم
كعهده السابق إلى دول صناعية متقدمة »
وإلى دول نامية . . .

وصحيح أن الدول الأغنى لا تزال تهيمن
على شروط التبادل التجاري . . الخ .
« وفي طليعة المستجدات من الظروف المعقدة
أن الولايات المتحدة ومعها قوى دولية أخرى
قد رمت بقفاز السلام أمام العرب » .

١٣ - « ليقوم بمحاولة تلقي رسائل
تخاطرية ، ضمن إطار تجربة هامة سميت
بـ«الاختبار الكبير للتخاطرين موسكو وسبيرييا»
١٤ - « تم الخروج بقرار شكلي لا يطال
المجرمين . . » .

« تهايننا يا أبا فلان . . . وألف مبروك»
وكلمة مبروك تتكرر كثيراً في جميع الصحف
عوضاً عن كلمة « مبارك » . وهذا خيض من
فيض ، فلغسة الإعلانات تكتبها الجرائد
كما ترد إليها دون أن تصححها أو تنظر
فيها . .

وفي الضفة الغربية منذ أن كانت باسم
« فلسطين » كانت الصحف فيها ناشئة ، فكانت
جريدة فلسطين من الجرائد الرائدة ، لمؤسسها
عيسى داود العيسى ، ودامت مدة طويلة ،
ثم انتقلت إلى عمان بعد النكبة ، ودامت سنين
عديدة إلى أن استبدلت بجريدة الدستور
الحالية .

وقد تتلمذ على جريدة فلسطين عدد كبير
من الكتاب والصحفيين وكان محرر فيها الأستاذ
يوسف حنا ، وغيره من الكتاب المعروفين .
وكانت جريدة الكرمل لصاحبها الأستاذ
نجيب نصار ، وجريدة الحياة اليومية لصاحبها
خالد الدزدار ، وكان يشارك في تحريرها
الأديب الأستاذ عادل جبر ، والشاعر الكبير
خير الدين الزركلي والأستاذ الكبير أكرم زعيتر
ونخبة من الشباب المتحمس . وكانت جريدة
في مستوى جيد .

وفي الثلاثينيات صدرت جريدة « الجامعة
الإسلامية » لمنشأها الأستاذ سليمان التاجي الفاروق
وقد كان محرر فيها طائفة من كبار الكتاب ،
منهم الأستاذ علي ناصر الدين ، وسامي السراج
وإبراهيم الشنطي الذي أسس جريدة الدفاع ،
والأستاذ تيسير ظبيان ودرويش الشامي ،
وأكرم الخالدي ، وعبد الغني الكرمي ، وسامي
الشمعة وغيرهم من رجال الفكر والأدب .

وكان للجريدة شعبية كبيرة ، وإقبال كبير من
القراء ، ودامت فترة كان لها الصدارة بين
زميلاتها من الصحف .

وكانت « جريدة الجامعة العربية » لصاحبها
الأستاذ منيف الحسيني ، وهي جريدة تنطق
بلسان سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني وكانت
شديدة اللهجة على خصومه السياسيين .

وأصدر الأستاذان الكبيران خير الدين
الزركلي ، وإبراهيم الشنطي بالاشتراك مع

الأستاذ شوكت حماد جريدة الدفاع ، وهي يومية ، في يافا عام ١٩٣٨ ، فسارت على نسق جديد في تحريرها ، وأخبارها ، فانتشرت بسرعة بين جميع الطبقات ، واحتلت مكانة مرموقة بين الصحف العربية ، وكان محررها طائفة كبيرة من الكتاب ، وكانت تدفع لهم أجورا كبيرة في تلك الأيام . فكانت الجريدة فتحا جديدا في عالم الصحافة الفلسطينية الحديثة .

وصدرت مجلة صوت الحق لصاحبها المرحوم المحامي فهمي الحسيني ، وكان محررها الأستاذ المجاهد حمدي الحسيني الذي كان يقود جمعا من الشباب الاستقلالي لمكافحة الاستعمار .

وصدرت مجلة الفجر لصاحبها الأديبين الأستاذ عارف العزوني ومحمود سيف الدين الإيراني ، فكانت مجلة تقديمية تبحث في الأدب وتهتم بالقصص في سبيل فجر نهضة تقديمية جديدة .

وكانت جريدة مرآة الشرق ، لصاحبها الصحفي المعروف الأستاذ بولص شحادة ، من الصحف الموجهة التي تناضل عن عقيدتها بشجاعة وقوة وكان يكتب فيها كثير من الكتاب في شتى الموضوعات .

وأصدرت جريدة فلسطين جريدة باللغة الإنجليزية تولى تحريرها الأستاذ عزمي النشاشيبي والكاظم الهندي الأستاذ «أختر» وقد قامت الجريدة بالدعاية للقضايا العربية فترة من الزمن .

وأصدر الحزب العربي جريدته اليومية «اللواء» فقام على تحريرها الأديب الأستاذ خيرى

حماد والأديب الشهيد صبحي الطاهر وطائفة من الكتاب .

ومن المجلات الرصينة «مجلة العرب» لصاحبها الكاتب الكبير الأستاذ عجاج نويهض ، مترجم كتاب «حاضر العالم الإسلامي» وكانت المجلة لسان العرب في كفاحهم المشبوب ضد الاستعمار ، فكانت تنشر مقالات كبار المجاهدين والأدباء والسياسيين .

وأصدر فريق من الشباب في يافا جريدة يومية باسم «الشعب» كان محررها المشول الأستاذ كنعان أبو خضرة ، وكان سكرتير التحرير الأستاذ عبد الغنى الكرمي وكان الأستاذ آدمون ووك المشرف العام على إدارتها وسياستها ، واحتجبت سنة ١٩٤٨ بظروف الثورة .

وكانت مجلة المهماز لصاحبها الأستاذ منير حداد ، هي المجلة الوحيدة التي تصدر «كاريكاتورية» فتعالج الموضوعات السياسية بالرسوم اللاذعة .

وكانت جريدة الصراط المستقيم لصاحبها المرحوم الشيخ عبد الله القلقيلي تعالج الشؤون الدينية بالإضافة إلى موضوعات السياسة والأدب .

وكانت مجلة الإقدام لصاحبها طانيوس عبده نصر نسيج وحدها في عالم الصحافة ، لأن صاحبها كان محرر شتى الموضوعات بلغة مشوبة وأسلوب انفرد به صاحب «المشراط» الحاد .

هذه لمحة موجزة عن الصحف والصحافة
في الأردن بصفتيه .

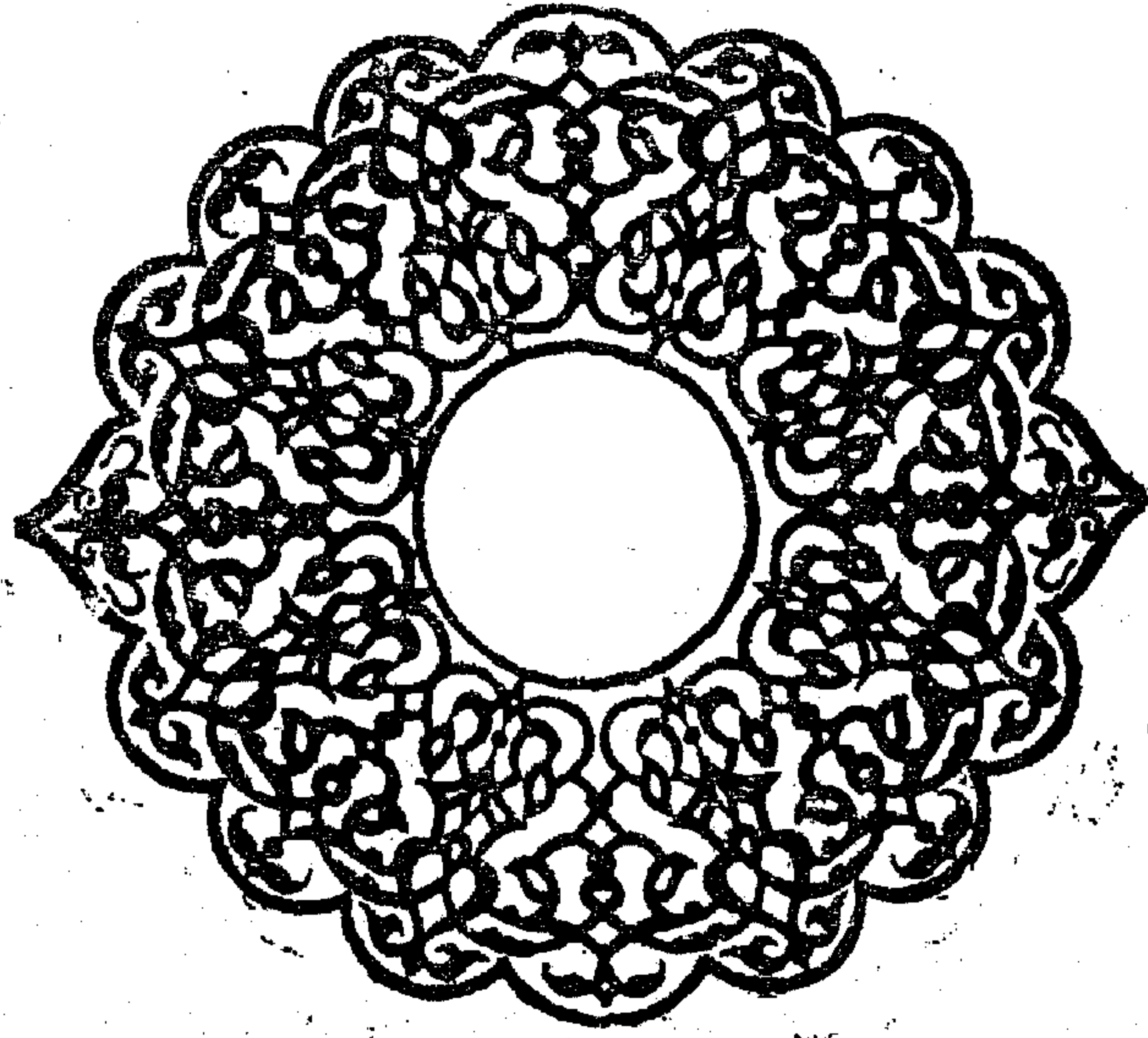
إن لغة الصحف في الأردن لغة سليمة في
الغالب ، ويشوبها أحيانا بعض الانحراف ،
وذلك آت من الكتاب الجدد ، وأرجو
المعذرة إن كنت أطلت بعض الشيء بالتعريف
بالخرائد والمجلات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم الغطان
عضو المجمع المراسل من الأردن

وأما مجلة القافلة التي كان يصدرها مكتب
المطبوعات في القدس فقد اشترك في تحريرها
عدد من الأساتذة منهم : الأستاذ علي الدجاني
وحازم نسبية ، ورفيق النمرى ، واسحاق رشيد
وقد تولى رئاسة تحريرها الأديب المعروف
حسن مصطفى .

وكانت مجلة « الصريح » للأستاذ هاشم السبع
وهو أزهرى متمرد ، وكان أسلوبه شديداً ،
ولسانه صارماً ، لا يسلم منه أحد ، واحتجبت
لوفاته رحمه الله ، فقد كان مرحاً خفيف الروح ،
متحمساً لأمة ووطنه .



تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات برطانية لإقليم العربية للكاتب عبد الهادي التازي

السياسي والاجتماعي للبلاد وكذلك الخريطة السياسية للمغرب وبقية جهات العالم من الأمم والممالك التي كان للمغرب اتصال بها من قريب أو بعيد .

وقد تجلت أهمية هذه الوثيقة من حيث إنها تقدم لنا المملكة المغربية ، وهي على وشك أن تستسلم أمام المؤامرات الدولية وتقبل التوقيع على معاهدة الحماية الفرنسية ، تقدم لنا هذه المملكة وهي تتمتع بسائر مقومات الدولة على خلاف ما كان الاستعمار يقوله من أن المغرب كان فراغاً .

لقد كانت الوثيقة دليلاً ناطقاً على أن المغرب - وهو على عتبة معاهدة الحماية - كان مثلاً للدولة الكاملة بملكه ووزرائه وخلائفه وحاجبه وقائد مشوره وكتابه وتشريفات الأسرة المالكة ومن يتصل بها من الموظفين السامين : قضاة وفقهاء وقواداً ومحتسبين ونظاراً ونقباء وأمناء ووكلاء وسفراء وسائر طبقات المجتمع . . .

احتفظت خزائن بعض الموظفين السامين المغاربة من الذين انتظموا في

لقد

سلك الدولة منذ النصف الثاني من القرن الماضي - احتفظت بوثيقة طريفة تتعلق بموضوع المخاطبات السرية ... وهي تعكس - دون شك - بعض الأنماط التي يمكن أن نتخيلها لمناهج المخاطبات والمراسلات بالأشكال والرموز في الفترات الماضية ... وقد نددت عن نقيب الدولة ومؤرخها مولاي عبدالرحمن ابن زيدان الذي قدم لنا صورة مشرفة عن معالم الدولة في كتابه « العز والصولة » .

والحديث عن الوثيقة التي بين أيدينا يستدعي منا أن نتناول عدداً من العناصر الضرورية لإلقاء الضوء على هذا « المفتاح » .

فأولاً : مصدرها . . . وثانياً : تحديد وقت كتابتها . . . وثالثاً : مكانها من الطرق الأخرى للكتابة السرية . . . ورابعاً : مضمونها، وهذا العنصر سيستدعي منا الحديث عن طائفة من النقاط التي تتصل بالوضع

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

كان مثلاً للدولة الكاملة، بما تتوفر عليه من جهاز للخارجية، يتمتع بقانون مالي وإداري وبموظفين أكفاء .

ولإي الجانب الدبلوماسي كان المغرب من الناحية العسكرية يتوفر على تنظيم بالغ العناية ، فهنا رئيس الحدود الصحراوية والحدود الشرقية والحدود الغربية وهنا كبير المحلة وسائر أنواع الجند من طبجية وخيالة ومدربين ومهندسين علاوة على الأسلحة والمواد الحية .

كان المغرب مثلاً للدولة الكاملة بما يتوفر عليه من نظام مالي يحاول أن يواكب الأنظمة العالمية الحديثة بما عرفه من عملات من شتى جهات الدنيا ، وبما عرفه من أنواع النقد ومختلف المعاملات .

كان مثلاً للدولة الكاملة بما توفر عليه من نظام دقيق في سير البلاط وتوزيع الوظائف على أهلها حسب الاختصاص، سواء أكان العاهل مقيماً في المدن أو على سفر . . . إن الدولة هي هي، سواء أكان الملك على كرسي حكمه أو على مطية جواده .

وهنا سنقف على المواد التي كانت تصحب الركب الملكي حينما تحرك وأينما توجه، وكأنه

مدينة مستقلة متنقلة بكل ما تحتوي عليه بمرافق المدينة .

كان مثلاً للدولة الكاملة بما عرفته أنظمة المواصلات بين المدن فيما بينها ، وبين المغرب وغيره من الدول كذلك ، فهنا سعاة البريد الذين يختصون باسم الرقاصة^(١) وقد كانوا مثلاً في الضبط والأمانة ، علاوة على ما يتمتعون به من بنية قوية وتجربة متطورة .

كانت هذه الوثيقة، بالنسبة إلينا، دليلاً جغرافياً صادقاً وضع أصابعنا على المراكز والمدن الساحلية للمغرب في بداية هذا القرن فهي حجة ناطقة بأننا لم نسلم إطلاقاً في حدودها الجنوبية والغربية ، بقدر ما كانت الوثيقة أمينة في أننا لم نتنازل بالنسبة لحدودنا الشمالية والشرقية .

وهكذا فهي تتحدث عن إقليم الصحراء وتعطيه ترتيبه بين الأقاليم الأخرى ، كما تعطى لطرفاية ولرأس بوجدور ولوادي الذهب أرقامها على نحو ما تفعل بسببية ومليبية ومغنية .

وكلنا يعلم عن مؤتمر برلين (نونبر 1884 يراير 1885) الذي أطلق اليد للدول الاستعمارية في الأقطار الإفريقية . . . وكلنا أيضاً يعلم عن جواب الملك الحسن (الأول)

(١) جمع رقاص : ساعي البريد ، واللفظ من المصطلحات الحضارية التي استعملها المغرب منذ العصر الوسيط معتمداً على المعنى اللغوي لكلمة الرقص :

بزجاجة رقصت بما في قمرها رقص القلوص براكب مستعجل وتوجد بالمغرب منذ القرن السادس الهجري قوانين . تحدد مهام الرقاصة وأجورهم .

عندما أقدمت أسبانيا في إطار هذا المخطط -
على احتلال رأس بوجدور وأنشأت لها
مراكز في الداخلة ووادي الذهب وقامت
بتوزيع منشورها بتاريخ 26 دجنبر 1884 . . .
كان جوابه في الرسالة التي وجهها إلى نائبه
بطنجة بتاريخ 4 رمضان 1303 - 6 يونيو 1885

« أما وادي الذهب . . . فإنه يوجد
بناحية أولاد دليم وقبيلة تسمى بالعروسيين
الذين هم بخدمة الشريفة، النازلين بنواحي
مراكش وفاس ، وتسمى عندهم بالداخلة
فأعلم الباشدور بذلك » .

وكان الملك الحسن الأول ، قبل هذه
الرسالة ، قام عام 1299 - 1882 برحلة
إلى هذه المناطق حيث أعطى أوامره من أجل
صيانة مرسى أكلو ومرسى إيسيك ومرسى
سيدي ورزيك ومرسى سيدي محمد بن
عبد الله^(١) .

كما قام بإبلاغ السلطات الأسبانية بأن
(صانطا كروز) التي كانوا يلتمسون أن
يجعلوها مخصصة للسلك ، هي التي تحمل عندنا
(كويدر الرجيلة) ولذا فنن الأفضل -
حفاظا على الصداقة الأسبانية - أن يعوضوا
عنها بمصلحة أخرى في سيدي أيفني .

تري أن هذه الوثيقة أمينة في تثبيت
مغربية تلك المناطق ، بالرغم من سياسة الأمر
الواقع التي كانت تنهجها الدول القوية ،
وبالرغم من اتفاقية 27 يناير 1900 بين
(ديلكاسي) والسفير الأسباني (كاستبو)
التي حددت بمقتضاها الممتلكات الفرنسية
والأسبانية في إفريقيا الغربية .

لقد ظلت سياسة الأمر الواقع مرفوضة
من لدن الحكومة المغربية ولذلك نجد الوثيقة
تتحدى سياسة السطو والغصب والتآمر
والتناور :

والوثيقة ، من خلال كل هذا ، دليل للذين
يهتمون اليوم بمدلولات الأسماء الجغرافية
(La Toponymie) سواء على الصعيد الوطني
أو المستوى الدولي ، فهو إذن سجل يعتبر من
القواعد الأساسية للذين يرغبون في تدوين
معلوماتهم على مراجع وثائقية : :
الأمر الذي حدا بالوفد المغربي لدى
المؤتمر العالمي الرابع لتنظيم الأسماء الجغرافية
(جنيف ، شتنبر 1982) إلى أن يقدم هذه
الوثيقة على أنها (سبق) في ميدان ضبط
الأسماء الجغرافية عن طريق الرقم العربي⁽²⁾ .
لقد سبقت المملكة المغربية بأكثر من نصف
قرن الولايات المتحدة الأمريكية والدول

(١) د . التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي ، الحلقة الرابعة ، مجلة البحث

العلمي ، عدد 27 محرم 1397 = يناير 1977 .

(2) Conférence des Nations Unies sur La Normalisation des noms Géogr'aphiques,
Geneve, 24 Août 14 Sept. 1982

الأوربية إلى التعامل بالأرقام والتوسل بواسطتها لا بتكار ما يسمى بالمصطلح البريدي لمعرفة مواقع المدن (Zip Code) في أمريكا و (Cedex) في فرنسا . . . وكذلك لا بتكار ما يسمى الرقم الشخصي في بطاقات التعريف المستعملة اليوم في الدول السكندنافية : (Magnétique) باعتبار أن الأرقام يمكن أن يستعين بها العقل الإلكتروني .

وعندما تنتقل الوثيقة لإعطائنا فكرة عن مختلف الدول التي كان للمغرب صلات بها واهتمام بحكامها ، تقدم إلينا عددا من العواصم التي تعطيها الوثيقة اسما أصيلا ظل إلى الآن يغزو حتى اللغات الأوربية إنه اسم (القصبات) التي يستقر بها عادة رأس الدولة ، لتمدأتها بعدد من القصبات التي تمثل المناطق الخمس للقارة الإفريقية (وهكذا كان للمغرب في أوائل هذا القرن صلاته بالقسم الشرقي للقارة وكذا غربها وشمالها وجنوبها ووسطها) .

ونفس هذا الوضع بالنسبة لأصدقاء المغرب في قارة آسيا . . . فن قصبات تركيا إلى قصبات بلاد العجم إلى أفغانستان إلى الهند إلى الصين إلى اليابان .

وقد تجلّى أن للمغرب معارفه وأصدقاءه الكثيرين كذلك في القارة الأوربية ، فنحن أمام زهاء عشرين دولة أوربية فيها إنجلترا وسكوتلاندا وإيرلاندا والبرتغال وأسبانياً وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وبروسيا ، أيام كانت بروسيا دولة دولة على حدة . . .

هذا إلى القارة الأمريكية حيث نجد للمغرب أصدقاءه القدامى سواء في الولايات المتحدة الأمريكية في الشمال أو فنزويلا والبرازيل في الجنوب :

والوثيقة من خلال كل هذا تصوير مفيد لجغرافية العالم السياسة في بداية هذا القرن عندما كانت بعض الجهات الإفريقية والآسيوية والأوربية تابعة لقوة بارزة من قوى العالم الأخرى ، وهكذا فإن المعلومات التي تحتويها الوثيقة معلومات مركزة :

وقبل أن تعطينا الوثيقة مفاتيح خطاباتها السرية تقدم لنا دليلاً آخر على الظاهرة الصحفية للمملكة ، وهي تفند كل الادعاءات التي ترمينا بالمعجز والحوف واليأس .

ويتعلق الأمر بلقب أمير الأسطول الذي كنا نراه أيضاً في بداية هذا القرن ، بالرغم من التآمر الدولي في مؤتمر إيكس لاشا بيل 30 شتنبر 1818 ، هذا إلى ذكر للمركب الملكي الذي ظل إلى هذا الوقت بمخمر عباب الميعة الإقليمية ويسهم في استرجاع بعض النقاط المغربية التي سطت عليها بعض الشركات الأجنبية . . . من غير أن تهمل الوثيقة تخصيص الحواسيس والحونة بشكل من أشكال الحروف اللاتينية ، وهو حرف « T » وكأنها تشير إلى كلمة (Traître) .

هنا ذكر (البوسطة) و (التلغراف) وكذلك السكة الحديدية التي شعر المغرب بأهميتها في طليعة القرن العشرين . . . وهنا

السلك الدبلوماسي المعتمد لدينا، كل برتبته :
المبعوثون الدبلوماسيون والسفراء العابرون
والقناصل المعتمدون والنواب المساعدون .

اضف إلى كل هذا الدور التجارية الكبرى
التي تمثل بعض الشركات العالمية . . بما فيها
دار هسنير (Haessner) الألمانية ودار
كوتش (Gautsh) الفرنسية ودار برينطلي
(Bariente) الإنجليزية ودار بن زويك
(Braunshving) الفرنسية ، ودار
ناهون (Nahon) الإيطالية . إن كل هذا كان
يترجم عن مدى تفتح المغرب لقبول ما تجدد
من أحداث على الساحة العالمية .

وبعد أن تقدم لنا الوثيقة شبه قاموس
رتبت كلماته على الحروف الهجائية المغربية (١)
تتناول طرق التعبير عن تلك الكلمات بأرقام
معينة . . وبعد أن تقدم لنا وسيلة ثانية
للتعمية، تعتمد على تعويض كل حرف من
حروف الهجاء برقم معين تعود لإعطاء أيام
الأسبوع رقماً خاصاً ابتداء من يوم الأحد ،
كما تعطى أرقاماً معينة للأشهر الاثني عشر
القمرية بداية من المحرم، وتقدم لنا في الصفحة
الأخيرة نموذجاً ثالثاً للتركيب السري للكلام،
لا يعتمد على الإتيان بأرقام معينة عوض كلمة

ما من الكلمات ولا على تبديل حرف هجائي
برقم مخصوص ، ولكنه يعتمد على استبدال
الحروف العربية بحروف لاتينية مختارة على
أساس التعمية وبأرقام معينة في حالة استنفاد
الحروف اللاتينية . .

وهكذا فمنا أيام السلطان العظيم عبد الملك
السعدي (شهيده وقبه وادي المخازن 985=1578)
الذي كان يوقع أحياناً بحروف لاتينية (٢) ،
منذ ذلك التاريخ وجدنا اليوم أن الإدارة المغربية
تهيأت لاختيار الحروف العجمية - على الأقل -
كوسيلة ومن وسائل التعمية والتميز ، ووسيلة
من وسائل الفصل بين الأرقام ، رغبة في
تسهيل الأمر على من يرغب في حل الشيفرة .

وهكذا يكشف لنا عن جانب آخر من
جوانب الصحوة المغربية التي تمثلت في
الإقبال منذ بداية هذا القرن على تعلم اللغات
الأجنبية، وخاصة طنجة العاصمة الدبلوماسية
للمغرب ، ومن ثمت، فإنني لأعتبر أن هذه
الوثيقة مجرد مفتاح للقراءات السرية، ولكني
أعتبرها (مؤلفاً) يؤرخ لهذه المرحلة الدقيقة
من تاريخ المغرب الأقصى ، بل ولتاريخ الدول
التي ترتبط بالمغرب كذلك .

(١) من المعلوم أن للمغاربة ترتيبهم الخاص للحروف الهجائية وكذا للحروف الأبجدية على ما يذكره ابن خلدون
في المقدمة علاوة على أنهم يتقنون الفاء بنقطة من تحت وينقون القاف بنقطة واحدة من فوق .
(٢) وقعة المخازن هذه هي التي أجهز فيها الجيش المغربي على ملك البرتغال دون سياستيان وهي المعروفة بمعركة
الملوك الثلاثة ، فقد قضى فيها علاوة على الملكين المذكورين على أمير مغربي ثالث كان يناصر سياستيان .

ولقد لذ لبعض الأوربيين والمستعمرين منهم خاصة أن يكتبوا عن هذه الفترة : العقد الأول من القرن العشرين ، متقصدين جميعهم إلى إثبات صورة واحدة ، وهي أن المغرب انتهى وأن تعثراته لم تكن وليدة تواطؤ المجموعة الدولية كلها على كيانه ، ولكنها كانت نتيجة لضعف أجهزته المركزية والإدارية ، وليدة تقوقعه وانقلوائه ، فجاءت هذه الوثيقة لتقدم المغرب كأتم منها تكون عليه الدولة قوة وتنظيماً ومواكبة وتحضراً .

ولابد أن المارشال ليوطي^(١) كان صادقا مع نفسه عندما كتب من الرباط بتاريخ 24 أكتوبر 1920 يقول للسيد جورج ليكيس (G. Leygues) رئيس المجلس الوزاري بفرنسا :

لقد لاحظت أثناء زيارتي الأخيرة إلى فرنسا مدى الجهل المطبق الذي يهيمن على بعض الجهات المأذونة حيال ما تؤديه هنا في المغرب كلمة « السلطان » ، حيث لاحظت أن تلك الجهات تصنفه على أنه على نحو باي تونس أو سلطان مصر أو شريف مكة مع أنه لا صلة إطلاقاً بين هؤلاء وبين مركز السلطان بديار المغرب .

إن السلطان هنا هو الإمام الذي توجه شعبه : فهو عاجل سياسي وهو قبل كل شيء رئيس ديني لسائر المسلمين في المغرب ، بل في

الأجراء النائية الأخرى كما أدركته بنفسه أيام الحرب » . يقول ليوطي .

وفي رسالة دورية بتاريخ 18 نونبر 1920 موجهة من ليوطي إلى مساعديه يقول :

نحن هنا في المغرب وجدنا دولة وشعباً معاً ، مرافعلاً بأزمات ولكن هذه الأزمات إنما كانت حكومية أكثر منها أزمات اجتماعية . ويكفي أن نرجع قليلاً إلى التاريخ لنشهد حكومة حقيقية تظهر أمام العالم كأية دولة من دول الأسرة الدولية بما كانت تتوفر عليه من وزراء لامعين ، وسفراء ناجحين ، كانوا يجلسون إلى جانب الدول الأوربية فيؤدون واجبهم كأتم ما يكون الأداء ، وبعض هاته الشخصيات ما يزال إلى الآن ينعم بالحياة⁽²⁾ . ولقد وصلتنا هذه الوثيقة عن طريق المعرض الذي أخذت وزارة الشؤون الثقافية على عاتقها تنظيمه كل عام لتوزيع « جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق » فكانت في صدر الوثائق الراجعة بالمعرض الخامس الذي تم سنة 1973 .

وقد قدمت من لدن السيد الحاج محمد ابن محمد بن بناصر غنام . . . آلت إليه من جده السيد بناصر الذي كان الشخص الثاني في (دار النيابة) بطنجة في بداية هذا القرن . . . وكانت بمثابة مبنى وزارة الشؤون الخارجية في المصطلح الحديث .

(١) أول مقيم فرنسي عام بالمغرب بعد عقد الحماية الفرنسية 1912 .

(2) Hassan II : Le Défi : ED. Albin Michel 1967 n. 219 - 220

وقد توفرننا على نسخة أخرى من هذه الوثيقة ، لكن يظهر أنها إنما كانت منقولة عن الألى بدليل قيام صاحبها ببعض التصليحات التي كان يراها ضرورية (١) .

فمن هو الدبلوماسى المغربى بناصر بن أحمد غنام ؟

تعتبر أسرة غنام من الأسر الشهيرة الأثيرة فى الرباط وهى من أصل عربى أندلسى ، وتوجد أسر من المشرق تحمل هذا الاسم .

سمى على جده الحاج بناصر : ه وقد عوض والده نظارة الأوقاف بعد وفاته عام 1290 - 1873 ولم يلبث أن عينه الملك الحسن الأول عام 1292 - 1876 أميناً للسفارة التى أوفدها العاهل صحبة السيد الزبدى إلى فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا لمفاوضة هذه الحكومات فى شأن الحماية التى كانت تمنح لبعض المواطنين المغاربة من لدن تلك الدول ، والتى كانت تسبب للحكومة المغربية عدداً من المشاكل ... وبعد أن تقلب فى عدد من الوظائف وقام ببعض المهمات التى تمس الإدارة المالية نقل سنة 1315 - 1897 إلى طنجة حيث عمل بها أميناً قبل أن يقوم الملك عبد العزيز بحركته الأولى فى سبيل إصلاح أساسى لدار النيابة بطنجة حيث وجدناه ينشئ مجلساً استشارياً للنائب ، ويضع دستوراً للدبلوماسية المغربية ويحدد المهام

الرئيسية للدار وذلك بمقتضى مرسوم ملكى هام يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى عام 1318 30 غشت 1900 ...

فى هذا التاريخ التحق السيد غنام بدار النيابة كمستشار أول للسيد محمد بن العربى الطرىسى النائب السلطانى ، وحتى نتصور الحجم والمنهاج الذى أصبحت تسير عليه (دار النيابة) بطنجة أو « الفسّينة » كما كانوا يسمونها ، نرى من المفيد للمهتمين بتاريخ الدبلوماسية المغربية أن ننوه بالظهير العزيز الذى يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى 1318 (38 غشت 1900) والذى يعتبر بمثابة النظام الداخلى لسير وزارة الشؤون الخارجية ، وقد كان آخر ما كلف بإعداده وتحضيره أمين الأمناء السيد عبد السلام التازى قبل أن يستعفى ويقصد البقاع المقدسة (٢)

ولقد كان من المهام التى أسندت إلى السيد بناصر غنام - وهو يمارس عمله بدار النيابة فى طنجة - تسميته عضواً فى السفارة التى يمثها السلطان مولاي عبد العزيز عام 1319 - 1901 إن كل من فرنسا وروسيا صحبة السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية آنذاك ، ثم أرسل عام 1320 - 1902 إلى الجزائر موقداً من قبل السلطان المذكور لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران .

(١) عبرت النسخة الأولى فى مقطعين اثنين عن حروف الهجاء بحروف (أجد) فأصلحها صاحب النسخة الثانية .

(٢) د . التازى : رسائل مخزنية ، مطبعة أكداال ، الرباط ص 64 .

ويظهر أن المحاولة السابقة لإصلاح العمل بدار النيابة لم تؤت أكلها، فإن المجلس الاستشاري تحول إلى منافسات كان يستغلها المتربصون والمتأملون من خارج النيابة^(١)، الأمر الذي دفع بالسلطان مولاي عبد العزيز إلى أن يقوم عام 1322 - 1904 بحركته الثانية في دار النيابة بطنجة حيث استدعى من جديد أمين الأمناء الحاج عبد السلام التازي للمشاركة في الحكومة بعد أن كان قد استعفى قبل أربع سنوات للقيام بمناسك الحج على ما قلناه.

وهكذا سمي التازي « نائبا » بطنجة عوض الحاج محمد بن العربي الطريس حيث وجدنا النائب الجديد يلتمس من العاهل أن يشد أزره بإبقاء بناصر غنام إلى جانبه؛ تقديرا لخدماته وتجربته الطويلة. وبالرغم من عدم التحاق التازي بمقر مأموريته على ما سئى، حيث تقرر إقرار الطريس في وظيفته، فقد استمر بناصر غنام يقوم بأعمال دار النيابة مع النائب إلى أن تولى السلطان عبد الحفيظ مكان أخيه السلطان عبد العزيز عام 325 - 1907 حيث عين في اللجنة المكلفة بتقويم الخسائر التي لحقت الدار البيضاء بسبب الفتن التي أدت إلى احتلال المدينة من طرف فرنسا وأسبانياً.

وقد كانت آخر مهمة دبلوماسية قام بها غنام - بعد أن أثرت المصاعب ضد إرجاعه لعمله -

بدار النيابة في طنجة - هي إرساله من لدن السلطان مولاي حفيظ عضواً في السفارة التي بعث بها العاهل إلى أسبانيا صحبة أحمد ابن المواز عام 1327 - 1909 .

فمن الذي ألف الوثيقة السرية ؟ .

نقد صيغت مقدمتها بأسلوب تعمد بدوره أن يحتفظ بالسر حول من ألفها ومن كتبها، فقد بنى للمجهول تركيبها : « اتخذ هذا المسطور... » « وقد جعل لكل فرد . . . ضامن هذا المسطور . . . وجعل لكل حرف » .

وهكذا فإن العمل عمل حكومة فيما يتأكد ، وليس عمل فرد ، ولو أن هذا الفرد كان هو الذي يطبق تعليمات الوثيقة الحكومية .

وهنا يطرح السؤال : متى نسخ هذا المسطور أو اتخذ قاعدة للمخاطبات السرية ؟ سنقرأ الجواب عن السؤال على بعض صفحات الوثيقة وخاصة الصفحة الثالثة التي تتحدث عن وكلاء المغرب بالخارج وأعضاء « دار النيابة » في طنجة حيث نجد فراغاً مكان اسم النائب^(٢) . . . والصفحة الرابعة التي تتحدث عن الخبراء العسكريين الأجانب والصفحة الخامسة التي تتحدث عن الجهاز المالي والريال العزيمي والصفحة الثانية عشرة التي تتحدث عن بعض الرتب البحرية وبعض الدور التجارية . . . وبخاصة الصفحة العشرون التي أقيمت بأخرها علامة « الثائر الفتان » .

(١) عبارة مؤرخ الدولة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان : لم يقع بين الرئيس والمرؤوس وفاق فاعتري ذلك الجمع التكسير . . . العز والصلوة أ 306 - 308 - 307

(٢) خلا منصب « النيابة » مرتين أولاها عندما أعق الطريس عام 1904 وثانيتها عندما التحق بربه 16 شعبان 1326 = 1308 بعد نحو من شهر من انتصار مولاي حفيظ على أخيه مولاي عبد العزيز . . .

وهكذا نستطيع القول بأن الوثيقة نسخت أو جددت في أيام السلطان مولاي عبد العزيز وقبل مؤتمر الجزيرة الخضراء^(١) وبالذات في أوئل رجب 1322 من منتصف شتنبر 1904 عندما ألقى الحاج محمد بن العربي الطريس من النيابة عن السلطان وأسندت المهمة للحاج عبد السلام التازي بمقتضى عدد من الظهائر العزيرية التي صدرت للطريس وكذلك بمقتضى الخطابات الخاصة التي أرسلت بتاريخ ٤ رجب 1322 15 شتنبر 1904 لسائر قضاة المدن الساحلية الثمان: تطوان، طنجة، العرائش، الغدوتان البيضاء، آزمو، الجديدة، أسفي والصويرة. وكذلك لسائر أمناء المراسي الثمانية علاوة على القواد العشرة: ابن سعيد، السويسي، الحديدى، ابن هيمة الأزمو، المنبهي، العبدى، الغازى، المختارى، المديوني^(٢).

كانت ظروف هذا التعيين لا تخفى على أحد، فلقد سبق أن أبرمت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية في أبريل 1904 تنازلت الأولى بمقتضاها للثانية عن مصر، وباعت هذه لتلك بلاد المغرب! وقد شهدت طنجة في

الشهر الموالى 18 مائة 1904 عملة اختطاف قام بها الشريف الريسونى استهدفت بعض الرعايا البريطانيين والأمريكان . . . وقد اقترن هذا بتزول البعثة الفرنسية برئاسة طلايلاندى إلى فاس .

ومن المعلوم أن تعيين التازي في منصب النيابة أزعج إلى حد كبير خصومه، وبخاصة أعضاء السلك الأجنبي الذي عرفوا عنه إخلاصه وجديته أثناء ممارسته لوزارة المالية أربعة سنوات^(٣) الأمر الذي كان وراء التأمير لتجميد التحاقه بطنجة فلقد بلغ التطاول بالبعثات الأجنبية بطنجة أن أخذت تعتقد أن من حقها أن تشاور حول (من) سيعهد إليه بمباشرة العمل معها حتى ليخيل للمرء أن «دار النيابة» كانت سفارة مغربية معتمدة لدى الهيئة الدبلوماسية وليست السفارات الأجنبية هي المعتمدة من طرف حكوماتها لدى السلطان وحكومته^(٤).

في تلك الأثناء، حررت الوثيقة التي ترك فيها اسم النائب معلقا مع اثبات الرقم الخاص به وهو ٨٦ في حين أثبتت فيه لائحة سائر أعضاء النيابة وعلى رأسهم بناصر غنام:

(١) مما يلاحظ في الوثيقة أنها لا تتضمن حديثاً عن (بنك المغرب) الذي تنص عليه بعض رسائل مولاي عبد العزيز بتاريخ 12 ذى الحجة 1424 = 27 يناير 1907 .
(٢) ابن زيدان : الاتحاف ٣٦٣ ر ٥ عبد الهادي التازي : رسائل مخزنية ، القسم الأول ، مطبعة أكادال 1967 ص ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ .

(3) Nichaux - Bellaire : Organisation des Finances du Maroc : Journal asiatique T.X.T 1907 Pierre Guilben: L'Allemagne et le Maroc 1867 P. 826 - Weisgerber : Le Maroc il ya 30 ans 1928 P. 26-27 au sauil du Maroc moderne P. 67 P.G. Rogers : A history of Anglo - Morocco Relations to 1900, London P. 233.

(٤) ع . ابن منصور : أعلام المغرب العربي I ص ٢٢٠ .

(Commission) والسكرطة (Segurada)
والميرنط (Al Mirante) وقنصل جنرال
(Censul Général) وقيس قنصل
(Vice-Consul) وشمان - دوفير (Chemin
(be fer) والبوسطة (Poste) تلغراف
(TélégraPhe) وسكلار (Circulaire)

وعلى خلاف الفلقشندى فى صبحه عندما
اعتمد على الأرقام الهندية فى حل معمياته ، فإن
صاحب الوثيقة اعتمد على استعمال الغبارية :
ويعنى بالقلم الغبارى ما اعتدنا أن نعرفه فى
سائر الموسوعات العالمية باسم الأرقام العربية
(Les chiffres Arabes) وهى :

1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6 — 7 — 8 —
9 — 10

وقد سميت بالغبارية لأن النساخ الذين
كانوا يرسمونها كانوا يضعون عليها غباراً
لتنشيف مدادها . . . وقد انتقلت إلى أوربا
من المغرب فى وقت مبكر جداً بواسطة جيربير
(Gerbert) الذى أصبح البابا سلفيستر
الثانى :

وكما اعتاد المغاربة الاعتماد على القلم
الغبارى استعملوا آنذاك الخط الفاسى أو القلم
الرومى .

وهناك مؤشر آخر يأتى فى الصفحة العشرين
عندما ألحقت أسفل الصفحة الأخيرة علامة
المائل الفتان « T » عوض أن تكون فى
الصفحة الرابعة الخاصة بالشؤون الحربية ،
وهو الأمر الذى يدل على أن تمرد الفتان
(بو حارة) طرأ والوثيقة معمول بها . . .

وهكذا يتأكد لنا أن الوثيقة ترجع للتاريخ
الذى افترضناه ، وهو أوائل رجب 1322
منتصف شتنبر 1904 :

وإذا ما تجاوزنا تلك الإشارات فإننا سنجد
أنفسنا أمام ملاحظات أخرى تدل بدورها
على بعض الظواهر التى تعطينا فكرة عن
واقع الأيام التى عاشتها الوثيقة :

نحن أمام طائفة من الألفاظ الدخلية التى لم
تهيأ المخطوطة إقحاحاً منها ضمن اللغة العربية
المستعملة ، وهكذا لم يجد المؤلف غضاضة فى
استعمال كلمة الديناميت (Dynamite)
وكلمات بنك نوط (Bank-Notes)
والشيك (Chèques) والليطرة (les traites)
والليبرة (Le livre) والريال البندى
(Venezia) والبارة (Le barre)
والإنطريس (les intérêts) والكمسيون

الفن الفارسي والقياسي

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----------------|---------|
| ك | ق | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | الأعداد |
| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----------------|---------|
| ح | ٥ | ص | ل | س | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | العشرات |
| ٩٠ | ٨٠ | ٧٠ | ٦٠ | ٥٠ | ٤٠ | ٣٠ | ٢٠ | ١٠ | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|----------------|--------|
| ع | ق | ح | ك | ع | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | المئين |
| ٩٠٠ | ٨٠٠ | ٧٠٠ | ٦٠٠ | ٥٠٠ | ٤٠٠ | ٣٠٠ | ٢٠٠ | ١٠٠ | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|------|------|------|------|------|------|------|------|------|----------------|-----|
| ك | ق | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | ألف |
| ٩... | ٨... | ٧... | ٦... | ٥... | ٤... | ٣... | ٢... | ١٠٠٠ | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|----------------|-----------|
| ح | ٥ | ص | ل | س | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | عشرات ألف |
| ٩٠... | ٨٠... | ٧٠... | ٦٠... | ٥٠... | ٤٠... | ٣٠... | ٢٠... | ١٠٠٠٠ | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|----------------|----------|
| ع | ق | ح | ك | ع | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | مئات ألف |
| ٩٠٠... | ٨٠٠... | ٧٠٠... | ٦٠٠... | ٥٠٠... | ٤٠٠... | ٣٠٠... | ٢٠٠... | ١٠٠... | القيمة العددية | |

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----------------|--------|
| ك | ق | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | المخط الفارسي | الآلاف |
| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | القيمة العددية | |

نريد أن نبليغ صاحبنا « أن البحر هاج »
فرسمه هكذا: 20 - 34 - 21 - 25 - 28
45 - 20 - 24 .

يبقى مع كل هذا الاحتياط شعور بنقص أو فراغ عندما لا نجد وسيلة لشكل الحروف، بيد أن اعتماد « الشيفرة » على المادة العربية يجعل من السهل الاستغناء عن الشكل الذي نجد اليوم وزارت الخارجية في الدول العربية تؤديه بواسطة الحروف اللاتينية :

وفيما إذا حدث أن اشتملت الرسالة أو البرقية على ذكر عدد قد يلتبس بالأرقام التي أعطيت للكلمات والحمل والحروف ، فإنك تحصر هذه الأعداد بين شكلين على هذا النحو :
A الذي يشبه حرف A في اللغة اللاتينية ، وهكذا عندما نجد مثلاً : A85A فإن القصد يكون إلى عدد خمسة وثمانين وليس إلى وزير الخارجية الذي يرمز إليه في الوثيقة برقم 85 .

أما الحالة الثانية من حالات التعمية عندما لا نجد في هذا « القاموس » غرضاً من أغراض الرسالة ، فهي أن تختار لحروف الهجاء أشكالاً تجعلها لها .

وفي الحالة الأولى كنا نعبر عن حروف الهجاء بأرقام غبارية وفي هذه الحالة نعبر عنها بأشكال تتردد بين حروف لاتينية وبين أرقام غبارية :

نريد أن نبليغ صاحبنا بأن « البحر هاج »
فرسمه طبقاً للتعليمات التي وردت في آخر
صفحة من الوثيقة هكذا :
2 . O . U . L . A . S . O

ونظراً للغموض الذي لا حظ لصاحب الوثيقة أنه قد يتعرض إليه الكاتب عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام غبارية متوالية ، نظراً لذلك وجدناه يبتكر فاصلة توضع بين الكلمات تمييزاً لها فيما بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام « الشيفرة » بوزارة الشؤون الخارجية ، وكانت الفاصلة التي اختارها على شكل خط أفقي صغير : شرطة على هذا النحو 660
— 55 — 890 .

أى (كتب لنا) ويؤديها رقم 660 (جلالة الملك)
ويؤديها رقم 55 (بالعمل على ما تقدم لكم)
ويؤديها رقم 860 .

وقد شعر « صاحب الوثيقة » بأن قاموسه لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، لذلك وجدناه يقدم طريقتين عمليتين للاستعانة بهما لتعمية الرسائل الموجهة .

ويتعلق الأمر في الحالة الأولى بما ورد في الصفحة 20 أى أن يعمد الكاتب إلى الحروف الهجائية ويجعل لكل واحد منها رقماً غبارياً معيناً ، وعوض أن يكتب بها ، أى بحروف الهجاء ، فإنه يكتب بأرقام الغبارة ، وزيادة في التوضيح فإنه يجب علينا أن نجعل فاصلة بين الحروف . . كنا فيما سبق نستعمل ، فاصلة الشرطة بين الكلمات ، وهنا نستعمل ، كفاصلة بين الحروف ، نقطة على هذا الشكل (•) للتدليل على الفرق بين الحرف والحرف :

لقد ابتدأت الوثيقة بإعطاء رقم لرئيس الدولة كان هو « الخمسة والخمسين » فتي تحدثت بهذا الرقم كنت تعنى « الجناح المولوى » أعزه الله .

ولا بد أن المغاربة جميعهم يميزون إلى اليوم بين الموسيقى التي يعرفونها في محافلهم بأسم (الآلة) بدون نسبة إلى الأندلس ، وبين الموسيقى الأخرى التي يطلقون عليها موسيقى « الخمسة والخمسين » والتي لا يقصدون بها شيئاً - في نظري - غير الموسيقى التي نستأث بجوقتها الخاصة ملك البلاد^(١) .

وكثيراً ما نسمع مثل هذا التعبير السائر : « فلان ضربت عاينه الخمسة والخمسين » يعنى أنه في وضع كوضع الملوك بذخاً وعظمة .

وبعد رقم جلالة الملك يأتي رقم الولد 58 ولأم 55 والمهر 65 :

تم كان رقم الوزراء والقضاة والنظار والقواد إلى آخر للأئمة التي لم تغفل أى موظف سام من موظفي الدولة في الداخل والخارج .

وبعد أن تقدم الوثيقة المواد التي تهم الجيش مع أسلحة وقطع غيار . . . والتي تهم المالية . . . والمهن التي تتصل بالملك والشكايات والمشور الملكى . . . كل برقمه .

بعد أن تقدم المراكز والمدن الساحلية للمملكة المغربية والمراكز والمدن الداخلية

تأتى على قواعد الممالك الآسيوية والأوربية والأمريكية وتذكر الدول الأفريقية ، بل إنها أحياناً تقسم الدولة الواحدة أقساماً بحسب أهمية العلاقات بين المغرب وبين تلك الجهة .

وهكذا فهي عند حديثها عن مصر مثلاً ، ترمز للاسكندرية برقم 294 ولطنطا برقم 295 ، ولدمنهور برقم 296 ولمصر العاصمة برقم 297 وللسويس برقم 297 مما يؤكد وجود مصالح للمغرب في كل هذه الجهات ، وهي الحقيقة التي تثبتها الوثائق المصرية المخطوطة والمطبوعة .

وبعد أن تقدم لنا بعض الرتب البحرية . والدور التجارية التي لها صلة بالأغراض الحكومية ، بعد أن تقدم لنا ذلك ، كل برقمه الخاص به . . . تنتقل إلى الفصل الثاني وهو الذى يتعلق بالمفردات والحمل المتداولة في الخطابات الرسمية .

وهنا نجد أنفسنا مع « قاموس » مقسم إلى قسمين : الأول خاص بالحمل الفعلية ، والثاني خاص بالمفردات والحروف . . . وكلا القسمين مرتب ترتيباً دقيقاً على الحروف لهجائية . . .

(١) يذكر بعض السادة المهتمين بهذه الآلة أن المقصد بالخمسة والخمسين عدد النوبات الموسيقية الإحدى عشرة مضروبة في عدد الصنائع الخمس ، كما قرأنا عن آخرين أن اسم الخمسة والخمسين آت من أن عدد أفراد الجوق كان خمساً وخمسين ، ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن المقصد إلى ما سبق انك .

وهكذا يبتدئ القسم الأول بالأفعال التي
تبتدئ بالألف : أخبرنا . أخبرناه ، أخبرونا
إلخ . . اكتب له مع البوسطة اعمل الواجب
عليك ولا تقصر . . كل جملة يعبر عنها
بمجموعة عددية لا تتعدى ثلاثة أرقام .

ثم يأتي حرف الباء : بايع . برى ، مما نسب
إليه . . إلخ . . ثم التاء . . توجه على
طريق البحر . . ثم الجيم والحاء والحاء واللام :
دافع بالتي هي أحسن . . ثم العين : عمل
لنا تلغرافياً . . عمل سكلاراً . . إلى الياء :
« يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها . »

كما ندخل للقسم الثاني كذلك بالمفردات المبتدأة
بالألف : العمل على ما تقدم لكم . المدد في الطريق
وبوصوله يكون لك الإعلام في التلغراف
ثم الباء إلخ . . إلى أن تقدم الوثيقة أرقامها
لكل حرف من الحروف الألفبائية قبل
أن تقدم أشكالاً أخرى لتلك الحروف ، متى
تعلق بها الغرض .

وقد كان من الملاحظات الدقيقة في هذه
الوثيقة أن الذي وضع الأرقام لأشخاصها

ولكلماتها ، وجد نفسه أحياناً مضطراً لإعطاء
رقم مكرر ، فحتى لا يوقع الناس في اللبس
جعل الرقم المكرر ، علامة هكذا : 2 . - .
ويحدث أن يكرر الرقم ثلاث مرات وحينئذ
يجعل أمام الرقم المكرر ثلاثاً ، علامة هكذا :
($\frac{1}{4}$) وسرى - ونحن نستعرض صفحات
هذا المخطوط - أن الذين أشرفوا على تدوينه
كانوا على وعي تام بما يجري من حولهم ،
وبذلك برهنوا على أنهم كانوا يعايشون
الأحداث ويتكرونها لكل ما يجد شكلاً من
الأشكال ، لتسهيل عملية الاتصالات والمخاطبات
 والمراسلات .

لقد أصبحت هذه الوثيقة الفريدة بدراسة
تناولت فيها ، بتفصيل ، تطور «الكتابة الباطنة» كما
سماها ابن وهب الكاتب ، منذ ظهورها في المشرق
والمغرب ، وحرصت على أن أقوم بالمقارنات
والمفارقات بين طائفة من النماذج التي ظهرت
في المصادر العربية وغيرها .

عبد الهادي النازي
عضو المجمع المراسل من المغرب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
رئيس مجلس الإدارة
مصطفى حسن علي

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٤/٩١٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١١٠٦ س ١٩٨٤ - ٢٠٣٠

